

٨١١٢
ق ٢ ش ١

رسالة الوصايا في اللؤوب (القرن) انجالياته ونقصاته الفنية عنى نهاية القرن الرابع الهجرى

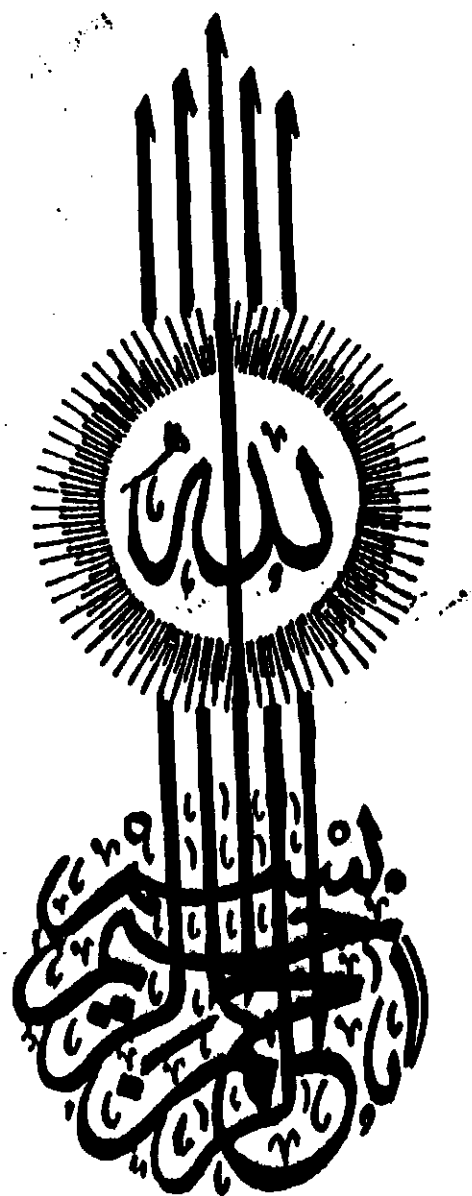
تم اصلاح الملاحظات التي
بيننا الأستاذ الناقد
واعتمد ازل والله الموفق
رسالة ماجستير
في اللؤوب والنقد
١٤١٠ هـ

اعداد
الكتاب عبد الله بن صالح بن عبد الله الفلاح

اشراف
المستشار
طه مصطفى ابو كرايش
رئيس شعبة الآداب والبلاغة

تم اصلاح الملاحظات
واعتمد ازل والله الموفق
١٤١٠ هـ

١٤١٠ هـ ~ ١٩٩٠ م



:: شكر وتقدير ::

لا يسعني - بعد أن وفقني الله لإتمام هذا البحث - إلا أن أتوجه
إليه جل وعلا بالحمد والثناء على توفيقه ونعمائه .

واعترافا بالفضل لأهله وامتنالا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -
(من صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له
حتى تروا أن قد كافأتموه) .

فاني أتوجه بالشكر الجزيل الى أصحاب الفضيلة القائمين على
الجامعة الاسلامية ، الذين أتاحوا لي مواصلة الدراسة في هذه الجامعة
العريقة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي الكرام الذين أفدت من
توجيهاتهم وآرائهم ، وكذلك اشكر زملائي الذين أعاضوني ببعض مراجع
هذا البحث .

فجزى الله الجميع خيرا الجزاء ﴿﴾

المقدمة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

المدونة

الحمد لله هذا كثيرا طيبا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق
أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه .. وبعد ..
فالشعر ديوان العرب ، وسجل مفاخرهم ومآثرهم ، أودعوا فيه مشاعرهم
وأحاسيسهم ، وما يختلج في نفوسهم من حب وبغض ، وشكوى وعتاب وفرح وحزن ،
كما أودعوه خلاصة تجاربهم وآرائهم .

ولقد تناولت أقلام الدارسين والباحثين هذا التراث الشعري الزاخر بالبحث
والدرس في شتى أغراضه واتجاهاته مما أغنى المكتبة الأدبية وأعطى صورة صادقة
لهذا الفن ، وجعله علما يارزا بين الآداب العالمية الأخرى .

ولقد حاولت البحث عن موضوع يخدم هذا التراث الشعري ، ويملا فراغا
في مكتبة الدراسات الأدبية ، فطال بي الأمد دون أن أعثر على موضوع مناسب
فكاد اليأس يستبد بي ، حتى أشار عليّ أستاذي الفاضل ، الأستاذ الدكتور /
طه مصطفى أبو كريشة بدراسة شعر الوصايا في الأدب العربي حيث أنه لم يدرس
دراسة مستقلة وافية ، فلقى ذلك هوى في نفسي لما فيه من جدة ، ولما يتيح
لي من معايشة حقيقية لتراثنا الشعري في أبرز ما يهدف إليه من توجيه للحياة
وجهة مثالية بناءة .

وقد رأيت أن أختار حقبة من الزمن تكون موضع الدراسة حتى لا يجور الزمن
الطويل على تتبع شعر الوصايا واستقصائه ، فوقع الاختيار على حقبة تبدأ من
العصر الجاهلي وتنتهي بنهاية القرن الرابع الهجري على وجه التقريب وذلك لكي
أقف على بواكير ما وصل إلينا من هذا الفن في العصر الجاهلي وأتابع سيرته في

فى ظل الاسلام لفترة تشل عصورا أدبية ثلاثة ، لكل منها ملامحه الخاصة ، ومن ثم كان العنوان " شعر الوصايا فى الأدب العربى اتجاهاته وخصائصه الفنية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى) .

وقد رأيت أن تكون دراستى للموضوع كاشفة عن اتجاهات شعر الوصايا بالنظر إلى الغاية التى يرمى إليها والهدف الذى يتجه إليه ، كما تكون كاشفة عن جوانبه الفنية فى شكله ومضمونه ، ومن هنا اتضحت خطة البحث أمامى فى بابين يسبقهما تمهيد يمهّد لدراسة الموضوع .

أما التمهيد فسوف أتناول فيه أمرين :
أولهما : مفهوم الوصية بين اللغة والأدب كاشفا عن الدلالة فهيمها وعن العلاقة بينهما .

وثانيهما : تتبع رحلة شعر الوصايا فى الأدب العربى من خلال دراساً الدارسين لأدب الوصايا بصفة عامة مبيّنا عن مكان دراستى بين هذه الدراسات .

أما الباب الأول : فسوف يكون خاصا بالدراسة الموضوعية لشعر الوصايا حيث يتناول كل فصل من فصوله اتجاها من اتجاهات هذا الشعر ، على أن ترتب الفصول حسب كثرة الرصيد من النماذج الشعرية التى بين أيدينا لكل اتجاه .

- | | | |
|------------------|---|--------------------------|
| فالفصل الأول عن | : | شعر الوصايا الاجتماعية . |
| والفصل الثانى عن | : | شعر الوصايا الأبوية . |
| والفصل الثالث عن | : | شعر الوصايا الدينية . |
| والفصل الرابع عن | : | شعر الوصايا الحربية . |
| والفصل الخامس عن | : | شعر الوصايا الإخوانية . |
| والفصل السادس عن | : | شعر الوصايا الزوجية . |

أما الباب الثاني فهو خاص بالدراسة الفنية لشعر الوصايا وفيه فصلان
الفصل الأول عن : الخصائص الفنية لشعر الوصايا في جانب الشكل وبتجه
إلى بيانها في : الألفاظ ، والتراكيب ، والصور البيانية ، والقيم الصوتية ،
والبناء الفني .

والفصل الثاني عن : الخصائص الفنية لشعر الوصايا في جانب المضمون
وبتجه إلى بيانها في التجربة الشعرية ، والمأطفة ، والأفكار .

وسوف تعقب الدراسة خاتمة ألخص فيها ما أتوصل إليه وأبرز ما تنتهي إليه
الدراسة من نتائج .

وبعد .. فقد بذلت كل ما في وسعي من جهد ، غير أنني لا أدعي الكمال
فالكمال لله وحده ، فما في هذا البحث من صواب فهو من فضل الله سبحانه ثم
بفضل توجيهات أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور طه مصطفى أبو كريشة ، الذي لم
يخل على بوقته فلم يقتصر على ساعات الإشراف المحددة ، بل أشجع لي باب
بيته ، وأفسح لي صدره .. ومهما قلت من كلمات الشكر والعرفان فلن توفييه
حقه ، فجزاء الله خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة .. وما كان
فيه من تقصير أو خطأ فهو مني ولن أتثبت به أو أدافع عنه ..

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

الباحث
عبد الله بن صالح الفسلاح

التمهيد

لقد مضى روح الوصية بين اللفظ والأمر
نينا: هي نار مخفية عن روبر الوصايا

أولا : مفهوم الوصية بين اللغة والأدب :

أ - الوصية في اللغة :

وَصَّى : الواو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل شئ بشئ ، وَصَّيْتُ^{الشيء} وَصَلْتُه ... ويقال وَصَّيْتُ اللِّهْلَةَ باليوم وَصَلْتُهَا (١) .

قال ذو الرمة :

نَحْيَ اللَّيْلَ بِالْأَيَّامِ حَقَّ صَلَاتًا ۝ مَقَاسَةً يَشْتَقُ أَنْصَافُهَا السَّفَرُ
وَأَوْصَى وَاصِيَةً تَشْصِلُهُ النَّبَاتِ (٢)

ويقال أَوْصَى الرَّجُلَ وَوَصَّاهُ عَهْدَ إِلَهٍ . قال ربيعة :

وَصَانِي الْمَجَاجِ فِيهَا وَصَّيْنِي

أراد فيها وصاني فحذف اللام للقافية .

والوصية أيضا ما أوصيت به ، وأوصيت له بشئ ، وأوصيت إليه إذا جعلته

وصيك .

وَأَوْصَيْتُهُ وَوَصَّيْتُهُ إِيهَاءً وَتَوْصِيَةً بِمَعْنَى (٣) ، وَالْوَصَاةُ بِمَعْنَى الوصية قال الشاعر

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ عَنِّي يَنْهَسِدَا ۝ وَصَاةٌ مِنْ أَخِي ثِقَةٌ وَدُودٌ (٤)

فما سبق يتضح لنا أن الوصية في اللغة هي ما عهد به إلى شخص ما ، أو

ما أوصى المرء به شخصا آخر .

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ١ ص ١٦١ تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، قم إيران

(٢) الصحاح للجوهري ج ١ ص ٢٥٢٥ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ دار العلم للملايين ، بيروت .

(٣) لسان العرب لابن منظور ج ٦ ص ٤٨٥٣ نشر دار المعارف بمصر

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ج ١ ص ١٢٨ تحقيق عبد السلام هارون ، وآخرين مراجعة محمد علي النجار وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤ هـ .

ب - مدلول الوصية في الأدب :

إن الباحث في كتب تاريخ الأدب لا يكاد يحشر على بيان لفهوم الوصية من ناحية أدبية فكل ما يجده إشارات سريعة إلى الوصايا في مفرد الحديث عن شعر الحكمة فالأستاذ مصطفى صادق الرافعي يعرف الشعر الأخلاقي بأنه (الشعر الذي يصورون فيه أخلاقهم تصورا طبيعيا لم تخلق فيه صنعة الكلام شيئا ، ويذكرون حكمتهم الاستفادة من التجارب ، ويدنون نصائحهم التي هي صفة تلك الحكمة) (١) .

فهذا التعريف يعطينا تصورا قريبا لشعر النصائح الذي هو جزء من الشعر الأخلاقي لأن الأستاذ الرافعي قد قرن فيما بين النصيحة والحكمة ، وكأنهما شيء واحد ، بل إنه جعل النصيحة جزءا يسيرا من الحكمة حيث عدها صفة تلك الحكمة وخلاصتها .

ويبدو أنه يريد من النصائح الوصايا .

ونرى باحثه أن :

" الوصية هي الثمرة الفكرية التي يتكسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية ومن تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه وهي كالحكمة ، ولعلها تكون من الحكم والأمثال (٢) .

وهذا التعريف ليس خاصا بالوصية ، بل إن الحكمة تدخل فيه ، إذ الحكمة أيضا " الثمرة الفكرية التي يتكسبها الفرد من تجاربه في حياته اليومية . .

وتعريفها لا يبعد كثيرا عن تعريف باحث آخر للحكمة إذ يقول :

-
- (١) تاريخ الأدب العربي للرافعي ١٣٤/٣ ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .
- (٢) الوصايا في الأدب العربي القديم د / سهام الفرج ، ١٧ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، مكتبة المعلا ، الكويت .

" ما الحكمة إلا تلك الثمرة الفكرية التي يجتنيها المرء من تفاعل نشاطه في بيئته الطبيعية والاجتماعية فيخلص منها إليها في سلوكه العام . . . (١) "

هذا ولم أشر على تعريف للوصية في جانب الشعر ويبدو لي أن شعر الوصايا هو الشعر الذي يحمل بين طياته توجيهات صائبة وتجارب حكمية ، ومعاني تهذيبية وخلقية يقصد الشاعر من ورائها التوجيه والتأثير والنصح والإرشاد .

وإذا رجعنا إلى شعر الوصايا فإننا نجد فيه ما يمكن أن يحدد لنا ملامح الوصية ، من حيث صلتها بقائلها ، وصلتها بمن توجه إليه ومن حيث مدلولها في ذاتها .

أما من حيث صلتها بقائلها فإن هذه الوصايا لا تصدر - عادة - إلا من شخص أريب عاقل قد خبر الحياة وعرفها وعركته السنون فذاق حلوها ومرها وحلب الدهر أشطرها .

فعمد قيس بن خفاف يبين لولده جبيل في وصيته له أن هذه الوصية لم تصدر إلا عن تجربة عميقة وخبرة ثاقبة في الحياة والأحياء وعقل راجح رزين يقول :
(٢)

أوصيك إيصاء امرء لك ناصح

طبن برهب الدهر غير مغفل

فكلمة " ناصح " تنبئ عن رغبة أكيدة في التوجيه ، ونفس مخلصه راغبة في الخير للموصى وقوله " . . . طبن برهب الدهر غير مغفل " يدل على عقل راجح رزين ، وينبئ عن خبرة عميقة بالحياة وأصرارها ومعرفة بتقلبات الدهر وصروفه وبعدم عن الغفلة والنسيان وعمرو بن الأهتم يوضح لابنه رضى في وصيته

(١) مقدمة كتاب المعمرون والوصايا . عبد النعم عامر ص (ر) .
(٢) الفضليات : ص ٣٨٦ اختيار المفضل الضبي تحقيق وشرح أحمد شاکر
وعبد السلام هارون ، الطبعة السادسة ، دار المعارف بمصر .

له أنه ذو خبرة طويلة وبصيرة ثاقبة بأخلاق الرجال • وما تنطوى عليه سرائرهم يقول (١) :

وإن من الصديق عليك ضلعنا

بدالى إننى رجل بصير

بأدواء الرجال إذا التقينا

وما تخفى من الحسك الصدور

فقوله بصير " بأدواء الرجال " يكشف عن بصيرته الثاقبة فى معرفة أدواء الرجال وأمراض أخلاقهم حتى صار طبيباً يسبر أغوار أخلاقهم وما تنطوى عليه سرائرهم •

ولقيط بن يعمر الأيادى يبين لقومه أن نصحه وتوجيهه ناتج عن عقل راجح لا عيب فيه ولا نقص يقول (٢) :

لقد بذلت لكم نصحى بلا دخل

فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

فالشاعر قد أسدى نصحه لقومه بلا دخل أى بلا نقص أو عيب فى عقله بل إنه رجل عاقل أرب خبير بصروف الدهر وتقلباته •

أما يزيد بن الحكم الثقفى فإنه يذكر لابنه بدر فى وصيته أن الأمثال والوصايا لا تصدر إلا من رجل حكيم مجرب يقول (٣) :

يا بدر والأمثال بضـ ■ سربها لذى اللب الحكيم

دم للخليـل سوء ■ ما خير ود لا يدوم

فقوله " يضرها لذى اللب الحكيم يبين لنا أن الوصية وضرب الأمثال لا تكون إلا

(١) المصدر السابق ص ٤١٠ •

(٢) ديوانه ص ٥١ تحقيق د/ عبد المعين خان • نشر دار الأمانة ومؤسسة

الرسالة بيروت • لبنان سنة ١٣٩١ هـ •

(٣) الحماسة لابن تمام ج ١ ص ٦١ تحقيق د/ عبد الله عسيلان • الطبعة

الأولى ١٤٠١ هـ • من منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض •

من رجل عاقل حكيم بصير بشئون الحياة قد ذاق حلوها ومرها فخبيرها .

ويقول مسمر بن كدام فى وصيته لابنه كدام (١) :

أكدام إني قد محضت نصيحتي

فاسمع لقول أب عليك شفيق

فقوله " شفيق " يعطينا صفة من صفات الموصى وهى الشفقة والود والخوف

على الموصى إليه ويقول أبو فراس الحمداني (٢) :

احذر مقارنة اللثام فإنه • ينبيك عنهم فى الأمور مجرب

قوم إذا أيسرت كانوا إخوة • وإذا تربت تفرقوا وتجنبوا

فالشاعر فى قوله " • • • " ينبيك عنهم فى الأمور مجرب " يبين لنا أن تحذيره

من مقارنة اللثام وحثه على البعد عنهم ناتج عن خبرته الطويلة وتجربته العميقة فى

جميع الأمور صغيرها وكبيرها ، فلقد قاساها حلوها ومرها وخبر الحياة والأحساء

خبرة طويلة .

فالموصى إذن على اختلاف اتجاهاتها تنبى عن دقة احساس الموصى وكثرة

تجاربه وتشف عن عقول راجحة رزينة ، وفى ذلك ما يؤكده سلامة مصدرها .

أما من حيث صفات الموصى إليه التى ينبى أن تتوافر فيه لتؤدي الوصية

الغرض منها فإن من الشعراء من أشار إلى أن الغرض من وصاياهم إنما هو النصح

والتوجيه للمتلقى ، فلذلك نجد بعضهم يطلب من المتلقى أن يصحح سماعه إلى ما

سيلقى عليه لينال الفائدة المرجوة من هذه الوصية ، كما أن بعضهم يطلب من

المتلقى أن يعمل بمقتضى وصيته .

(١) الحماسة للبحتري ص ٤٠٠ تعليق كمال مصطفى ، الطبعة الأولى ١٩٢٩م
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .

(٢) ديوانه : ص ٣٦ شرح وتقديم عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ،
بيروت لبنان .

فيسمر بن كدام يطلب من ابنه في الأبيات التي يقول فيها (١) :

أكدام إني قد محفت نصيحتي

فاسمع لقول أب عليك شفيق

أن يصيح سمعه وأن يفتح قلبه ويهيئ عقله إلى ما سيلقى عليه من وصاياه
لكي يعمل بمقتضاها في حياته . وهذا واضح من فعل الأمر (فاسمع) وما فيه
من دلالة على الإلزام وضرورة التنفيذ .

ويزيد بن حننا يطلب من زوجه أن تصنى إلى وصيته التي سيلقيها عليها
يقول (٢) :

دعي اللوم إن العيش ليس بدائم

ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم

فإن عجلت منك الملامة فاسمعي

مقالة معنى بحقك عالم

ولا تعذلينا في الهدية إنما

تكون الهدايا من فضول المغانم

فالشاعر يطلب من زوجه أن تصنى إلى وصيته وأن تفهم معانيها لكي لا تنكسر
عذله وعتابه لعدم تحقيقه رغبتها في تقديم الهدايا والألطفاء . وهذا المراد أداة
الفعل (فاسمعي) .

وأبو الفتح البستي يطلب من المتلقى أن يفتح قلبه وأن يصنى سمعه إليه
يقول (٣) :

(١) الحماسة للبحرئى : ص ٤٠٠ .

(٢) ديوان شعر الخواص ص ١٩ جمع وتحقيق د / إحسان عباس ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ دار الشروق بيروت لبنان .

(٣) فريدة عنوان الحكم ص ٣٥ لأبي الفتح البستي تعليق عبد الفتاح أبو غدة
الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - مكتب المطبوعات الإسلامية حلب - سوريا .

وأر سمعك أمثالا أفضلها

كما يفصل باقوت ومرجان

فالشاعر يطلب من المرء أن يصفى إليه وأن يستمع إلى وصيته بتأمل وتدبر
لكي يستفيد منها ويحمل بمقتضى ما جاء فيها (وأر سمعك) .

أما الشاعر لقيط بن يعمرا الياهدى فإنه يطلب من قومه أن يعملوا بما
أوصاهم به يقول (١) :

لقد بذلت لكم نصحي بلادخل

فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

هذا كتابي إليكم والنذير لكم

لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

فالشاعر يخبر قومه أنه قد أخلص لهم في النصيحة فعلهم أن يتتبعوا
لأمرهم وأن يستيقظوا من سباتهم العميق ، فيأخذوا حذرهم من كسرى وجموعه ،
وأن يعملوا بما أوصاهم به لأن خير العلم ما انتفع به (فاستيقظوا - لمن رأى ومن
سمعا) .

أما من حيث صفات الوصية في ذاتها من خلال حديث الشعراء عنها فإن
الوصية - في الغالب - لا تكون إلا في الحث على أمور الخير واجتناب الشر
والتوجيه إلى الأخلاق الفاضلة والمعاني السامية ، فلذلك نجد بعض الشعراء
يصف وصيته بأنها وصية جليلة جدرة بالاهتمام لكي يحتوذ على مشاعر المتلقى
ويجلب اهتمامه وانتباهه فمن ذلك قول أبي صخر الهذلي (٢) :

بل سوف أخبر من تفهم منكم

خبرا يفسى سراجيه للسائل

(١) ديوانه : ص ٥١ .

(٢) شعراء أمويون : ص ٥٨ جمع وتحقيق د / نوري القيس الطبعة الأولى ١٤٥٥ هـ
عالم الكتب بيروت ، لبنان .

أن سوف تختبر السرائر فاعلموا
لله قبل مخافة وزلازل
وإن امرؤ اسدى إليك أمانة
فاطو الأمانة للضمير الداخل

فالشاعر يصف وصيته هذه بأنها واضحة مضبوطة كأن سراجاً وضاً يتدلى
منها ويشيع النور من حولها ، فمن أخذ بها وعمل بمقتضاها هداه نورها إلى
الطريق الصحيح .

ويقول مسعر بن كدام موجه الخطاب لابنه (١) :

أكدام إنى قد محضت نصيحتى
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحمة والمرء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديقتى

فالشاعر يبين لابنه أن وصيته هذه وصية صادقة خالية من العيوب وأن باعثها
الحب والإخلاص وذلك فى قوله " إنى قد محضت نصيحتى " لأن محض النصيحة
هو الإخلاص والصدق فيها ، وقصد الشاعر من ذلك تحريك مشاعر ابنه إلى ما
سيلقى عليه من وصية .

وأبو الفتح البستي يصف قصيدته النونية التى ضمنها كثيراً من الوصايا -
بأنها كالأمثال وقد جهد فى تهذيبها وتفصيلها يقول (٢) :

وأرى سمعك أمثالا أفضلها
كما يفصل ياقوت ومرجان

فهذه القصيدة كالأمثال السائرة فى حكمتها وبلاغتها قد جهد الشاعر فى

(١) الحماسة للبحتري ص ٤٠٠ .

(٢) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٥ .

تفصيلها وتوضيحها كما يفصل الياقوت والمرجان عقودا متناسبة ، حتى بسدت واضحة المعاني محكمة البناء .

ويصف هذه القصيدة - أيضا - بأنها قصيدة عظيمة فيها تبيان وتوضيح لمن أراد ذلك يقول (١) :

خذها سوائر أمثال مهيبة * فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها * أن لم يقلها قريح الشعر حسان

فهذه القصيدة أمثال سائرة لما احتوت عليه من وصايا وحكم فيها تبيان وتوضيح لمن أراد ذلك ، وهذه القصيدة قد انسابت من قريحة شاعر مطبوع وتضمنت وصايا وحكما بليغة ، ولا يقلل من شأنها أن قائلها شاعر محدث وليس سيد الشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه .

...

(١) قصيدة عنوان الحكم : ص ٤٣ .

ثانيا : لمحة تاريخية عن أدب الوصايا :

لقد حفلت كتب الأدب العربي بوصايا تربوية قيمة ، ففي كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بعض الوصايا في شتى الأغراض مثل وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما عندما أوصى له بالخلافة من بعده ^(١) ، ووصية قيس بن عاصم لابنه ^(٢) ووصية المهلب بن أبي صفرة لابنه ^(٣) وغيرها من الوصايا .

ولكن جميع هذه الوصايا وصايا نثرية ولا نعثر على وصية شعرية في هذا الكتاب .

ويقابلنا في هذا العصر أيضا كتاب أبي حاتم السجستاني المعاصر للجاحظ (ت ٢٥٠ أو ٢٥٤هـ) (المعمرون والوصايا) ، وهذا الكتاب ينقسم إلى قسمين ، القسم الأول (المعمرون) ويورد فيه المؤلف أسماء المعمرين مضافا إلى ذلك ذكر بعض الوصايا ، إن وجد للمعمر وصية سواء كانت شعرية أم نثرية ^(٤) .

أما القسم الثاني وهو "الوصايا" فالمؤلف يذكر فيه بعض الوصايا الأبوية ، ولكنها في الغالب وصايا نثرية ، وقد يعقب المؤلف وصيته النثرية ببعض الوصايا الشعرية ^(٥) .

-
- (١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٤٥ تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة .
 - (٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٨ .
 - (٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٨٨ .
 - (٤) المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ص ١٤ و ٣٨ تحقيق عبد المنعم عامر ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٦١م .
 - (٥) انظر مثلا وصية الحارث بن كعب ص ١٢٢ ووصية أبي قيس بن صرمة ص ١٣٣

وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٨٦هـ) يذكر في ثنايا كتابه عيون الأخبار بعض الوصايا مثل وصية عبد الملك بن صالح لمومدب ابنه ^(١) ووصية عتبة بن أبي سفيان لمومدب ولده ^(٢) وكذلك وصية عبد الملك بن مروان لمومدب ولده ^(٣) وهذه الوصايا جميعها وصايا نثرية .

وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) يحتوى على وصايا عديدة مثل وصية لقمان لابنه ^(٤) ووصية عمر بن الخطاب لابنه عبد الله رضى الله عنهما ^(٥) ووصية على بن أبي طالب لابنه الحسن رضى الله عنهما ^(٦) وغيرها من الوصايا النثرية .

وكتاب الأُمالي لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) يحتوى على وصايا نثرية عديدة مثل وصية أوس بن حارثة لابنه مالك ^(٧) ووصية عبد الله بن هداد لابنه وقد وردت في الكتاب بعض الوصايا الشعرية القليلة مثل وصية كعب الغنوي لابنه على التي يقول فيها ^(٨) :

أعلى إن بكرت تجاوب هامتي
هاما بأغير نازح الأركان
وعلمت ما أنا صانع ثم انتهى
عمرى وذلك غاية الفهمان . . . الخ

-
- (١) عيون الأخبار لابن قتيبة ح ٢٢١ نشر دار الكتاب العربي بيروت ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٣ هـ
- (٢) المصدر السابق ح ٥ ص ١٦٦ (٣) المصدر نفسه ح ٢ ص ١٦٧ .
- (٤) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ح ٣ ص ١٥٢ تحقيق أحمد أسبى وآخرين ، دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤٠٦ هـ .
- (٥) المصدر نفسه ح ٣ ص ١٥٥ (٦) المصدر السابق ح ٣ ص ١٥٥ .
- (٧) الأُمالي لأبي علي القالي ح ١ ص ١٣٤ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م .
- (٨) المصدر نفسه ح ٢ ص ٢٢٥ .
- (٩) المصدر نفسه ح ٢ ص ٣٤٦ . .

فما سبق يتضح لنا أن أعلام الأدب وأئمة لم يهفلوا هذا الجانب التربوي
- أعنى فن الوصايا - فلقد تخللت كتبهم الوصايا العديدة ولكن الملاحظ أن
عامة تلك الوصايا وصايا نشرية وقل أن نجد فيها مختارات من وصايا شعرية .

وفى العصر الحديث - أيضا - نرى الاهتمام بالوصايا النثرية أكثر من
الوصايا الشعرية ، فلانكاد نعثري على حديث مفصل أو دراسة مستفيضة فى كتب
تأريخ الأدب عن هذا الفن ، وإن عثرنا على شئ ، فإننا لا نجد إلا إشارة أو
إلماحا إلى هذا الشعر ، مثل قول الدكتور شوقي ضيف فى ختام حديثه عن
أغراض الشعر الجاهلى - (وهذه الموضوعات التى قد منهاها جميعا كانت تتداخل
فى القصيدة الطويلة ، وكان يتداخل معها ضرب من الحكم والمعانى التهذيبية ،
فالشاعر ما يزال يدلى فى تضاعيف قصيدته بتجاربه ، وقد يفرد لها مقطوعات
إذا اتجه بها ، إلى تقديم وصية لبيه) (١) .

فحديث الدكتور شوقي ضيف عن الوصايا هو فى قوله (وقد يفرد لها
مقطوعات إذا اتجه بها ، إلى تقديم وصية ٠٠٠) ولم يقدم أى مثال لذلك .

ولما تحدث عن الوصايا مرة أخرى فى العصر العباسى اقتصر على الوصايا
النثرية التى وجهها بعض الأدباء أمثال عبد الله بن المقفع فى فنون السياسة
وأداب مصاحبة السلطان والوزارة والكتابة (٢) .

وإذا تركنا كتب تأريخ الأدب إلى الكتب والدراسات المتخصصة وجدنا
أن النصيب الأوفر من هذه الدراسات هو الجانب النثرى من الوصية .

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر الجاهلى - د / شوقي ضيف ص ٢١٨
(٢) تاريخ الأدب العربى العصر العباسى الأول د / شوقي ضيف ص ٤٦٨ ،
الطبعة السابعة ١٩٧٨م دار المعارف بصر .

فالأستاذ عبد البديع صقر له كتاب بعنوان " الوصايا الخالدة " وقد قسم الكتاب إلى أربعة أبواب :

الباب الأول تحت عنوان " من هدى القرآن والنبوة " وفيه بعض الوصايا القرآنية وبعض الأحاديث النبوية الشريفة ووصية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عمرو بن حازم (١) .

أما الباب الثاني فإنه يتضمن وصايا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، مثل وصية أبي بكر لخالد بن الوليد ، ووصية عمر إلى أبي موسى الأشعري فسي القضاء ، ووصية علي لابنه الحسن (٢) .

ويجعل المؤلف الباب الثالث لوصايا حكماء الجاهلية والإسلام ، مثل وصية ذى الأصبع المدوانى لابنه ووصية أمانة بنت الحارث لايتها (٣) .

أما الباب الرابع فإنه تحت عنوان " متفرقات " وفيه بعض الوصايا والمواعظ مثل موعظة طاوس لعمر بن عبد العزيز وموعظة سالم لعمر بن عبد العزيز أيضا (٤) .

وهذه الوصايا التي ضمنها المؤلف كتابه جميعها وصايا نثرية عدا وصية شعربة واحدة هي وصية ذى الأصبع المدوانى لابنه أسيد (٥) .

وللأستاذ صالح السليمان كتاب تحت عنوان " وصايا الآباء للأبناء " وجامع هذه الوصايا في هذا الكتاب يذكر بعض الوصايا الأبوية في أغراض شتى مثل

(١) الوصايا الخالدة ، عبد البديع صقر ص ٥ وما بعدها الطبعة الرابعة .

١٤٠١ هـ ، مكتبة وهبه - القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص ٣١ وما بعدها .

(٣) المرجع نفسه ص ٧٨ وما بعدها . (٤) نفسه ص ٩٩ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه ص ٧٩ .

الحث على طلب العلم ، ومعاشرة الأصدقاء ، والأصحاب ، ومعاشرة الناس^(١) . الخ

ولكن جميع هذه الوصايا التي تضمنها هذا الكتاب وصايا نثرية عدا وصية شعرية واحدة هي وصية ابن سعيد المغربي (ت ٦١٢) لابنه والتي مطلعها^(٢) :

أودعك الرحمن في غربتك
مرتقبا رحما في أوتك

ولعل من أوسع الدراسات التي تناولت فن الوصايا دراسة الدكتور سهام الفريح في كتابها " الوصايا في الأدب العربي القديم " وهي تتناول فن الوصايا من العصر الجاهلي حتى وسط القرن الخامس الهجري ، وقد قسمت كتابها إلى ثلاث أقسام : القسم الأول الوصايا في العصر الجاهلي ، والقسم الثاني الوصايا في العصر الإسلامي والأموي ، أما القسم الثالث فإنه للوصايا في العصر العباسي .

والنصيب الأوفر من هذه الدراسة هو للوصايا في جانب النثر ، وهي وإن ذكرت عددا من الوصايا الشعرية إلا أنها لم تتعمق في دراستها ولم تفحص عندها إلا وقفات يسيرة^(٣) .

ونرى الدكتور علي شواخ الشعيبي في كتابه " ملاح تربوية في الشعر الجاهلي والإسلامي " يعرض لبعض الوصايا الأخلاقية ، ففي حديثه عن المناحي التربوية الطيبة في الشعر الجاهلي يتناول وصية عبد قيس بن خفاف لابنه جبيل^(٤) ووصية عبدة بن الطبيب لابنائه^(٥) ويبين ما فيهما من وصايا أخلاقية رائعة

(١) وصايا الآباء للأبناء " صالح عبد الله السليمان ص ١٤ وما بعدها الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ توزيع الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - الرياض .

(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .

(٣) انظر الوصايا في الأدب العربي القديم ص ٣٩ - ٤٤ ومن ص ١٠٥ - ١١٠ ومن ص ١٨٢ - ١٩٠ .

(٤) ملاح تربوية في الشعر الجاهلي والإسلامي د / علي شواخ الشعيبي ص ٢٠ الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ دار الرضاى الرياض .

(٥) المرجع نفسه ص ٢٢ .

وتوجيهات صائبة .

وفي حديثه عن التربية والشعر الإسلامي نراه يتناول وصية يزيد بن الحكم النخعي لابنه بدر ^(١) وبعض الأبيات لأبي الأسود الدؤلي ومسكين الدارمي ^(٢) التي تحمل وصايا أخلاقية ، ويبين ما فيها من معان خلقية وأساليب تربية ناجحة وأخلاق فاضلة .

وأخيرا تواجهنا رسالة الماجستير المقدمة من الباحث " محمد عبد الجواد فاضل " عن الوصايا والحكم وهي بعنوان " الوصايا والحكم في الأدب الجاهلي دراسة وتحليل " والتي تقدم بها لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٤٠٣ هـ

والباحث في رسالته هذه يتناول الوصايا والحكم في الأدب الجاهلي عموما والشعر والنثر على حد سواء ، وقد قسم بحثه إلى ستة فصول درس الوصايا بنفسها الشعر والنثر في فصل واحد وهو الفصل الثالث وكان النصيب الأكبر في الوصايا النثرية ، أما الوصايا الشعرية ، فإن دراسته لها كانت قصيرة .

فما سبق يتضح لنا أن كافة الدراسات التي تناولت الوصايا ينصرف اهتمامها إلى الوصايا النثرية ، ولم تول تلك الدراسات الوصايا الشعرية حقها من البحث والدراسة فمن هذا المنطلق ستكون هذه الرسالة متجهة إلى دراسة شعر الوصايا وبيان اتجاهاته ودراسة خصائصه الفنية من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري حسب الخطة التفصيلية السابقة التي أبانت عنها المقدمة والستى تملأ الفجوات الواسعة الظاهرة في الدراسات الأخرى ، وبذلك تكون لهذه الدراسة فسماتها الميزة إن شاء الله تعالى .

(١) ملاح تربية في الشعر الجاهلي والإسلامي ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ وما بعدها .

البحر اللؤلؤ لنجاحات سمرقاند

- الفصل الأول: سمرقاند عاصمة الدولة العثمانية.
- الفصل الثاني: سمرقاند عاصمة الدولة العثمانية.
- الفصل الثالث: سمرقاند عاصمة الدولة العثمانية.
- الفصل الرابع: سمرقاند عاصمة الدولة العثمانية.
- الفصل الخامس: سمرقاند عاصمة الدولة العثمانية.
- الفصل السادس: سمرقاند عاصمة الدولة العثمانية.

الفصل الأول

سر الرضا بالاجتماعية

١. الحزن على طلب العز والافتقار بالنفس عن الناس.
٢. الحزن على التكرار والافتقار إلى الله.
٣. الحزن على مصاحبة الغير والافتقار عن معاشرة العالم.
٤. الحزن بالافتقار إلى الفاضلة.
٥. الاستشارة العقلية.
٦. آداب الحديث والسمع والحزن على لزوم الصمت.
٧. حفظ السر.
٨. الحزن على الصبر.
٩. الافتقار عن فرط السلام.
١٠. الحزن على السفر وآدابه.
١١. إتمام العمل.
١٢. آداب زيارة المريض.

شعر الوصايا الاجتماعية

شعر الوصايا الاجتماعية هو الاتجاه الأول من شعر الوصايا ، وأقصد بالوصايا الاجتماعية تلك الأُصْمار التي يوجهها الشاعر الى المجتمع بأسره غير قاصد بهـا شخصاً معيناً ، يبتغى من ورائها التأثير في المجتمع وتأكيد الجوانب الخلقية الحميدة فيه ، ومحاولة جعله يسير في الطريق الصحيح السوي في شتى مجالات الحياة ، وسأتحدث عن ذلك بالتفصيل ان شاء الله .

١ - الحث على طلب الرزق والاستغناء بالنفس عن الناس :

تناول الشعراء هذا الموضوع من جوانب شتى ، فكل شاعر يدلى برأيه ويفصح عن وجهة نظره حسب ما يراه وسيلة نافعة لطلب الرزق .

فعمرو بن الورد العبسي ^(١) يوصي المرء بالمخاطرة وركوب الأهوال بحثاً عن الرزق يقول ^(٢) :

خاطر بنفسك كي تُصِيبَ غِيْمَةً
إن القَمُودَ مَعَ المِمالِ قَبِيحُ

(١) عمرو بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب العبسي ، ويلقب بعمرو الصماليك لجمعه إياهم وقيادهم بأمرهم اذا أخفقوا في غزواتهم ، ويعد عمرو من الشعراء الجاهليين ، وفارساً من الفرسان ، وصعلوكاً من الصماليك المعدودين المقدمين الأجواد . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٦٩ ، والأغاني ج ٣ ص ٧٣ ، وخزانة الأدب ج ١٠ ص ١٠ .

(٢) ديوانه ص ٢ تحقيق د / عبد المعين الطوحي زه / وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ١٩٦٦ م .

المال فيه مهابةٌ وتَجَلَّاةٌ
والفقر فيه مَذَلَّةٌ وفُضُوحٌ

فالشاعر يوص المرء ويقول له لا بد أن تجد وتجتهد في طلبك للرزق وأن
تخاطر بنفسك وتركب الأهوال والمخاوف ، فتشن الغارات لتحصل على الرزق
والغنيمة بدلا من قمودك بين أولادك وأنت فقير مفلس لأن ذلك أمر حقير
قبيح ، وأعلم أن للمال منزلة رفيعة عند الناس ففيه المهابة والجلالة ، أما
الفقر فليس فيه الا الذلة والمهانة واحتقار الناس لصاحبه .

والنايضة الذبياني (١) يحث الانسان على طلب الرزق والاغتراب من أجله
إن دعت الحاجة إلى ذلك يقول (٢) :

إذا المرء لم يَطْلُبْ معاشاً لنفسه
شكا الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثر
وصار على الأئنين كلاً وأوشكت
صِلاتُ ذوي القربى له أن تنكرا
فَيز في بلاد الله والناسِ الغنى
تَعِشْ ذا يسارٍ أو تصوت فتعذرا
وما طالبُ الحاجاتِ من كُـلِّ وجهٍ
من الناسِ إلا من أجدَّ وشَمرا

(١) وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذبياني وكنيته أبو أمامة شاعر جاهلي
اشتهر بدمه للنعمان بن المنذر واعتذارياته له ، وكان شريفا مقدما فسي
قومه فغض منه الشعر ، عده ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥١ ، والشعر والشعراء ج ١
ص ٧٣ ، والاغانى ج ٢ ص ١١ .

(٢) لباب الآداب لاسامة بن منقذ ص ٢٧ تحقيق أحمد شاكر ، الناشر دار
الكتب السلفية سنة ١٤٠٧ هـ نشرت عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤ هـ .

ولا ترفى من عيشٍ بدونٍ ولا تنم
وكيف ينام الليل من بات معسرا

...

فالشاعر يقول : عليك أيها الإنسان بالاجتهاد في طلب الرزق فإنك إن لم تطلب معاشك بنفسك شكوت الفقر المستديم ، وغذلت أصدقاءك لعدم معاونتهم لك ، وصرت عالة على أقبائك ، فيبغضونك ويتخلون عنك ، ولكن اعمل الأسباب لطلب الرزق الذي يغنيك عن الناس ، ولو كان في ذلك مشقة وتعبا .

فاضرب في الآفاق للحصول على المال ففي السفر منفعة عظيمة ، فإما أن تعيش ثريا عزيزا كريما ، أو تموت في سبيل ذلك فتعذر في أمرك .

وعليك بالمشاورة والصبر فالمال لا يحصل الا (لمن أجدّ وشمرا) وعليك بعلو الهمة فلا ترفى بالعيش الدنيء ، وأتعب نفسك واسهر الليالي لكسب تحصل على العيش الرغيد والرزق الوافر الكثير (فكيف ينام الليل من بات معسرا)

والشاعر أحبة بن الجلاح الأوس^(١) كذلك يوصي المرء بأن يطلب غناه ورزقه بنفسه وأن لا ينظر الى ما بأيدي الناس يقول^(٢) :

استغني أو مت ولا يفررك ذو نسب
من ابن عم ولا عم ولا خال

(١) أحبة بن الجلاح بن الحرث بن جحبي الأوس ، وكنيته أبو عمرو ، شاعر جاهلي مقل ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت أم عبد المطلب ابن هاشم تحته ، انظر الاغانى ج ١ ص ١٥ ٢٧ خزائن الأدب ج ٣ ص ٣٥٧

(٢) ديوان أحبة بن الجلاح ص ٧٨ تحقيق حسن باجوده منشورات نادى الطائف الأدبي ١٣١١هـ

يلوون مالهـم عن حق أقاربهم

وعن عشيرتهم والحق للوالى

فاطلب غناك أيها الانسان بنفسك ولا تنظر الى ما بأيدي الناس وخصوصا
أقاربك ، فان هؤلاء الأقارب في كثير من الأحيان لا يفون بحقوق أقاربهم
عليهم ولا حقوق عشيرتهم وأفراد قبيلتهم ، فذلك عليك أن تجد وتشعر عن
ساعدك لتحصل على رزقك من كسب يدك ، وان لم تقدر على ذلك فان الموت
أهون من المنزلة التي ستؤول اليها من الفقر والحاجة ومن منة أقاربك عليك ان
أعطوك .

وللشاعر بيت آخر يؤكد ما قاله في البيتين السابقين يقول (١) :

استغن عن كل ذي قرى وذى رحيم

إن الغنى من استغنى عن الناس

فعليك أيها الانسان أن تستغنى عن أقاربك وذى رحيمك وأن تحصل على عيشك
وغناك من نصيبك وجهدك فإن الغنى (من استغنى عن الناس) .

وإذا كان الشعراء الجاهليون قد حثوا على طلب الرزق فإنه بالمقابل حث
الشعراء الإسلاميون على ذلك وأوصوا به ولكن من طرقه المشروعة ومن الرزق الحلال .

ومن هنا لم يعد هناك من يوصى في طلب الرزق بالإغارة والملب والنهب
كما نجده عند عمرو بن الورد ، بل على الإنسان أن يطلب معاشه من الله سبحانه
وتعالى وأن يبذل الأسباب لذلك ، وهذا من تأثير الاسلام في نفوس الشعراء
الإسلاميين .

(١) المصدر السابق ص ٦٦ .

فالخليفة الراشد على بن أبي طالب رضى الله عنه يوصى المرء بأن يطلب الرزق الحلال وأن يستغنى عن الأراذل يقول (١) :

وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ بَابِ حِلٍّ
يَضَاعَفُ عَلَيْكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَصَنْ مِنْكَ مَاءَ الْوَجْهِ لَا تَبْذُلْنَهُ
وَلَا تَسْأَلِ الْأُرْذَالَ فَضَلَ الرِّغَائِبِ
...

فعلى رضى الله عنه يوصى المرء أن يطلب الرزق الحلال وأن يجتنب الأمور المحرمة لأن ذلك مما يضاعف الرزق ويكثره ، لأن الله سبحانه وتعالى ييسرك فيه ، وعلى الإنسان أن يصون ماء وجهه فلا يطلب رزقا من اللثام والأراذل ، لأن هذا مما يحقره ويهينه ويدل على طلب الأراذل واللثام عليه أن يجد فى طلب معيشته من وجوه الحلال ، ويقول فى مقطوعة أخرى (٢) :

لَا تَطْلُبَنَّ مَعِيشَةً بِمَذَلَّةٍ
وَارِثًا يَنْفُكُكَ عَنْ دِينِ الْمَطْلَبِ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ فِدَاوِ فَقْرَكَ بِالْفَنَى
عَنْ كُلِّ ذِي دَنَسٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
فَلْيَرْجِعَنَّ إِلَيْكَ رِزْقُكَ كُلَّهُ
لَوْ كَانَ أَحَمَدَ مِنْ مَحَلِّ الْكُوكَبِ
...

فعلى رضى الله عنه يقول : طلب الرزق يجب أن يكون بعزة وشيوخ وإباء للنفس فعليك أيها المرء أن لا ترضى بالمعيشة الذليلة ولو كان فى ذلك غناك ، وارفع

(١) شعر الخلفاء ص ٣٩ تفسير نهال خماسي .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

قدر نفسك فلا تسأل الناس ما بأيديهم .

وإذا نزلت عليك أيها الإنسان بلوى الفقر في يوم من الأيام فهناك علاج ناجح لهذا الهلاك والمريض ، وهو التداوى بغنى النفس ، وخصوصاً عن سبب الأخلاق والطباع وهم اللثام والأرجاس الذين لم كجلد الأجر لفتح أخلاقهم وسوء طباعهم .

وعليك بالانتكال على الله والقناعة لأن رزقك الذى كتب لك سيأتيك بأجمعه ولقد لك أن هذا الرزق بعيد النال صعب الحصول .

والشاعر النمر بن تولب العكلى (١) رضى الله عنه يوصى المرء بأن لا ينظر الى ما في أيدي الخلائق وأن يرجو الله وحده في طلبه للرزق يقول (٢) :

لا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِئٍ فِي مَالِهِ
وعلى كرائم صلبٍ مَالِكَ فَاغْضَبِ
وإذا تصبَّكَ خَصَاصَةً فَارْجُ الْغِنَى
وإلى الذى يعطى الرغائبَ فارْغَبِ
...

فالشاعر يقول عليك أيها المرء أن لا تنظر الى ما بأيدي الناس وأن لا تغضب على أحد إذا لم يمنحك من ماله شيئاً ولا تلوكه بلسانك فهو حر في ملكه يتصرف

(١) هو النمر بن تولب بن أقيش العكلى شاعر مقل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم وحسن إسلامه ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والنمر شاعر جواد واسع العطاء كثير القرى وهاب لماله ويشبه شعره بشعر حاتم الطائي وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجوده شعره ، عمر طويلاً حتى أهرق وخرف ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٣١٥ ، والأغاني ج ٢٢ ص ٢٧٣ وخزانة الأدب ج ١ ص ٣٢١ .

(٢) شعراء إسلاميون ص ٣٣٧ د /نورى حمودى القيسى نشر عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ط الثانية سنة ١٤٠٥ هـ . بيروت .

فيه كيف يشاء ، وأعط الناس وأطعمهم من نفائس مالك واقتصر عليها ولا تنظر إلى غيرها .

وإن انتابتك نائبة من نوائب الزمان والفقر فاطلب الغنى من الله سبحانه وتعالى وارغب إليه فإنه هو المقسم لأرزاق العباد جميعا .

والشاعر سهم بن حنظلة (١) يوصي المرء بالجد في طلب الرزق ويحثه على تجشم مصائب السفر والاغتراب في سبيل الحصول على الرزق ، وينعت الشاعر للمرء الخيل التي يجب أن يركبها في سفره بقول (٢) :

يا أيها الراكب المزجى مطيته
لا نعمة تبقي غدى ولا نسيباً (٣)
أعص المواذل وأزم الليل عن عروفي
بذي سبيب يقاسي ليله خيباً (٤)
نابي المعدن خاظ لحمه زهم (٥)
سام يجدد جهاد الخيل منجذباً (٥)
ملء الحزام إذا ما اشتد مخزومه
في كاهل ولسان يملأ اللبب (٦)

-
- (١) هو سهم بن حنظلة بن جأوان بن خويلد الغنوي ، فارس مشهور ، وشاعر محسن ، من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، فأسلم ، انظر المؤلف والمختلف للآمدي ص ١٤٦ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٤٣٥ ، ومن الفائق من معجم الشعراء ص ٧٢ .
- (٢) الأصمعيات ، اختيار أبي سعيد عبد الملك بن قريش الأصمعي ص ٥٣ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، نشر دار المعارف بمصر أزجي مطيته أي دفعها .
- (٣) السبيب : شعر الناصية ، الخيب : ضرب من العدو .
- (٤) المعدن : موضع دفتي السرج ، خاظ : مكتنز اللحم ، لحمه زهم : متفروق مشد ، منجذباً : الانجذاب سرعة السير .
- (٥) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق ، اللبان : الصدر ، اللبب : ما يشد في صدر الدابة لمنع استئثار الرجل أو السرج .

- يَظَلُّ يَخْلُجُ طَرَفَ الْمَعِينِ مُشْتَرِفًا
 (١) فوق الإكام إذا ما انتصّ وارتقبا
 كالسمع لم يَنْقُبِ الْبَيْطَارُ سُرَّتَهُ
 (٢) ولم يَدْجِهْ وَلَمْ يَضْرِبْ لَهُ عَصَا
 عَارِ النَّوَاهِقِ لَا يَنْفَكُ مُقْتَمِدًا
 (٣) في المظنّبات كاسراج القطا عَصَا
 ترى الصّاجيجَ تَمْرَى بعد ما لَغِبَتْ
 (٤) بِالْقَدِّ مَرِيًّا وَمَا يَمْرَى وَمَا لَغِبَا
 يَدْنِي الْفَتَى لِلْفَتَى فِي الرَّاغِبِينَ إِذَا
 (٥) لَيْلُ التَّامِّ أَهَمَّ الْمُقْتِرَ الْعَزِيَّا
 حَتَّى يُعَادِفَ مَا لَا أَوْ يُقَالَ فَتَى
 (٦) لاقى التّى تَشَعَّبَ الْفَتَيَانِ فَانْشَمَبَا

...

فالشاعر يقول : اعص أيها المرء الفواني والمآذلات اللاتي يخوفنك
 منه أخطار سفره واطلب الرزق والغنى من كسب يدك .
 وسافر غير وجل ولا خائف واقطع الفياض والقفار طلبا للمعيش على فرس أصيل
 . يقطع الليل أجمعه مخبا ، تعجز الخيل عن اللحاق به لسرعة عدوه وقوته .
 لاكمال خلقه ، واشتداد لحمه واكمال جميع صفات الحسن فيه ، فلم يحتاج

- (١) يخلج : يحرك ، انتص : ارتفع ، ارتقبا : اشرف وعلا فوق رابية أو علم .
 (٢) السمع : ولد الذئب من الضبع .
 (٣) عارى النواحق : الناهقان عظامان شاخصان من ذى الحافر في مجر الدمع
 ويقال لهما النواحق ، وعريهما : تجردهما من اللحم ، مقتعدا : مركوبا ،
 المظنّبات : التى يتبع بعضها بعضا في الجرى .
 (٤) الصّاجيج : الجياد الروائع من الخيل ، تَمْرَى : يستخرج ما عدها من الجرى
 بالسوط ، لَغِبَتْ : تعبت ، الْقَدِّ : السوط .
 (٥) ليل التّام : أطول ليالى الشتاء ، الْمُقْتِر : الفقير المقل ، الْعَزِيَّا : الذى
 لا زوج له . (٦) تشعب الفتيان : أى تهلكهم وتفرقهم ، ويقتصد بها النية .

إلى البهطار يوما لمعالجته لخلوه من جميع الأمراض ، فإما أن تصادف ما لا فسى
سفرك هذا وتستغن عن الناس ، أو تلاق الموت فتعذر ، فأحد هذين الأمرين
أشرف من سؤال موالى السوء .

ويكمل الشاعر وصيته بقوله (١) :

إِنْ أَنْتَبَاكَ مَوْلَى السَّوِّ تَسَالَهُ
مِثْلَ الْقُعُودِ وَلَمَّا تَخَّيْذُ نَسَبَا (٢)
إِذَا افْتَقَرْتَ نَأَى وَاشْتَدَّ جَانِبُهُ
وَإِنْ رَأَى غِيًّا لَنْ وَاقْتَرَبَا
وَدَوِ الْقَرَابَةَ عِنْدَ النَّهْلِ يَطْلُبُهُ
وَهُوَ الْبَعِيدُ إِذَا مَا جِئْتَ مُطْلَبَا
لَا يَحْمِلَنَّكَ إِقْتَارٌ عَلَى زَهْدٍ
وَلَا تَنْزِلْ فِى عَطَاءِ اللَّهِ مُرْتَغِيَا
لَا .. بَلْ سَلِ اللَّهَ مَا ضُنُّوا عَلَيْكَ بِهِ
وَلَا يَمَنَّ عَلَيْكَ الْمَرْءُ مَا وَهَبَا
...

إن وقوفك على باب لثيم دنى ، تطلب منه معونةً ورفداً مثل قعودك صفر
اليدين لا مال معك لأنه لن يمنحك شيئاً ما طلبته ، لسوء أخلاقه وطباعه ، واعلم
أنك إن افتقرت ابتعد عنك هذا اللثيم وقلب لك ظهر المجن ، وإن أحسن يغبناك
اقترب منك وألان جانبه لك طلباً للنوال والهبات منك .

واياك والبخل فلا يحدو بك الفقر إلى الإمساك وعدم البذل ، فالله الذى

(١) الأصمعيات ص ٥٥ .

(٢) انتيابك : أى قصدك له مرة بعد أخرى ، النسب : المال الأصيل .

وهب لك هذا المال موجود فلا تنفك عن رجائه والطمع فيما عنده ، واسأله سبحانه وتعالى بما ضنوا به عليك لأنه بيده مفاتيح الرزق ، ويدعوتك إياه ، وإخلاصك له ، واقتدارك إليه تعلم من منى الرجال إن أعطوك .

ومن الوصايا في الاعتماد على النفس وعدم النظر إلى ما بأيدي الناس وإن كان قريباً في نظر بعضهم قول أبي الأسود الدؤلي (١) :

فلا تشعِرِ النَّفْسَ يَأْساً فَإِنَّمَا
يَعِيشُ بِجِدٍّ حَازِمٌ وَلَيْدٌ
وَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالٍ جَارٍ لِقَرْنِهِ
فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بِعَيْدٍ (٢)
...

فعلى المرء أن لا يشعر بنفسه باليأس لما فاته من الرزق ولكن عليه أن يبتغي طلب الرزق ويجتهد فيه ويعمل له أسبابه .

فبالعمل الدؤوب والجهد المتواصل يعيش الإنسان ويكسب رزقه سواء كان حازماً وصاحب رأى شديد أو كان رجلاً قليل الفهم والذاكرة بلهياً لأن مدار كسب الرزق على الجد والاجتهاد والسعي الدؤوب المتواصل .

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندل بن الدئل ، تابعي من أهل البصرة ، وكان من أصحاب علي رضي الله عنه في معركة صفين ، شاعر مجيد مات بالبصرة بعدما هزم سنة ٦٩ هـ في طاعون الجارف .
انظر طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٢ ، والشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٣٣ .

(٢) ديوان أبي الأسود الدؤلي ص ١٥٢ صنعة السكري بتحقيق محمد حسن آل ياسين ، نشر دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ط الأولى سنة ١٩٧٤ م

وعلى المرء أن لا ينظر الى ما في أيدي الناس وإن كان جاره الملاصق له لأن الشيء وإن كان قريباً إذا لم يستطع أحد نواله فهو بعيد جداً .

وقد أوصى الشعراء بالحذر من الكسب الحرام لأنه لا بد أن ينفق في يوم من الأيام وخصوصاً إذا علمنا أن الدنيا غدارة غير مأمونة الجانب فقد ينقلب هذا الغنى الى فقر في طرفة عين يقول في ذلك الحسين بن مطير الأسيدي (١) :

وقد تَغَدَّرَ الدنيا فَيَضْحَى غَيْبُهَا
فَقِيْرًا وَيَغْنَى بَعْدَ بَوْمَسٍ فَقِيْرَهَا
فَلَا تَقْرَبِ الْأُمَرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ
حَلَاوَتُهُ تَغْنَى وَيَقْسُ مَرِيْرَهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَغْيِيْرِ عَيْشَتِهِ
وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ اكْدَارٍ غَيْرَهَا (٢)

...

فالدنيا غدارة ليس لها أمان ، فقد تنقلب الموازين في لحظة من اللحظات فيغنى الفقير بعد بومس وعوز وحاجة ، ويفتقر الغنى بعد وجاهة وثراء ، فإذا كان الأمر كذلك فإن على المرء أن يصحح طريقه في طلبه لرزقه وماله ، ويجتنب الكسب الحرام ، لأن حلاوة هذا المال تذهب مع مرور الزمن ولكن الإثم الذي لحقه من جراه كسبه له من طريق غير مشروع يبقى أبد الدهر ولن يزول حتى

(١) الحسين بن مطير بن مكل مولى لبني أسد بن خزيمه . من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، شاعر متقدم في القصيد والرجز فصيح ، مدح بني أمية وبني العباس وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية توفي سنة ١٦٩ هـ انظر الأغاني ح ١٦ ص ١٧ وخزانة الأدب ح ٥ ص ٤٧٥

(٢) الأغاني ح ١٦ ص ٢١ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

يقض الله بين العباد .

والقناعة خلة يجب أن يتصف بها الإنسان فلا يأس على ما فاتته ولا يندم
خصوصاً في طلبه للمعيشة لأن ندمه لن يكسبه شيئاً ولكنه إذا لزم الصبر فإنه
سوف يعوّض خيراً مما فقد منه يقول أبو تمام (١) :

لا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بَعْدَ شَمَائِهِ
فَتَرَوْهُ سَبْعاً إِذَا مَا غَضَا
مَا عُوِّضَ الصَّبْرُ أَمْراً إِلَّا رَأَى
مَا فَاتَهُ دُونَ الَّذِي قَدْ عُوِّضَا (٢)

...

فالشاعر يوصي المرء أن لا يأس على ما فاتته من رزق غاب عنه لأنه إن
استبد به الجأسى استغلقت بوجهه الأبواب وصعبت المسالك وسيجد أن طلب
الرزق مرة أخرى بعد تفريطه بما سبق صعب المنال مخيفاً لن يستطيع أن يصل
إليه مرة أخرى مثله مثل الأسد في غابته لا أحد يستطيع الاقتراب منه لقوة بطشه
وبأسه ولكن على الإنسان أن يتحلى بالصبر وعليه بالقناعة والجد والاجتهاد والمثابرة
وسيعوّض رزقاً خيراً مما فقد منه فكل امرئ أعطى صفة الصبر وتحلى بها وجد أن
الذي فقد منه أقل بكثير مما عوّض وأعطى جزاء صبره ومثابرته .

...

(١) هو حبيب بن أوس الطائي صليبة وكنيته "أبو تمام" ولد بمنبج ، شاعر عباسي
مشهور متفنن في كثير من الأغراض لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما
يستصعب منها له مذهب شعري تميز به وهو مذهب الصنعة وقد قامت لذلك
خصوصيات حوله وحول البحتري في تفضيل أحدهما على الآخر ، مات سنة ٢٣١ هـ
انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٢ والأغانى ح ١٦ ص ٣٨٣ .

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ح ٢ ص ٣٠٣ تحقيق / محمد عبده عزام ، ط
الرابعة نشر دار المعارف ، مصر .

وبعد رحلتنا مع وصايا الشعراء في طلب الرزق والاستغناء بالنفس منذ
العصر الجاهلي ، رأينا كيف أنهم اتفقوا على الحث^{علي} بطلب الرزق والاستغناء بالنفس
مهما كلف الأمر ولكن هناك اختلافا بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي
حيث نرى شعراء العصر الجاهلي يوصون بطلب الرزق من أي وجهة ومن أي باب
حتى ولو بالإغارة والبطش كما هو عند عروة بن الورد .

ولكن شعراء عصر صدر الإسلام وما تلاه من العصور أوصوا الإنسان بالجد
في طلب الرزق من الأبواب المشروعة ومن أوجه الحلال كما هو عند علي بن
أبي طالب رضي الله عنه وكما حذر من المال الحرام الحسين بن مطير الأسدي .

وأوصوا بالانكال على الله وعدم الأمل على ما فات واللجوء الى الله في
حال الفقر والعوز مع ايصائهم بالجد والاجتهاد والثابرة والعمل الدؤوب كما
نرى ذلك عند النمر بن تولب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٢ - الحث على الكرم وإنفاق المال :

الكرم وبذل المال من الصفات التي حمدها العرب في جاهليتهم وأشدوا بها وتغنوا بحديث من اتصف بها وأوصوا بها ودعوا اليها . وقد أكد الإسلام على التخلق بهذه الصفة وحث الناس عليها .

وقد كان للظروف التي عاشها العرب ارتباط وثيق بهذه الصفة الحميدة . وأهم هذه الظروف صعوبة المعيشة وقلة أسبابها في الجزيرة العربية الصحراوية . فصار عندهم إكرام الضيف وبذل المال للمحتاجين من الأوصاف الحميدة والمدح العظيمة وقد اشتهر العرب بهذه الصفة وتميزوا بها عن غيرهم من الأمم وتواصوا بها .

وكان لإنفاق المال والكرم مزايا عظيمة لعل من أهمها ستر عيوب الشخص فلا يعرفها الناس لاشتهاره بالكرم والمروءة . أما إن كان على النقيض من هذه الصفة واتصف بالبخل والشح فإن عيوبه ستظهر للملأ صغيرة كانت أم كبيرة . لأن أقبح هذه العيوب قد ظهر للناس وهو البخل . يقول طرفة بن العبد ^(١) :

يُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بَخْلُهُ
وَيَسْتَرُّ عَنْهُمْ جَمِيعاً سَخَاؤُهُ

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان البكري شاعر جاهلي أحدث الشعراء سنّاً وأقلهم عمراً قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين وقيل قتل وله ست وعشرون سنة . قتله عمرو بن هند بإيعازة أبي عاملة على البحرين . في قتله قال عنه أبو عبيدة : طرفة أجودهم وأحده

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٣٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ١١ ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص ج ١ ص ٣٦٤ .

(٢) ديوانه ص ١٣٨ تحقيق درية الخطيب ، ولطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

تَفَطَّ بِأَسْبَابِ السَّخَاةِ فَإِنِّي
أَرَى كُلَّ غَيْبٍ وَالسَّخَاةِ غُطَاوُهُ

...

ومن الوصية على إنفاق المال والحث على الكرم والنبيل والنهي عن الشح
والبخل قول عدى (١) بن زيد العبادي (٢) :

وَلَا تَلَحْ إِلَّا مِنْ أَلَمٍ وَلَا تَلْتَمِ
وَبِالْبَذْلِ مِنْ شَكْوَى صَدِيقِكَ فَامْتَدِدْ
عَسَى سَائِلًا فَيُحْتَاجُكَ إِنْ مَنَعْتَهُ
مِنْ الْيَوْمِ سَوَّلًا أَنْ يَسُوءَكَ فِي غَدٍ
وَاللَّخْلِقِ إِذْ دَلَّ لِمَنْ كَانَ بَاخِلًا
ضَمِينًا وَمَنْ يَبْخُلْ يَذَلْ وَيَرْهَقْ
وَاللَّخْلِقِ الْأَوَّلَى لِمَنْ كَانَ بَاخِلًا
أَعْفُفٌ وَمَنْ يَبْخُلْ يُلَمُّ وَيَلْهَقْ

...

فالشاعر يوصي الإنسان ببذل قسط من ماله لصديقه إذا نزلت به نازلة
أو حلت به مصيبة وأن لا يرد سائلا جاءه مستجديا وطالبا نواله لأن الدنيا
متقلبة الأحوال ، فلربما انقلب ما استحسنته اليوم من رده لهذا الرجل المسترفد

(١) عدى بن زيد بن حماد بن أيوب التميمي ، كان كاتباً لكسرى ، شاعر فصيح
من شعراء الجاهلية وكان نصرانياً وليس من يعد في الفحول ، قال عنه
الأصمعي وأبو عبيدة : عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم
يعارضها ولا يجرى مجراها ، قتله النعمان بن المنذر .

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ص ١٣٧ والشعر والشعراء ، ج ١
ص ٢٣١ والاعاني ، ج ٢ ص ٩٧ .

(٢) ديوان عدى بن زيد العبادي ص ١٠٧ - ١٠٨ تحقيق محمد جبار المعين
نشر وزارة الثقافة بغداد سنة ١٩٦٥ م .

إلى استياء وندم في يوم آخر ، لأنه قد يحتاج إلى هذا الشخص في يوم من الأيام ويركع ذليلاً أمامه طالبا من عطاياه لنزول نازلة بساحته أو حلول هيبسة الفقر في داره .

ومن اتصف بالشح والبخل لقي جزاءه من أفراد مجتمعه وقومه وهو الإهانة والذل ، وانحطت منزلته بينهم . بل إن منزلته عند قومه ستكون في الحضيض لأن البخل دائما يذل ومهان يخوف من الناس مزهود فيه فلا يساوى عندهم شيئا .

ويتابع الشاعر وصيته فيوصي المرء الذي بخل مرة واحدة أن لا يعود لها مرة أخرى إذا أراد أن يستنقذ عرضه من الناس ولا يندس سمعته ويجعلها فسي أسفل سافلين لأن من اتصف بالبخل فسوف يسب ويشتم ويذل أيما اذلال .

وفي هذا المعنى نجد زهير بن أبي سلى ^(١) يوصي المرء بالكرم والبذل يقول : ^(٢)

وَمَنْ يَكْ ذَا فَضْلٍ وَيَبْخُلْ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمِهِ يَتَفَنَّ عَنْهُ وَيُذَمِّ
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَلْسَرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الْقَتْمَ يَفْتَمِ

(١) هو زهير بن أبي سلى - واسم أبي سلى ربيعة بن رباح بن قرط بن الحارث المزني ، شاعر جاهلي عده ابن سلام في الطبقة الأولى من طبقاته ، قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه أشعر الشعراء لأنه لا يعاقل في كلامه ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ويعد زهير من المتحنفين في الجاهلية ، مات قبل البعثة النبوية .

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥١ والشعر والشعراء ج ١ ص ١٤٣ والاغاني ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢) شرح ديوان زهير ص ٣٠ صنعة أبي العباس ثعلب نسخة صورة عن طبعة دار الكتب المصرية نشر دار القومية سنة ١٩٨٤م القاهرة .

فالناس لابد قائلون ومتكلمون ، فذلك يجب على المرء أن يشتري عرضه
من الناس بالبذل والكرم ، ويجعل المال حاجزاً عن المساس بعرضه .

أما إن بخل وضم بما يملكه على قومه وحرص عليه فلا يلومن إلا نفسه لأنهم
سوف يستهزئون به ويذمونه ويشتمون ، لأنه هو الذى جنى على نفسه وعرضها لا لستهم .
ويقول سليمان (١) ذو الدنة (٢) :

إذا المرء لم يستر عن الذم عرضه
بيلغة ضيف أو بحاجة قاصد
فما المال إلا مظهر لميوه
وداع إليه من عدو وحاسد
وما المرء محموداً على ذى قرابة
كفاه مهماً دون نفع الأبعد
ومن لا يواتيه على الجود وجده
فإن جميل القول إحدى المحائد
...

فالشاعر يوصى الإنسان أن يحص عرضه من الذم والانتقاص بإكراهه لضيفه
وقضائه لحوائج القاصدين إليه وعلى المرء أن يساعد الأبعد من الناس ولا يكتفى
ويقتصر بنفعه ومعرفته على أقاربه ، حتى يسلم عرضه وجاهه من الانتقاص والسب ،
لأن إمسك المال والبخل يدعو إلى اظهار الميوه والثالب ، وإذا لم يكن فى يد
المرء كفاية لقضاء حوائج من جاء طالبها نواله ولم يواتيه على الجود وجده .

(١) هو سليمان ذو الدنة بن عمرو بن الحارث بن منقذ بن الوليد الهمدانى
الأرجبى شاعر جاهلى ، لم أجد له سوى هذه الترجمة فى شعر همدان فى
الجاهلية والإسلام ص ٢٥٩ .

(٢) شعر همدان فى الجاهلية والإسلام ص ٢٥٩ جمع وتحقيق محمد عيسى أبى
ياسين ، نشر دار العلوم ، الرياض ط الأولى سنة ١٤٠٣ هـ .

فالكلام الحسن والرد الجميل يعد إحدى المحامد .

وحاتم الطائي (١) الجواد المشهور يوصى المرء ببذل وإنفاق المال وينهى عن إمساكه وبقائه بيده يقول (٢) :

أَهْنِ فِي الذِي تَهْوَى التَّلَادَ فَإِنَّهُ
يَصِيرُ إِذَا مَا مِتَ نَهْبًا مُقْسًا
وَلَا تَشْقِينَ فِيهِ فَيَمْعَدَ وَارِثٌ
بِهِ حِينَ تُحْشَى أَغْبَرُ الْجَوْفِ مُظْلِمًا
...

فالشاعر يوصى الرجل الغني بقوله : إن عليك أيها الثرى أن تهين هذا المال النفيس الذي بين يديك وإهانتة هي بذله وإنفاقه على قومك وطالبي نوالك وفيما تهواه من لذات وطعام ، وعليك أن لا تبخل على نفسك وطالبي نوالك لأن هذا المال الذي جمعته وتعبت فيه سيتحول من ملكك ويصير إلى ملك وارثك الذي يأخذه غيبة من غيرك ولا تعب ويأكله لقمة سائغة .

وعليك أيضا أن لا تشقى بتسمية المال وعكسك دون أن تعطى منه أحدا بسل أنفقه لأنك سترحل عنه ولن تستفيد منه بعد ما تفرطك يد النون وتوضع في قبر ضيق مظلم ، ولكن المستفيد منه هو وارث هذا المال الذي : (٣)

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج من طي ، شاعر جاهلي جيسد الشعر ، وكان جوادا كريما ويعد أحد أجواد العرب المشهورين أخباره في الكرم والمروءة كثيرة قال عنه ابن الأعرابي كان حاتم من شعراء الجاهلية وكان يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله .

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٤٢ وخزانة الأدب ج ٣ ص ١٢٧ .

(٢) مختارات شعراء العرب لابن الشجري ص ٤٨ تحقيق على البجاوي ، نشر دار نهضة مصر ب . ت .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٩ .

يَقْسِمُهُ غُثَا وَيَشْرِي كَرَامَهُ
وقد صُرْتُ فِي خَطٍّ مِنَ الْأَرْضِ أَعْظَمًا
قَلِيلًا بِمَا يَحْدَنِّيكَ وَارِثٌ
إِذَا سَأَلَ مَا كُنْتَ تَجْمَعُ مَغْنَمًا
...

فيقتسم الورثة هذا المال الذي أمضيت في جمعه السنين الطويلة ولم تنفقه
في وجوهه الكثيرة كما تفتتسم الغنائم ، فيعدون هذا المال الذي حصل لهم غنيمة
حصلوا عليها من غير حرب أو ضرب ، وأكثر الورثة غير قانعين بنصيبهم من مالك
الذي جمعت لهم فلن تسلم من ألسنتهم ، فبدل حمدك وشكرك وذكرك بالخير
جزاء ما أبقيت لهم ، يذمونك لأنك لم تبق لهم مالا أكثر مما حصلوا عليه -
وهذا هو جزاء المسك البخيل .

ويواصل الشعراء وصاياهم وحشهم على البذل والإنفاق فيقول تميم ^(١) بسن
مقبل ^(٢) :

فَاخْلِفْ وَأَتْلِفْ إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ
فَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ
فَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وَأَيْسَرُ هَالِكٍ
على الحق من لا يبلغ الحق نائله

(١) هو تميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف من بني المعجلان ، شاعر مخضرم
أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان يبيكي أهل الجاهلية ، بلغ مائة وعشرين سنة .
وكان يهاجى النجاشي فأقذع النجاشي في هجائه فاستعدي عليه عمر فسي
قصتها المشهورة .

انظر ترجمته في الإصابة ج ١ ص ٣٧٧ ، وخزانة الأدب ج ١ ص ٢٣١ .

(٢) ديوان تميم بن مقبل ص ٢٤٣ تحقيق عزة حسن ، دمشق سنة ١٣٨١ هـ

فتميم يوصي المرء أن ينفق ويبذل من ماله على أصحابه وأقاربه وقبيلته قبل أن يموت ويرحل ويترك ماله ، فإنه إن مات ولم يهل بذله ومعروفه إلى ذويهم وأصحابه ، فإنه سيرحل عن الدنيا غير مأصوف عليه لأن خيره وبره لم يهل إليهم ولم ينطق ألسنتهم بالمدح له والثناء عليه فإن " أهون مفقود وأيسر هالك على الحي من لا يبلغ الحي نائله " .

وقد واصل الشعراء الحث على البذل والكرم واستمروا في القول وفي بيان قيمة هذه الصفة الحميدة ، فبعد الشعراء الجاهليين أتى الشعراء الإسلاميون ليتموا ما بدأه الأسلاف .

فأبو الأسود الدؤلي يوصي الإنسان ويحثه على الإنفاق وسط الهد وذلك في قوله : (١)

عَدَّ مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلًا وَنِعْمَةً
عليك إذا ما جاءَ لِلْخَيْرِ طَالِبُ
وإنَّ امرأً لَا يُرْتَجَى الْخَيْرُ عِنْدَهُ
يَكُنْ هَيْنًا ثَقَلًا عَلَى مَنْ يَصَاحِبُ
فَلَا تَتَمَنَّ أَنْ حَاجِبٌ جَاءَ طَالِبًا
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاقِبُ
...

فالشاعر يقول : عليك بالإنفاق والبذل فلا ترد سائلا جاءك طالبا النوال والمعونة ولا تخلق الأعذار الواهية لكي تبعده عنك وتترك فضل الله عليك الذي أنعم وأعطاك بل انفعه بجودك وأعطه من رزق الله الذي رزقك .

واعلم أن البخل خصلة ذميمة وأن البخيل هين الجانب ثقيل على أهله

(١) ديوانه ص ١٤٢ .

وأصحابه لا يرتجى عنده خير ولا معروف ، فاحذر من الوقوع في هذه الصفة القبيحة ولا ترد سائلا مهما كانت حاجته ، فالدنيا دول يوم لك ويوم عليك فلربما احتجت لهذا الشخص الذى طردته ومنعته - فى يوم من الأيام - فذهبت اليه طالبا العطاء والمعونة .

وصية أبى الاسود يذكر فضل الله سبحانه وتعالى على الإنسان هي من أثر الاسلام فى نفس الشاعر ، فقد ضمنها معنى قوله تعالى (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا) (١) وقوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (٢) .

ومن ذم البخل والإمساك والحث على البذل والإنفاق قول محمد (٣) بن أبى شحاذ الضبى (٤) :

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ
بِفَضْلِ الْغِنَى الْغِنَى أَلَيْسَتْ مَالَكَ حَامِدُ
وَقُلْ غَاءَ عَنْكَ مَالًا جَمَعْتَهُ
إِذَا صَارَ مَوْثِقًا وَوَارَاكَ لِأَحَدٍ
...

فالشاعر يوصى الغنى أن ينفق ويبذل ولا يركن إلى البخل والإمساك لأن من رزق مالا ولم ينفق به أحدا سخط عليه الناس وذموه وأبغضوه .

-
- (١) سورة إبراهيم آية رقم ٣٤ .
(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٧ .
(٣) محمد بن شحاذ الضبى أو " حميد " شاعر إسلامي . لم أجد له سوى هذه الترجمة فى الحماسة لأبى تمام ح ١ ص ٦١٥
(٤) الحماسة لأبى تمام ح ١ ص ٦١٥

ولماذا لا تتفق أيها الغنى وأنت إذا مت ودفنت في قبرك ووضعك في لحدك لن يصل إليك من مالك شيء ولن تستفيد منه بل سيؤول بعدك إلى وارثك فهو المستفيد من مالك بعدك .

ويقول المقنع الكندي (١) في البذل والإنفاق على العشيرة والقبيلة (٢) :

وَإِذَا رَزَقْتَ مِنَ النَّوَافِلِ شَرَّةً

فَامْنَحْ عَشِيرَتَكَ الْأَدْنَى فَضْلَهَا

يقول : عليك أيها الغنى الثرى الذي رزقك الله هذه الأموال الكثيرة أن تجود على عشيرتك وتمنع أفراد قبيلتك من فضل أموالك ولا تهتمد عنهم وتبخل عليهم فأولى الناس بجودك وكرمك هم أبناء قومك وعشيرتك .

ومن الوصية على بذل المال والكرم لما في ذلك من منافع عظيمة ومن أجلها ستر العيوب واخفاؤها قول الإمام الشافعي رحمه الله (٣) :

وَإِنْ كَثُرَتْ عُمُوكَ فِي الْبَرَاءِ

وَسَرَكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غَطَاءُ

تَسْتَرُ بِالسَّخَاءِ فَكُلِّ عَمِيبٍ

يُغَطِّيهِ كَمَا قَبِيلُ السَّخَاءِ

...

(١) هو محمد بن ظفر بن عمير الكندي كان من أجمل الناس وجها وأمد هم قامة فكان إذا كشف عن وجهه لقع له أي أصيب بالعين فكان يتنقع الدهر كله فسمى المقنع وهو شاعر أموي مقل وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسوءود في عشيرته .

(٢) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٤٣ والأغاني ج ١٧ ص ١٠٨ .
(٣) شعراء أمويون ص ٢١٠ ورنوري القيس نعر عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

(٣) ديوان الامام الشافعي ١٦ ج ١ ص ١٦٠ ط الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ نشر دار العلم للطباعة والنشر جدة .

إنَّ من كُتِرَ عيوبه في مجتمعه وأراد أن يوجد لها سترًا فإنَّ الإمام الشافعي يبين ما يستر هذه العيوب ، إنه البذل والكرم والسخاء الذي يجعل على أعين الناس غشاوة فلا ينظرون إلى عيوب المرء إذا كان سخيا لأنَّ هذه الصفة تغطى جميع الصفات الأخرى ، لما للكرم من سرٍّ عظيم يميل القلوب ، ويستهيوى الألسنة ويفتحها للمدح والثناء .

ويقول إبراهيم بن العباس الصولي (١) في ذم البخل والإسك (٢)
إذا المرء أشرى ثمَّ فَنَّ يرفقه
قدَّعه صريح اللوم تحت القوائيم

فمن كان غياث من بحاله وأمسكه وبخل به فهذا يخبر عن سوء معدنه وعن لوم طباعه وشراسة أخلاقه فعلى الانسان العاقل أن يجتنبه ويبتعد عنه .

ويقول أبو الفتح البستي (٣) في وصيته على الإنفاق والكرم (٤) :
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إخوان
وكن على الدهر معواناً لدى أمل
يرجو تذاك فإنَّ الحرَّ مغوان

(١) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول وكنيته أبو إسحاق ، شاعر عباسي مجيد ، كان يقول الشعر مختاراً ويسقط رذله ثم يسقط الوسط ، ثم يسقط ما سبق إليه فلا يدع من القصيدة إلا اليسير ، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بيتين ، وله نشر يدع أيضاً ، مات بسامراء سنة ٢٤٣ هـ وهو يتولى ديوان الضياع . انظر الأغاني ح ١٠ ص ٢٤٢ ومعجم الأدباء ح ١٦٤ ص ١٦٤ ، ووفيات الأعيان ح ١ ص ٤٤ .

(٢) ديوانه ص ١٦٥ ضمن مجموعة الطرائف الأدبية تصحيح الاستاذ عبد العزيز الهميني نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ١٠٠ .

(٣) هو علي بن محمد بن الحسن البستي وكنيته أبو الفتح ، شاعر مشهور له شعر كثير في التجنيس وغيره وهو صاحب الطريقة الأنثقة في التجنيس الأنيس الديدع التأسيس مات سنة ٤٠٠ وقيل ٤٠١ في بخارى انظر ترجمته في تنبيه الدهر ح ١ ص ١٨٥ وفيات الأعيان ح ٣ ص ٣٢٢ معاهد التنصيص ح ٢ ص ٢١٢ .

(٤) قصيدة عنوان الحكم للبستي ص ٣٦

مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعاً فَلَيْسَ لَهُ
 عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ
 مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالَ النَّاسِ قَاطِبَةً
 إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَّانُ
 أَحْسَنَ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدِرَةٌ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 فَالرَّيْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاعْمِيَّةُ
 وَالْحَرْ بِالْمَدْلِ وَالْإِحْسَانُ يَزْدَانُ
 ...

فالشاعر يوصي المرء بالإحسان للناس وإعطائهم من ماله حتى يستميل قلوبهم إليه ويلهجوا بذكره والثناء عليه لأن الكرم صفة جليلة تكسو المرء جلالاً وعزة وتمسك بقية الميوب عن أعينهم .

ويطلب من الإنسان أن يكون عوناً للمحتاجين ، وخصوصاً من قصدك واتجه إليك وهذه من أهم صفات الرجل الشهم الكريم وهي مد يد العون للمحتاج فسي أي وقت ، أما إن كان بخيلاً مسكاً للمال فليس له في الحقيقة أصحاب وخلان ، لا بتعاضدهم عنه وكرههم له لأن مانع الخير مغبوض محروم من الخلان والأصدقاء ، وعلى العكس من ذلك الجواد الكريم ، فإن من جاد بالمال على المحتاجين أحبه الناس جميعاً ومالو إليه لأن بذل المال والكرم يحس الميوب ويغرس الألسنة عن مشاهدة وذكر الميوب .

ويطلب الشاعر من المرء أن يحسن ما دام الإحسان في مقدوره وفي متناول يده وعليه أن يختتم هذه الفرصة قبل أن تغترب لأن المال لن يدوم في يد الإنسان فلعله إن أراد أن يحسن مرة أخرى لا يمكنه ماله لقلته ، ويذكر الشاعر أن بذل المال والمعروف زينة للمرء الكريم كما أن زينة الریض الأزهار المتفتحة الجميلة ، ونرى

حسن استخدام الشاعر لهذه الصورة البيانية لكي يبرز قيمة البذل والاحسان
وجمالهما ويرغب فيهما .

وما سبق يتضح لنا ما كان للبذل والكرم من منزلة عظيمة رفيعة في المجتمع
العربي في شتى العصور ، وقد أوصى الشعراء كما رأينا بالانصاف بهذه الصفات
الجميلة التي لها منافع ومزايا أهمها ستر العيوب وإخفاء المثالب ، كما أنهم
حذروا من الانصاف بالبخل وصوروه بأبشع الصور وبينوا منزلته الوضيعة وانصاف
البخيل بالحقارة واللؤم وذلك في شتى عصور الأدب المختلفة .

...

٣ - الحث على مصاحبة الأخيار والنهي عن معاشرة اللئام :

المصاحبة والمعاشرة من الأمور المهمة في حياة الإنسان لأن من طبيعته الإنسان اتخاذ الأصدقاء والخلان ، وقلما نجد انساناً منطوياً على نفسه ليس له صديق أو خليل ، وهذه غريزة وضعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان لا يستطيع التخلي عنها . فإذا كان الأمر على ذلك فمن مصاحب المرء ومعاشره ؟ هل يتخبط في أمره ومصاحب كل إنسان سواء كان صالحاً أم طالحاً أم أن عليه أن ينتقى أصحابه ويختارهم .

إن مهمة المرء في هذه الناحية مهمة شاقة فعليه أن ينتقى أصحابه وخلانه وأن يقارن الأخيار ويجتنب اللئام والأشرار لأن أصحاب المرء صورة منه .

يقول عدي بن زيد العبادي موصياً المرء على اختيار الصديق ومبينا أن المرء صورة لصديقه وقرينه (١) :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي
فإن كان ذا شراً فجانبيه سرعة
وإن كان ذا خيراً فقارنه تهتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
...

أي إذا أردت أن تستخير عن شخص وتعرف أصله هو أم طالح فلا تسأل عنه واسأل عن صاحبه وقرينه ، فإن كان انساناً شريفاً قد عرف بهذه الصفة

(١) ديوانه ص ١٠٥ .

فعليك أن تجتنبه وتبتعد عنه وتلوذ بالفرار منه وإن كان خيراً مستقيماً فالزمه واصحبه لأن في ذلك خيراً لك .

ويؤكد الشاعر وصيته هذه مرة أخرى وهي صاحبة الأخيار ومقارنة الإنسان الفاضل فيطلب من المرء أن يلزم الأخيار ذوي الأخلاق الحميدة ويحذره من صاحبة اللثام وذوي المروءات الفاسدة لأنهم سوف يجرونه إلى الأخلاق السيئة والمعاملة القبيحة .

ويقول طرفه بن العبد (١) :

وَقَارِنَ إِذَا قَارَنْتَ خُراً فَإِنَّمَا
يَزِينُ وَيَزِرِي بِالْفَتَى قَرْنَاهُ
وَجَالِسَ رِجَالِ الْفَضْلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى
فَزِينِ الْفَتَى فِي قَوْمِهِ جَلَسَاوَهُ
...

فعليك أيها الإنسان أن تقارن الرجل الفاضل وتبتعد عن اللثام الخذول لأن صاحبة الرجل الفاضل تزين المرء وترفع من قدره بين بني قومه وفي مجتمعه كما أن قرناء السوء يزررون بالمرء ويضعون من منزلته في مجتمعه وقومه .

وإذا جالست أحداً في منتدى ، فعليك مجالسة البررة الأخيار واجتنب مجالسة اللثام .

ويقول ربيعة بن مقروم الضبي (٢) فيمن تجب مصافاته ومودته (٣) :

-
- (١) ديوان طرفه ص ١٣٨ .
(٢) هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر الضبي من شعراء عصر المعدوديين ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وشارك في معارك الفتح الإسلامي ، شهد القادسية وجلولا وغيرها من المعارك ، عمر مائة سنة مائة في ٢٥٠ هـ . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٢٦ وخزانة الأدب ج ٨ ص ٤٣٩ شعراء إسلاميون ص ٢٧٦ .
(٣)

أَصْفِ الْمَوَدَّةَ مِنْ صَفَا لَكَ وَدَّةً
وَاتْرَكَ مَصَافَاةَ الْقَرِيبِ الْأَمَّيْلِ
كَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَدْ صَفَا لَكَ وَدَّةً
وَقَرِيبٍ سَوَّى كَالْبَعِيدِ الْأَعَزَلِ
...

فمن الذى يستحق منك الود والمصاحبة ؟ إنه من طهر قلبه من الحقد وأصفى مودته لك وإن كانت وشائج القرابة بينك وبينه بعيدة ، عليك أن تجتنب قهرن سوء وإن كانت صلة قرابته قريبة منك .

ويحمد الشاعر الى ضرب دليل لكى يوضح وصيته لمخاطبه وهو أنه كثير من القرناء والأصحاب البعيدين عنك فى القرابة وصلة الرحم محبوبون لك مخلصون ودهم لسلامة قلوبهم من الحقد والغشينة ، وبالمقابل كثير من أقبائك وذوى رحمتك ولكنهم أقباء سوء - بعيدون عنك مخفون لك ، فلذلك عليك أن تختار الأشخاص الصافية قلوبهم الخالية من الحقد والحسد ، وإن بعدت عنك قرابتهم وأنسابهم .

ويقول سابق البربرى (١) فى وصيته فى اختيار صاحب العاقل واجتناب اللئيم (٢) :

إِنْ كُنْتَ تَخِيذاً خَلِيلاً ■ فَتَنَّقْ وَانْتَقِ خَلِيلاً
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِفاً ■ فِى الْوَدِّ فَايْغِ بِهِ بَدِيلاً
وَأَقْلُ مَا تَجِدُ اللَّئِيمُ ■ سَمَ عَلَيْكَ إِلَّا مُسْتَطَبِلاً
...

فسابق يوصى المرء المبتغى اتخاذ صاحب و خليل له أن يختار الخليل

-
- (١) أبو سعيد سابق بن عبد الله البربرى ، له أشعار حسنة فى الزهد وهو من موالى بنى أمية سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى ، لم تعرف سنة وفاته بالتحديد .
انظر خزنة الأدب ج ١ ص ٥٣٢ .
- (٢) شعر سابق ص ١١٦ جمع وتحقيق بدر ضيف ، نشر دار المعرفة الجامعية الاسكندرية سنة ١٩٨٧ م .

الصادق في الود والصاحب الفاضل ، ومن لم يتصف بهذه الصفات فعليك تركه واجتنابه لأن من أهم مقومات الصداقة نقاء القلب وصفاء .

والشاعر يحذر من اللثام لأن جميع الميوب الأخلاقية تجتمع فيهم وأقل عيب يتصف به اللثيم هو تطاوله على صديقه واستخفافه به ، وهذا أمر لا يطيقه أحد لأن من حسن الخلق أن يستقبل المرء صديقه بوجه بشوش ، وأن يتواضع له ويلين جانبه ، واللثيم على عكس ذلك تماماً .

ويقول صالح بن عبد القدوس ^(١) في تحذيره من الأحمق لسوء خلقه ^(٢) :

فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ لَا تُصَادِقْ أَحَقَقًا

إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقٌ

فعليك أيها المرء أن تهرب من الأحمق وأن تجتنبه ولا تظهر له السوء والمصاحبة (فالصديق على الصديق مصدق) والصاحب صورة لقرينه .

فمن صاحب أحقق فإن أخلاقه ستسوء ، وسيؤثر عليها هذا الأحمق أثرا سلبيا فمن أراد أن يكسب أخلاقه قبل تدنسها فليجتنب الحمق ويعاشر الأخيار الفضلاء ويقول في بيت آخر يحذر من اللثيم ومن مصاحبته : ^(٣)

وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّثِيمِ فَإِنَّهُ

يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ

(١) هو صالح بن عبد القدوس البصري مولى لأسد ، وكنيته أبو الفضل ، شاعر عباسي مجيد ، أكثر شعره في الحكم والمواعظ ، قتله المهدي وصلبه سنة ١٦٢ هـ لانهاء بالزندقة ، انظر ترجمته في : طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٨٩ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٣ ووفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٩٢ .

(٢) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ للخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان .

(٣) صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره لعبد الله الخطيب ، نشر دار منشورات البصري بغداد سنة ١٩٦٧ م .

فإياك أيها الانسان من صاحبة اللثيم واحذر من عدواه فاللثيم يمدى
بسوء أخلاقه صاحبه ، كما يمدى الأجر من الأبل صحيحها .

ويقول أبو محمد اليزهدي (١) في هذا المعنى (٢) :

آخِ الْكَرَّامَ فَإِنَّ صُحْبَتَكَ الْـ « لَثَامٌ عَلَيْكَ وَهَمَّةٌ

فالشاعر يوصي المرء ويقول له : إن أردت أن تتخذ قريناً فاختر صاحباً
كرهما فاضلاً ، واجتنب الجيس اللثيم لأن مصاحبتك إياه وصمة عار في جبينك لا تمحى
ولا تزول حتى تبتعد عنه وتركه .

ويقول أبو العتاهية (٣) في التحذير من اللؤم واللثام (٤) :

إحذر عليك اللثام إنهم
لَيْسَ يَبَالُونَ مِنْكَ مَا رَكِبُوا
فَنَصَفَ خُلُقِ اللَّثَامِ مَذْ خُلُقِيُوا
ذَلْ ذَلِيلٌ وَنُصْفُهُ شَنْبُ
فَرَّ مِنَ اللَّؤْمِ وَاللَّثَامِ وَلَا
تَدْنُ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ جَرَبٌ
...

- (١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة المعروف باليزهدي المقرئ صاحب أبي عمرو بن
العلاء أحد علماء النحو البصريين ، صحيح الرواية صدوق اللهجة له كتب كثيرة
منها كتاب النوادر ، وكتابه المقصور والمدود ، وكان شاعراً كثير التفنن في الآداب
توفي سنة ٢٠٢ هـ انظر ترجمته في معجم الشعراء ص ٤١٩ والأغاني ج ١ ص ٢١٦
وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٦ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٦٩ .
- (٢) شعر اليزهدي ص ٨٠ جمع وتحقيق د / محسن غياثي مطبعة النعمان النجف ١٩٧٣ م
- (٣) هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان مولى عنزة وكنيته أبو إسحاق أما أبو
العتاهية فلقبه ، نشأ بالكوفة وسكن بغداد وكان يبيع الجرار ، وهو أحد الشعراء
المطبوعين وغزله ضعيف مشاكل لطبايع النساء ، وأكثر شعره في الجنة والنار
والموت والحشر والزهد والمواظ ، مات سنة ٢١١ هـ . انظر ترجمته في الشعر
والشعراء ج ٢ ص ٧٩ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٧ والأغاني ج ١ ص ١٥٠ وفيه
الأغاني ج ١ ص ٢١٩ .
- (٤) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٥ تحقيق د / شكري فيصل مطبعة جامعة دمشق
سنة ١٣٨٤ هـ .

فالشاعر يبدأ وصيته بالتحذير من اللثام ومن الاقتراب منهم لسوء أخلاقهم وفتح معاملتهم وفرهم لا يقدرون صاحباً ولا يبالون بما اقترفت أيديهم من أفعال مشينة ، فالأمر عندهم سواء ، وذلك راجع لفساد أصلهم وسوء منبتهم وكما جاء في الحديث " إذا لم تستح فاصنع ما شئت ^(١) " فلا حياة عندهم وهذه الصفة مهدرة لا قيمة لها لديهم .

ويقسم الشاعر أخلاق اللثام الى قسمين لكن يحذر منها المرء فالقسم الأول من أخلاقهم : الذلة والمهانة فلا تجد من يحترمهم بل الجميع يهينونهم ويحتقرونهم لأنهم لا يترفعون عن الدنيا .

والقسم الثاني من أخلاقهم : ارتكابهم لأعمال سيئة تثير حفيظة المجتمع من حولهم من غير خجل ولا حياة وهذا عائد لفساد طبائعهم .

ويطلب الشاعر من المرء أن يفر من هذا الجنس من الناس أعنى بهم اللثام وأن يفر أيضاً من هذا السلوك - اللؤم - فلا يقترب منه ، فإنه مثلهم مثل الجرب فكما أنك تتحاشى الجلوس مع إنسان أجرب قدر خوفاً من العدوى فتجسأ من القمود مع اللثام وابتمد عنهم ، لأنك إن خالطتهم أعدوك بهذا المرض - اللؤم فاحفظ أخلاقك ومن شرفك بحذرك وهروبك من اللؤم واللثام .

ويقول الشاعر ربعة الرقي ^(٢) محذراً من اللثام أيضاً وموصياً المرء

(١) صحيح البخارى مع الفتح ، كتاب الانبياء ، ج ٦ ص ٥٩٤ حديث رقم ٣٤٨٣ تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، نشر المكتبة السلفية ، د - ت

(٢) هو ربعة بن ثابت الأنصارى الرقى ويكنى بأبى شيابه ونسبته (الرقى) الى الرقة مدينة مشهورة على نهر الفرات ، وهو شاعر عباسى مجيد ، بعد أشعر المحدثين وأحيزهم بيتاً . قال عنه عبد الله بن المعتز : كان " شعره كله مليحاً غزباً مطبوعاً جيداً هيناً توفي سنة ٨٨٢ هـ

انظر ترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥٧ والاغنى ج ١ ص ٢٥٤ وخزانة الأدب ج ٦ ص ٣٠١

باجتنابهم والحذر منهم والبعد عنهم (١) :

وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سِيفَةٍ ۖ وَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ فِي كَهْفِهِ
فَإِنَّ اللَّثِيمَ وَإِنْ خَلَّتْهُ ۖ كَرِيمًا ۖ يَذُودُكَ عَنْ عُرْفِهِ
وَيَرْجِعُ مَحْضُولَ أَخْلَاقِهِ ۖ إِلَى أَصْلِهِ وَإِلَى صِنْفِهِ
...

فالشاعر يوصيك أيها المرء باجتناب اللثيم وأن لا تصاحبه أو تتركه اليه فليس
أمر من الأمور ، وإن كان ثريا ذا مال وفير وجاء واسع ، لأن اللثيم لا يكون كريما
أبدا ، بل يعمل جاهدا على تنفير الناس وطردهم من نواله فلا يجود عليهم
بشيء ، وإن حسبه الناس كريما ، وسبب هذه الخصلة فيه رجوع أخلاق اللثيم وطبائعه
إلى أصله ومنهته الذي نبت فيه ، فمنهته منبت سوء وأخلاقه أخلاق ذميمة لا تتفك
عنه أبدا .

ويصل بنا الحديث إلى أبي فراس الحمداني (٢) في وصيته للإنسان باجتناب
اللثام يقول (٣) :

إِحْذَرْ مَقَارِسَةَ اللَّثَامِ فَإِنَّهُ
يُنْبِيكَ عَنْهُمْ فِي الْأُمُورِ مُجَرَّبٌ

(١) شعر ربيعة الرقي ص ١٠٨ تحقيق د / يوسف حسين بكار نشر دار الاندلس
بيروت لبنان ط الثانية سنة ١٤٠٤ هـ .

(٢) هو الحارث بن سعد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم سيف الدولة
الحمداني صاحب حلب ، يقول عنه الثعالبي " كان فرد دهره وشمس عصره ،
أدبا وفضلا وكريما ونبلا ومجدا وبلاغة ، وشعره مشهور سائر كين الحسنة والجودة
وكان يشبه عبد الله بن المعتز في أوصاف شعره " توفي سنة ٣٥٧ هـ قتل ابن
أخته أبو المعالي بن سيف الدولة .

انظر ترجمته في يتيمة الدهر ج ١ ص ٥٧ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) ديوانه ص ٣٩

قَوْمٌ إِذَا أَيْسَرَتْ كَانُوا إِخْوَةً
وَإِذَا تَرَسَّتْ تَفَرَّقُوا وَتَجَنَّبُوا
...

فالشاعر يوصي المرء باجتناب اللئام والهرب منهم وأن لا يصاحب أحدا من اتصف بهذه الصفة وتحذير الشاعر هذا لم يأت من فراغ ، إنما تمخض عن تجربة شخصية فقد جرب الأمور وعرف حقيقة اللئام ، فهم يقتربون منك ويلتفون حولك في حالة يسرك وغناك ، ولكن إذا احتجت لهم لفقرك وقلة ذات يدك تفرقوا عنك ونبدوك ، لأن مودتهم لك لم تكن مبنية على أساس متين ، إنما هي مودة زائفة يبحثون من خلالها عن مصالحهم الشخصية وريغاتهم الذاتية .

أما أبو الفتح البستي فإنه يحذر الانسان من معاينة الأشرار أيما كان نوعهم فيقول (١) :

مِنْ اسْتَمَّ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفَسَّ
فَبِهِمْ مِنْهُمْ صَلَّ وَتُعَبَّانُ

فاحذر أيها المرء من صاحبة الأشرار أو الركون اليهم ، لأن صاحب لهم سيناله من شرهم ، فمن صاحبهم أو ركن اليهم فكأنما نام وتحت ثيابه أفعى سامية فحياته مهددة بالخطر في أي لحظة ، لما يجرون على الصاحب لهم من مصائب .

ومن خلال ما سبق نرى كيف أن الشعراء قد أوصوا باختيار الصاحب العاقل الأريب ، ونهوا عن الأحق اللئيم لما في أخلاقه من سوء وتقلب ، وقد تعاقب الشعراء على هذا الموضوع في العصر الجاهلي ، وفي المصو الإسلامية التالية السنتي

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٧ .

ركّز فيها الشعراء على اختيار صاحب الفاضل واجتناب اللثام والاشمرار ، وذلك راجع الى أثر الاسلام في نفوسهم ، فقد حث الاسلام على اختيار صاحب والمجالس ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافع الكبر ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، أو أن تبتاع منه أو تجد منه ريحاً طيبة ، ونافع الكبر إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة) (١) .

...

7

(١) صحيح البخارى مع الفتح كتاب البيوع ج ٤ ص ٣٢٣ ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة حديث رقم ١٤٦ ، ج ٤ ص ٢٠٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر احياء التراث العربى ط الثانية سنة ١٩٧٢ م .

٤ - التحلى بالأخلاق الفاضلة :

التخلق بالأخلاق الفاضلة والتحلى بها أمر مهم فى حياة الفرد والمجتمع ، فالمجتمع المثالى هو من يتصف أفرادـه بالصفات الحميدة من حياء وحلم ، فلذلك نجد الشعراء يشوا وصاياهم للمرء حاثين على التحلى بالأخلاق الكريمة الحسنة لما لها من أثر على سلوك الفرد فى مجتمعه وبنى قومه ..

فطرفة بن العبد يوصى المرء بالحفاظ على الحياء والعفة يقول (١) :

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجَنِ قَلَّ حَيَاؤُهُ
وَلَا خَيْرَ فِى وَجَنِ إِذَا قَلَّ مَآؤُهُ
حَيَاؤُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
يَهْدِلُ عَلَى وَجِهِ الْكُفْرِ حَيَاؤُهُ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْشِ مِنَ اللَّوْمِ عِرْضُهُ
وَلَمْ يَنْقُصْ لَمْ يَخِنْ عَنْهُ بَهَاؤُهُ
...

فالشاعر يبين أن الاخلاق الفاضلة هى التى يجب أن يتحلى بها الانسان وعليه أن يصون ماء وجهه فلا يهتف ولا يدنسـه باقتراف الأعمال السيئة التى تذهب المروءة والحياء الذى يزرع المرء الأصيل عن اقتراف الاعمال المشينة . والوجه الذى لا حياء فيه ولا عفة لا خير فى صاحبه فهو امرؤ لثيم وضيع .

ويوصى الشاعر المرء بأن يحفظ هذا الحياء وأن يصون عرضه من السب والشتم والانتقاص من الناس بتحليه بالأخلاق الفاضلة وتجمله بالصفات الحسنة

(١) ديوانه ص ١٣٧ ..

الحميدة وعليه أن يتجنب الأخلاق السيئة الرديئة التي تغل بالشرف وتغدش العرف وتذهب بماء الوجه وتزهل الحياء .

والحياء صفة من صفات الكرام فأول ما يدل على الرجل الكريم هو حياؤه وحسن ستمه الذي يظهر واضحا جلها على محياه .

ويتابع وصيته هذه موضحا للمرء أن عليه أن يظهر شرفه وعرفه ويحافظ عليه من الدنس واللوم وينظفه نظافة تامة من هذه الصفات القبيحة التي تحسوى على جميع الصفات السيئة . ليس هذا فحسب بل عليه أن ينقيه من جميع الشوائب والأخلاق التي قد تودي به إلى التخلق بصفات اللئام ، وإن كان بهس الطلعة جميل المحيا ، وإن لم يفعل ذلك فلا خير فيه ولم تغن عنه صفاته الخلقية الجميلة لأنها عدت جوهر هذه الصفات وهو خلق الحياء .

وإذا غاب المرء على انسان خلقا فعلية اجتنابه لأن افتراءه لهذا الخلق يعد عيبا في أخلاقه وسيرته يقول عدى بن زيد المبادي (١) :

إِذَا مَا تَكَرَّهْتَ الْخَلِيقَةَ لَمْ تَسْرِ
فَلَا تَغْشَهَا وَاخْلَدْ سِوَاهَا بِمُخْلِدٍ
...

فالشاعر يوصي الرجل العاقل بالتخلي بالصفات الحميدة والتخلي عن الصفات السيئة ، وإن لم تعجبه سجية في رجل فعليه أن يعتمد غيرها وألا يتبعه فيها ، وعليه أن يتحلّى بصفة جليلة تخلد ذكره وتحيي اسمه ، لأنه إن وقع في هذه الصفات البغيضة نقص قدره وصارت وصية عار في جبينه .

(١) جمهرة أشعار العرب ج ٢ ص ٥٠٢ لأبي زيد القرشي تحقيق د / محمد علي الهاشمي منشورات جامعة الإمام سنة ١٤٠١ هـ .

والمخيل السعدى ^(١) يوصى المرء أن يتحلّى بالأخلاق الحميدة وذلك بإيمائه بالبعد عن الخنا والغى يقول ^(٢) :

إِذَا أَنْتَ عَادَيْتَ الرَّجَالَ فَلَا قِيَمَ
وَعَرْضَكَ مِنْ غَسِّ الْأُمُورِ سَلِيمٍ
وَلَا يَعْدَمُ الْغَاوِي عَلَى النَّسَى لَأِيْمًا
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَشْفِقْ عَلَيْهِ يَلُومُ

...

فعليك أيها المرء أن تصون عرضك من الجهل والخنا وتبتعد عن الغواية والجهل ، وإن كان لك خصوم وأعداء تتاصبهم العداء لأى سبب من أسباب الدنيا فالمسئولية عليك أعظم فى الحفاظ على الأخلاق الكريمة وحماية عرضك وجاهدك من الانزلاق فى الغواية والضلال لأن مساوىء الأخلاق ورداءتها منفذ ينفذ منه أعداؤك للنيل منك ومحاولة تقريعك والخط من قدرك .

ويركز الشاعر فى وصيته على التحذير من الغى والغواية ويعلنا بأن الرجل الضال لن يترك بدون توبيخ بل سيأنته إنسان فى أحد الأيام يلومه على غوايته وضلالته ليس شفقة عليه ولا رحمة له ونصحا بل استهزاء به وتبكيتا عليه ، فإذا عرفت ذلك أيها المرء فابتعد عن الغواية والضلال ، واتصف بالصفات الحميدة التى تكسبك حمدا فى الدنيا وبعد موتك .

ومن الحث على التحلى بالأخلاق الحميدة ايصاؤهم بالانصاف بالحلم والإعراض عن السفهاء ، يقول الشاعر سابق البربرى ^(٣) :

- (١) هو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن انف الناقة بن قريش التميمي ، شاعر فحل من المذخرين أدرك الإسلام وأسلم ، ويكنى بأبي يزيد ، وهو من المقلين عداه ابن سلام فى الطبقة الخامسة من طبقاته "عمر طويلا" قيل مات نفس خلافة عثمان رضى الله عنه وهو شيخ كبير . انظر ترجمته فى طبقات فحول الشعراء لابن سلام ج ١ ص ١٤٣ والشعر والشعراء ج ١ ص ٤٢٧ والاغانى ج ٣ ص ١٨٩ والمؤتلف والمختلف للأمدى ص ١٢٧ . (٢) شعر تبهم فى الجاهلية ص ١٢٤ جمع وتحقيق د/عبد الحميد محمود المعينى نشر نادى القصيم الأدبى سنة ١٤٠٢هـ . (٣) شعر سابق البربرى ص ٨٥ .

لا تَظْهَرَنَّ لَدَى جَهْلٍ مُعَاتِبَةً
فَرَّتْهَا هُجَّتْ بِالشَّىءِ أَشْيَاءُ
فَالْمَاءُ يَخْمِدُ حَرَّ النَّارِ يُطْفِئُهَا
وليس للجَّهْلِ غَيْرُ الْحِلْمِ إِطْفَاءُ
...

فالشاعر يوصي المرء أن يترفع عن السفهاء ويغض عنهم ، ولا يحاول مجادلة
أحد منهم .

وان سبك أحد منهم أو شتمك فلا تحاول معاتبته لانه أحق لا خير فيه
فلن يسمع إلى عتابك له باللين بل ربما اغاظه ذلك واقترب أمورا لا تحمد عقباها
نتيجة للسفه وجهله ، ولكن عليك أن تتصف بالصفة العظيمة وتحلى بها وهي
" الحلم " فان هذه الصفة تطفيء الجهل ونار الغضب وتهين الجاهل وتجعله
يزدرى نفسه نتيجة لعدم اهتمامك به وإعراضك عنه ، والحلم يشبه الماء في عمله فكما
أن الماء يطفىء النار ويذهب بحرهما فكذلك الحلم يطفىء الجهل ويذهب نثار
الغضب والحق ، فعلى المرء أن يتمسك به .

ونلاحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم حيث استلهم معنى الآية الكريمة قوله
تعالى : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " (١) .

ومحمد بن أبي شحاذ الضبي يوصي بالحلم ويأمر به وذلك عندما يبين
ما يسببه عدم الالتزام به من مصائب يقول (٢) :

إِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَخْلِبْ لَكَ الْجَهْلُ لَمْ تَزَلْ
عليك بروقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ

(١) الاعراف آية رقم ١٦٦ .

(٢) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٦١٥ .

يقول عليك أيها المرء أن تتصف بالحلم فيما يعتريك من مشاكل ومتاعب وأن تغلب حلمك على جهلك فلا تتسرع في جزاء ومعاقبة من أساء إليك ، بل احلم عنه وتخلق بهذه الصفة وأعرض عنه ، لأنك إن لم تفعل ذلك كثرت عليك المشاكل والمصائب فلا تستطيع ردّها ومجازاة من عاملك بها لأنك لن تستطيع أن تلقى كل من عرك حجرا فليس لك ملاذ إلا الحلم الذي به تسلم من السفهاء والحقى .

ومن الحث على الحلم والاتصاف به ما قاله المقنع الكندى عندما بيّن للانسان الصفات التي نخوله لسيادة ورياسة قبيلته وبنى قومه يقول (١) :

وَاحْلَمْ إِذَا جَهِلْتَ عَلَيْكَ غَوَانِهَا
حَقَّ تَرَدُّ بِفَضْلِ حِلْمِكَ جَهْلَهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَكُونُ فَتَاهُكُمْ
حَقَّ تَرَى دَمِثَ الْخَلَاقِ سَهْلَهَا
...

فالمقنع الكندى يتحدث عن الأمور التي يجب أن يتصف بها الفتى خصوصا في معاملته لأفراد قبيلته ، فبعد أن حث المرء على البذل والإنفاق - كما مر معنا - يطلب الشاعر هنا من المرء المحافظة على علاقته بقبيلته لتكون حصنا له تدافع عنه إن نزلت به مصيبة ويوصيه أيضا أن يتصف بصفة جميلة وهي الحلم فعليه أن يكون رزينا حلما إذا أخطأ عليه غواة وسفهاء بنى قومه ولا يستعجل في مجازاتهم وزجرهم ، فإن للحلم عن هؤلاء نتيجة إيجابية حسنة ، وهي إصلاح المجتمع وذهاب الجهل وتحول أخلاق الجاهل إلى السيرة الحسنة بفضل حلم المرء عنهم ، لأنهم سيبحثون عن السبب الذي جعله يعرض عنهم ولا يرد عليهم ، فيتنبهون إلى

(١) شعراء أمويون ص ٢١١

أخلاقهم ويرون ما فيها من معائب. فبشرهم عن

واعلم أيها المرء أنك إذا أردت أن تكون الفتى المقدم في قومك فعليك أن تتحلّى بالأخلاق الكريمة وتلين جانبك لهم وتصير دمت الخلق طلق المحبها مشرق الوجه ، وعليك أن تجتنب سوء الخلق والكبر والجهل وتعرض عن السفها والغواة فبهذه الصفات ستكون الرائد في قومك والمقدم عليهم .

ويقول المرار بن سعيد الفقمسى (١) موصيا بالحلم عندما بين أهم الصفات التي يجب على المرء أن يتصف بها لكي يسود في قبيلته (٢) :

إذا شئت يوماً أن تسود عَشِيرَةً
فبالْحِلْمِ سُدْ لا بالتَّسَرُّعِ وَالشَّمِ
وَاللِّحْلَمِ خَيْرٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَغْبِيَّةً
مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُفَسَّ مِنْ ظُلْمٍ (٣)
...

فيوجه الشاعر المرء الذي عنده همة للمعالي والسودد أن يتجلّى بالحلم وكظم الغيظ والعفو عن الناس فإن هذا العمل هو الذي يرفع الإنسان إلى الذروة ويسوده وليس التسرع في الجزاء والرد على الجاهل بالمثل هو الذي يرفع من شأنه .

(١) هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد الفقمسى ، كان قصيرا مفرطا في القصر ضئول الجسم ، من مخضرمي الدولتين ، وقيل إنه لم يدرك العباسية ، وكان يهاجى المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسى .

انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ، ج ٢ ص ٢٠٣ معجم الشعراء للمرزبانسى ص ٤٠٨ والاغنى لأبى الفرج ، ج ١ ص ٣١٢ .

(٢) الحماسة لأبى تمام ، ج ١ ص ٥٥٩ ؛

(٣) مغبة : عاقبة - شمس : يقال شمس لى فلان ، إذا أبدى لك عداوته كأنه قد هم أن يفعل .

وعلى المرء أن يعلم أن العقبى الحسنة للحلم وليست للجهل فعليك أن تغلب حلمك على جهلك وتكتم غيظك إلا إذا كان " السيل قد بلغ الزوى " من الظلم فلا تستطيع الاحتمال أكثر من ذلك فعليك إذاً أن تأخذ بشارك وتدفع الظلم عن نفسك .

وهذا طريح بن إسماعيل الثقفى (١) يحذر المرء من الوقوع فى الأخلاق المشينة التى ينهى عنها فى بيت يشابه معناه بيت عدى بن زيد الذى سبق ذكره يقول (٢) :

إِذَا كُنْتَ عَمَّاباً عَلَى النَّاسِ فَاحْتَرِسْ
لِنَفْسِكَ مِمَّا أَنْتَ لِلنَّاسِ قَائِلُهُ

فعلى المرء الذى يعيب على الناس الأخلاق السيئة ويصرح بسوء أفعالهم ويسالهم ويبين لهم ما يجب أن يكونوا عليه من حسن أخلاق ، أن يحترس أشد الاحتراس من الوقوع فى هذه الأخلاق والمساك السيئة التى نهى عنها وعابها على أصحابها حتى يسلم عرضه من الشتم والقرص ، لأن من نصب نفسه لهذا المنصب ولم يحصنها عن الأخلاق القبيحة صار مجال سخرة للناس لأنه لم يصلح شأنه فكيف يعيب على غيره ، فليُنظر الى أمر نفسه أولاً قبل أن يعيب غيره .

ومن الوصية بالتخلق بالأخلاق الحميدة النهى عن النفاق والبعد عنه يقول (٣) الصولى :

(١) هو طريح بن إسماعيل بن عبيد الثقفى ، كان شاعراً ظريفاً - ويكنى بأبى الصلت - نشأ فى دولة بنى أمية واستفرغ شعره فى الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بسنى العباس وقدّم على أبى جعفر المنصور ، فهو من مخضرمى الدولتين مات فسى خلافة المهدي انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٨٢ ، والأغانى ج ١ ص ٣٠٢ . (٢) شعر طريح بن إسماعيل الثقفى ص ١٠٨ تحقيق د / بدر أحمد ضيف . دار المعارف الجامعية الاسكندرية ١٩٨٧ م .

(٣) ديوان الصولى ضمن مجموعة الطرائف الأدبية القسم الثانى ص ١٦١

خَلَّ النِّفَاقَ لِأَهْلِيهِ * وَعَلَيْكَ فَالْتَوَيْسَ الطَّرِيقَا
وَاذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُسْرَى * إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

...

فالشاعر يوصي الإنسان ويقول له إن عليك أن تتبعد عن النفاق والمراء
الذى يخدع الإنسان فيحسب العدو صديقا بتلطق هذا العدو له واقتربا
منه وهو في الحقيقة يتحين الفرصة ليغدر به وأن تثبت على خلة واحدة إما أن
تكون صديقا لهذا الشخص وتظهر له الحب وتبطن المودة أو تبغضه وتبغض
البغضاء له ليعرف حقيقتك ولا يخدع بك .

وأبو فراس الحمداني يعود بنا إلى الحث على الحلم والصنع عن كل مذنب
يقول (١) :

يَقُولُونَ لَا تَخْزِقْ بِحِلْمِكَ هَيْبَةً
وَأَحْسَنُ مِنْهُ زَيْنَ الْهَيْبَةِ الْحِلْمُ
فَلَا تَتْرَكَنَّ الْحِلْمَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ
فَمَا الْعَفْوُ مَذْنُوبًا وَإِنْ عَظُمَ الْجُرْمُ

...

عليك أيها المرء العاقل أن لا تسمع إلى ما ينادى به بعض الناس من أن
الحلم والاتصاف به ينقص من هيبة الإنسان ويقلل من شأنه .
فان ذلك مجرد كلام هراء غير صحيح ، والحقيقة
أن الحلم هو المزين للهيبة وتاجها الذي يزين جبينها ، ويجعل المرء مهيب
الجانب عظيم القدر في أعين الناس .

ولا يكن حلمك مقصورا على أحد بل امنحه لكل إنسان أو لأك سوا أو

(١) التذكرة السعدية في الأُسماء العربية ص ٢٦٨ ، لمحمد بن عبد الرحمن
المبيدي تحقيق د / عبد الله الجهوري نشر دار الكتاب العربي ليبيا -
تونس سنة ١٩٨١ م .

اقترب بحقك ذنبا ومهما عظم ذنبه وجرمه فلا يمنعك ذلك من الصفح والمغفرة
لأن الصفح محمود الجانب دائما .

ولأبى الفتح البستي وصية رائعة بحث فيها على التحلى بمجموعة من
الصفات الحميدة وأهمها اللين والرفق وطلاقة الوجه يقول (١) :

كُن رَافِقَ الْبَشْرِ إِنَّ الْحَرَّ هَمُّهُ
صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشْرُ غُنَّوَانُ
وَرَافِقِ الرَّفْقَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
يَنْدَمْ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذُمَّهُ إِنْسَانُ
وَلَا يَغْرَنَكَ حَظُّ جَرَّةٍ خَسِرَاقُ
فَالْخُرْقُ هَذُمٌ وَرَفْقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
فَإِنْ لَقِيتَ عَدُوًّا فَالْقَلْبُ أَبَدًا
وَالْوَجْهُ بِالْبَشْرِ وَالْإِشْرَاقُ غَضَّانُ
...

والشاعر هنا يوصي المرء بأن يكون طلق المحيا بشوشا يستقبل من يلاقيه
بالبشر والترحاب والابتسامة لكي يحبه الناس ويألفوه والرجل الحر الكريم يصرف
جل همه للعمل على اكتساب الصفات التي تلين جانبه وتجعله طلق المحيا ليألفه
الناس ويحبوه فعليك أيها المرء باللين والرفق والشفقة في كل الأمور . وذررها
وكبيرها فلم يندم إنسان على شففته ورافته ولم يُسَمَّعْ بإنسان ذم لاتصافه بهذه
الصفة بل إنها صفة يجب على المرء أن يتحلى ويهين أخلاقه بها .

والشاعر يلفت نظر الإنسان أن لا يغتر بما يراه من انتصار للأحقق فسي
لحظة من اللحظات . فإن الحق والبطش لا ينفع دائما فنفعه أتى عن طريق

(١) قصيدة عنوان الحكم للبستي ص ٣٧ .

الصدفة فعليك الإلتزام بالرفق ، فالرفق بناء للخير والمحبة في قلوب الناس ،
والحمق هدام للخلق والخير وبان للشر .

والتزامك أيها الإنسان بهذه الصفات يجب أن يكون في كل حين ومع كل
شخص حتى مع أعدائك ومبغضيك ، وارفح نفسك من مقابلتهم بالعداوة والحقد
فإنك بهذا العمل تسد عليهم طريق النيل منك وترتفع منزلتك فوق منزلتهم
لأن لقاء العدو بالبشر والترحاب ما يرفع منزلة الرجل ويهين العدو ويغبطه .

ونرى تأثر الشاعر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ففي البيت
الثاني عندما حث على الرفق وأوصى بـه ضمن معنى الحديث النبوي : " إن
الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله " (١) .

وفي البيت الثالث أيضا ضمن حديثا آخر عندما قال " فالخرف هدم ورفق
المرء بنيان " وذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم " من يحرم الرفق يحرم الخير كله (٢)

وأخذ معنى البيت الرابع من الآية الكريمة قوله تعالى : " وَلَا تَسْتَوِ
الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ " (٣)

ومن خلال النماذج السابقة يتبين لنا كيف تعاقب الشعراء بالوصية على
التخلق بالأخلاق الحسنة الفاضلة منذ العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع ،
فصدي بن زيد حث على الحياة وصيانة ماء الوجه ، وطرفة بن العبد نهى المرء

(١) صحيح البخاري مع الفتح كتاب استتابة المرتدين ح ١٢ ص ٢٨ ، وصحيح

مسلم كتاب السلام حديث رقم ١٠ ح ٤ ص ١٧٠٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٧٤ ح ٤ ص ٢٠٠٣ .

(٣) فصلت آية رقم ٣٤ .

عن غشيان الخليقة التي يكرهها للناس ويميبهم عليها ، وسابق البربري حث على الحلم والإعراض عن الجبال وقد تأثر بوصيته هذه بالقرآن الكريم وقد تبعه بالحث على الحلم والانتصاف به محمد بن أبي شحاذ الضبي والمقنع الكندي ، والمرار بن سعيد الفقعسي ، وأبو فراس الحمداني .

وقد نهى أبو العباس الصولي عن النفاق وأمر بتركه ثم وقفنا في نهاية المطاف عند أبي الفتح البستي الذي حث وأوصى بمجموعة من الأخلاق الجليلة مثل الرفق وطلاقة الوجه ، وقد رأينا كيف تأثر أبو الفتح بالقرآن والحديث النبوي في وصيته هذه .

...

٥ - استشارة العقلاء :

لا بد للإنسان في هذه الدنيا أن تعترضه أمور صعبة وأحوال سيئة فيصير
لزما عليه أن يتحرر منها ويعمل على التغلب على الشدائد التي حلت به ، فما
العمل الذي عمله حتى يخرج بحل مناسب ؟

هل يستقل برأيه ويعمل على حل أموره بمقدار معرفته وخبرته ؟ أم يستشير
من يثق برأيه وعقله ؟

إن الحزم يقتضى منه أن يختار رجلا قد عركه السنون وجربها ، صاحب
عقل رزين ورأى ثاقب " قد حلب الدهر أشطره " لكي يستفيد من خبرته وتجارب
فانه كما قيل " المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه " .

والشعراء على اختلاف مشاربهم لم يخفلوا هذا الجانب الأخلاقي المهم في
حياة الفرد والمجتمع بل أسهموا بألسنتهم ووجوههم وصاياهم بضرورة الاستفادة من
العقلاء ومن صقلتهم تجارب الحياة .

يقول طرفة بن العبد في الوصية لمشاورة العقلاء والاستعانة بهم (١) :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْتِيلاً * فَأَرْسِلْ حَكِيماً وَلَا تُوصِ
وإن ناصحُ منك يوما دنأ * فلا تتأ عنه ولا تُقصِ
وإن بابُ أمرٍ عليك التوى * فشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِ

...

فالشاعر يوصي الرجل بأن يستعين بالعقلاء ، فإن احتاج إلى أن يرسل
رسولا في حاجة عرضت له فعليه أن يختار لهذه المهمة رجلا عاقلا حكيما مجربا
يكفيه أمره وعليه أن لا يوصيه بشئ ، لينحله حرية التصرف حسب ما يراه مناسباً
وصالحاً لهذا الأمر لكي يرجع من هذه المهمة بالحل المناسب والرأى الصائب .

(١) ديوان طرفة ص ١٦٢

ويقول عليك أيها المرء إن أذاك رجل ينصحك ويوجهك إلى الطريق الصحيح
أن لا تعرض عنه ولا تزور بل أقبل عليه واستفد من نصيحته وتوجيهه لأنك
ستجد الخير في اتباع نصيحته .

ويتابع الشاعر وصيته بالحث على المشاورة ، فمن أصابته مصيبة ، وانسدت
الأبواب في وجهه في أمر من الأمور فعليه أن يتجه إلى إنسان عاقل مجرب
فيشاوره في أمره ويطلب النصح منه على أن يطعمه فيما قال ويتبع مشورته ، ولا
يعصيه ، ولا يطرح ما قاله جانبا ، فمن طريق المشورة والمناسبة تسهل المعاصب
وتتيسر الأمور .

وفي بيتين آخرين لطرفة يوصي بهما المرء أن لا ينصح إلا من يستحق النصح
يقول (١) :

ولا ترفدَنَّ النَّصِيحَ من ليس أهله
وَكَنْ حينَ تَسْتَغْنِي بِرَأْيِكَ غَانِيَا
وَإِنْ امْرَأَةٌ يَوْمًا تَوَلَّى بِرَأْيِهِ
فَدَعُهُ يَصِيبُ الرُّشْدَ أَوْ يَكُ غَاوِيَا
...

فعليك أيها المرء أن تنظر إلى حال المرء المراد نصحه . هل يستحق النصح
أم لا ؟ فإن كان يستحق النصح فأرجه له ولا تبخل برأيك ومشورتك عليه ، وإن كان
لا يستحق ذلك فلا ترفده بالمشورة والنصيحة لأنه لا يستحقهما ولن يعمل برأيك
ومشورتك .

وعليك أيها الإنسان إن استغنيت برأيك ولم تشاور أحدا ، فإنه يكون صاحب عقل
رزين ورأى ثاقب وبصيرة نيرة حتى تملك الرشاد وتسير في الطريق الصحيح .

(١) ديوانه ص ٢٠١ .

ومن تولى عنك ولم يستشرك أو استشارك فعصى مشورتك ولم يتبعها فلا تأس عليه ولا تحزن له سواء أصاب الرشاد أم سلك طريق الضلال والنفس . وإذا كان طرفه قد حث على المشورة والنصح وهو أحد شعراء الجاهلية فإن الشعراء الإسلاميين قد أوصوا بسلوك هذا النهج وهذا الطريق وقد استمدوا رأيهم هذا من واقع الدين الاسلامي الخفيف ، فقد حث الاسلام على الشورى وأمر بها فقال تعالى : " وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ " (١) وقال تعالى : " وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ... الآية " (٢) .

وهذا أبو الأسود الدؤلي يوصي المرء بالمشورة مبينا من هو الرجل الذي يستحق أن يشاور ويطلق يقول (٣)

فما كل ذي لبٍ يُوَفِّيكَ نَصْحَهُ
وما كلُّ مَوْفٍ نَصَحَهُ بِلِيْبٍ
ولكن إذا ما استَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ
فَحَقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيْبٍ
...

فعليك أيها المرء أن تعرف الرجل الذي تشاور وتحسن اختياره فما كل عاقل لبيب سوف يوجهك ويعطيك رأيه ، لأسباب تعود إلى الشخص ذاته ، وما كل من أعطاك الرأي والمشورة بمعاقل يحسن الأخذ برأيه ، ولكن اذا اجتمعت لدى المرء الرغبة في الخير واعطاء النصح والمشورة لمن شاوره وكان عاقلا لبيبا صاحب خبرة وتجربة ، فهذا هو الحكم الذي تأخذ بمشورته وحق عليك أن تطيعه وتمتعي بنصحه وإرشاده .

(١) آل عمران ١٥٩ .
(٢) الشورى آية رقم ٣٨ .
(٣) ديوانه ص ٣٣ .

أما عبد الله بن معاوية بن جعفر فهوى المرأة ألا ييخل على أخيه بالنصح ويطلب منه أن يخلص له في ذلك ولا يخشع يقول (١) :

لَا تَبْخَلَنَّ بِالنَّصَحِ إِنَّ ضَوْؤَ لَوْنَةٍ
بالمرء غشَّ المستفِيرَ المَجْهَدَ
وَاجِبُ أَخَاكَ إِذَا اسْتَشَارَكَ نَاصِحًا
وعلى أخيك نصيحة لا تَرُدُّ
...

فالشاعر يوصي الإنسان ويقول له : "إياك والبخل بالنصيحة على من استشارك وطلب نصحك وإرشادك بل أجبه إلى طلبه عليك أن تخلص له النصيحة وتنحه المشورة الحسنة ولا تخشع فيها ، فإن منع اسداء النصيحة والغش فيها يزرى بالمرء ويضع من قدر الانسان .

وإن قدم لك أحد إخوانك مشورة ونصيحة فلا تردّها عليه بل تقبلها قبولاً حسناً وبصدر رحب .

ويقول الشاعر في بيت آخر عن وجوب إخلاص النصيحة والمشورة لطلالها :

إِذَا الْمَرْءُ أَرَعَى وَاسْتَشَارَكَ فَاجْتَهَدَ
له النصّحَ وَأَمْرَهُ بِمَا كُنْتَ آتِيَا
فعليك أيها الانسان أن تخلص المشورة وتجتهد فيها لمن جاءك مستشيراً ، ولا تردّه وتطرده عن ذلك ، بل أسد له المشورة والنصيحة التي ترضيها لنفسك وتعمل بها لو كان لك الأمر .

(١) شعر عبد الله بن معاوية ص ٤٤ جمع وتحقيق عبد الحميد الراضي ط الأولى

نشر دار الرسالة بيروت سنة ١٣٩٦ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٩ .

وهذا بشار بن برد العقيلي يوصى بالمشورة والمناصحة فيقول (١) :
ومنزلتها يقول (٢) :

إذا بلغَ الرَّأْيُ المشورةَ فَاسْتَعِمْ
برأيِ نصيحٍ أو مشورةِ حازمٍ
ولا تجعلِ الشُّورَى عليكَ غَضاضَةً
مكانُ الخوافي قوةً للقوادِمِ (٣)
...

فالشاعر يوصي المرء بالمشورة والاستعانة بالعقلاء ، فيقول :
عليك أيها الرجل إذا حزبك أمر وألمت بك ملمة وبلغ الخطر ذروته
أن تلجأ إلى المشورة والمناصحة . . . ولكن من الذي تستعين به وتناصحه ؟ عليك
بالرجل الحازم وصاحب الرأي الناصح المخلص لك في نصحه وعليك أن تتبصع ما
يقوله لك ولا يحصه وأن لا تنفر من النصيحة والمشورة وتألف منها وتتكبر
فترى نفسك أكبر من أن يشار عليك أو ينصح لك ، فإن المشورة تقوى ساعدك
وتشد عضدك ومثل المشورة في مكانتها ونتيجتها مثل الخوافي في أسفل
الجناح والتي تساعد القوادِم والأجنحة على الطيران .

وإذا كان بشار يوصي المرء بأن يستشير كل عاقل حازم فإن صالح بسن

(١) بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي ولا ، جده يرجوخ من طخارستان من سبي
المهلب ، ويكنى بشار بأبي معاذ وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية
والعباسية وقد تغنى في المدح والهجاء وقد هجا جريرا فأعرض عنه استصغارا
له ويقول لمن نفسه لو أجابني لكنت أشعر الناس وكان الأصمعي يقول بشار
خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم ، قتله
المهدي لانتهاه بالزندقة سنة ١٦٧ هـ وقيل ١٦٨ هـ انظر الشعر والشعراء ج ٢
ص ٢٦١ والأغاني ج ٣ ص ١٣٥ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧١ .

(٢) ديوان بشار بن برد ج ٤ ص ١٩٣ جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور نشر
الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر سنة ١٩٧٦ م .

(٣) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

عبد القدوس يبين لنا من هو الرجل الذي يستحق المشاورة من وجهة نظره - يقول (١) :

وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَحْلَامُهُمْ
مِنَ يَسْتَشَارِ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيَطْرِقُ
حَتَّى يَجِيلَ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبَهُ
وَيَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
فَبِذَاكَ يُوثِقُ كُلَّ أَمْرٍ مُّطْلَقٍ
وَبِذَاكَ يُطْلِقُ كُلَّ أَمْرٍ مَوْثِقٍ
...

فالشاعر يوصي المرء بأن يختار الرجل الحليم لكي يستشيريه ويستصحه ، وإن تساوت أحلام الرجال وعقولهم فهناك ما يفرق بينهم وهو التأنى في إسداء المشورة والنصيحة فالرجل العاقل التأنى إذا استشير تجده يطرق مليا ويجيل فكره وعقله في كل وادٍ ويقلبه في كل وجهة حتى يتبين المشورة التي يرتضيها ثم ينطق بها بعد أن أحاط بالأمر من جميع جوانبه ، لأنه بإطراقه ذاك قد أوثق كل أمر مطلق إن كان في هذه المشورة أمر يحتاج إلى وثاق وإمساك وتجده قد أطلق جميع ما يحتاج إلى إطلاق إن كان الأمر يحتاج إلى ذلك .

فهذا الرجل هو الذي يجب على المرء أن يستمسك برأيه ويتبع نصحه وإرشاده لرزانة عقله وتأنيه في مشورته ونصحه .

أما أبو العطاء السندي (٢) فيعود بنا إلى الحث على الاستعانة بالعقلاء .

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) هو أفلح بن يسار مولى لبني أسد وذكر ابن قتيبة أن اسمه (مرزوق) شاعر من مخضرمي الدولتين ، ولكنه بعد من شعراء بني أمية ومداحهم وهواه منصباً اليهم ، أما العباسيون فلم يحمل قلبه اليهم بل هجاهم ، مات في آخر خلافة المنصور .

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٧٠ والأغاني ج ١٧ ص ٣٢٧ ، والخزانة ج ١ ص ٥٤٥ .

مثل ما رأينا ذلك عند طرفة بن العبد يقول (١) :

إِذَا أَرْسَلْتَ فِي أَمْرٍ رَسُولًا
فَأَفْهَمْنَاهُ وَأَرْسَلَهُ أَدِيمًا
وَإِنْ ضَيَّعْتَ ذَاكَ فَلَا تَلْمَهُ
عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمَ الْغُيُوبِ

...

فعليك أيها الانسان أن تستعين بالرجل العاقل الأديب إن احتجت إلى إرسال رسول في قضية أو أمر من الأمور وعليك أن تفهمه بجميع جوانب الموضوع وتبين له حقيقة الأمر ولا تخفى عنه شيئاً حتى يرجع لك بالنتيجة التي ترتضيها وتسعد بها .

وإن أنت لم تفهمه ذلك ولم تخبره عن جميع ما يحتاجه الأمر فلا تلمه وتعذله ^{ذاتاً} ولكن اللوم عليك لأنه بشر لا يعلم الغيب فعلام الغيوب هو الله سبحانه وتعالى وحده .

وأبو محمد الزهري يعود بنا إلى بيان صفة الرجل الذي يستشير المرء ويطلب منه التوجيه والمعونة بالرأى يقول (٢) :

وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَلَا تَشَا ۖ وَرَ غَيْرَ مِنْ جَرَّتْ حَزْمُهُ

فمن عرفت غله وحلمه وخبرته وعزمه وحزمه وجرت ذلك منه فاستمسك برأيه ومشورته واتبعه فهو الرجل الذي يستحق المشاورة والأخذ برأيه لأنه إنسان خبير بالحياة قد جرب الأمور ، أما الرجل المتسرع في مشورته فعليك بالابتعاد عنه والهروب منه ولا تطلب منه مشورة أو نصيحة لأن مشورته غالباً لا تأتي بخير على خلاف الرجل الحازم العاقل .

(١) الأغاني ح ١٢ ص ٣٣٦ .

(٢) شعر الزهريين ص ٨٠ .

وأبو الفتح البستي أيضا يوصي المرء بأن لا يستشير الا الرجل الماقل
اليقظ يقول (١) :

لا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدَبٍ حَازِمٍ يَقِظٍ
قد استوى فيه إسرارٌ وإعلانٌ
فللتدبيرِ فرسانٌ إذا رَكَضُوا
فيها أبرؤا كما للحربِ فرسانٌ

...

فعليك أيها المرء أن لا تشاور إلا رجلا حازما في الأمور يقظا ، صاحب
نجدة ونخوة ، سريرته مثل علانيته لا يعتمد على الغش والنفاق والخداع فمن
اجتمعت فيه هذه الصفات والميزات فهو الجدير بالاستشارة وبالأخذ برأيه
ونصحه ، لأن المشاكل الاجتماعية التي تعترض المرء في حياته لا يعرف حلها إلا
رجالها وفرسانها فمن عركتهم السنون وخبروا مسالك الحياة فهم قد بزوا غيرهم
في ذلك مثلهم مثل فرسان الحروب الذين عرفوا مكاييد الحرب وأتقنوا الكر والفر
فلا يجارهم أحد في فروسيتهم .

وبعد هذا العرض الذي تناول وصايا الشعراء في المشورة والنصيحة نرى
ما لهذا الأمر من منزلة لدى الشعراء حيث أوصوا الإنسان بالمشورة والأخذ بها
منذ العصر الجاهلي حتى عصر صدر الإسلام وما تلاه من عصور حتى نهاية القرن
الرابع .

كما أنهم بينوا الصفات التي توهل الرجل لابتداء المشورة وحثوا على إسداء
النصح والمشورة لمن طلب ذلك وعدم البخل بها كما أوصوا بالتمسك بالآراء الصائبة
والمشورة الصادقة إذا ما حزب أمر أو حلت مشكلة .

...

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٤٠ .

٦ - آداب الحديث والاستماع والحث على لزوم الصمت :

أدب الحديث والاستماع من الآداب المهمة في حياة الإنسان اليومية .
فرب حديث قاله المرء في مجلس جنى عليه الشر المقيم .

والشعراء العرب لم يغفلوا هذا الجانب الأخلاقي المهم بل أوصوا المرء
بالوصايا اللازمة من حسن الاستماع ولزوم الصمت في المجلس وعدم إلقاء الكلام على
عواهنه من غير تفكير ولا روية ، كل ذلك بينه وأوصى به شعراء العربية ففى
مختلف عصور الأدب .

يقول طرفة بن العبد موصيا الإنسان بوزن كلامه ومعرفته قبل إلقاءه على من
يجالسهم (١) :

وَلَا تَذْكُرِ الدَّهْرَ فِي مَجْلِسٍ • حَدِيثًا إِذَا أَنْتَ لَمْ تُحْصِهِ
وَنَصَّ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ • فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِى نَعْصِهِ

فإياك والهذر في الكلام بل عليك أن تعرف ما سوف تقوله وتزن كلامك
بعقلك قبل أن تسمعه جلساءك ، أما إن كنت لا تعرف أطراف الحديث ولا
أقاصيه وغير مستحضر له فلا تلقه وتهذى بكلام ليس فيه نفع لأن ذاك مما
يسووهك ، وإن ألقيت حديثا أو نقلت خبرا فانسبه إلى صاحبه الذى قاله أو الذى
حدثك به لأن نسبتك الخبر لصاحبه ونصك عليه ينفى عنك تهمة الكذب إن اتهمك
بذلك أحد (٢) .

وفى بيت آخر يوصى الشاعر المرء بترك الهذر واللجؤ إلى الإيجاز ففى

(١) ديوان طرفة ص ١٦٢ .

(٢) فكرة تليدة لها قيمتها في توثيق النصوص .

الحديث يقول (١) :

وَأَوْجَزُ إِذَا مَا قُلْتَ قَوْلًا فَإِنَّهُ * إِذَا قُلَّ قَوْلُ الْمَرْءِ قَلَّ خَطَاؤُهُ

فإن حدثت أحدا في مجلس فعليك بإيجاز القول وتجنب الهذر وتطويل الكلام فيما ليس فيه فائدة ، واعلم أن إطالة الكلام وكثرته مما يجعل المرء يقع في أخطاء فاحشة لرؤيل لسانه ، وعدم تركيزه في الحديث .

أما الإيجاز في الكلام فإنه يقلل من الوقوع في الزلات والأخطاء ، لا سيما صاحبه بزمام لسانه ومعرفته ما يقول .

والشاعر عدي بن زيد العبادي يطلب من الإنسان أن لا يتحدث إلا بالحق ولا ينطق إلا بالعدل ، فعليه أن يجتنب الكذب والخداع في كلامه ، واللبس والملازمة ، ويجتهد في احقاق الحق بكلامه فمن كان يستحق الحمد والثناء حمد ، ومن كان يستحق الذم ذمه يقول (٢) :

وَبِالْعَدْلِ فَانْطَبَقَ إِنْ نَطَقْتَ وَلَا تَلِيْمٌ
وَذَا الذِّمَّ فَادْمَمُهُ وَذَا الْحَمْدَ فَاحْمَدِ

...

أما حسان بن ثابت (٣) رضي الله عنه فيطلب من المرء أن يحسن سمعه ويحفظه عن سماع الخنا وأن يتغافل عن سماعه وينهاه عن الحديث فيما ليس فيه

(١) ديوان طرفة : ١٣٨ .

(٢) ديوانه ص ١٠٨ .

(٣) هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه يكنى بأبي الوليد ، وأبى الحمام شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، شاعر مخضرم متقدم الإسلام ، وكان يقد على ملوك الغساسنة وله فيهم مدائح جيدة مشهورة ، وعمر طويل فعاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام مات في خلافة معاوية رضي الله عنه وقد كف بصره ، رضي الله عنه سنة ٥٤ هـ .

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ١ ص ٣١١ والأغاني ج ٤ ص ١٣٤ .

فائدة يقول (١) :

أَعْرِضْ عَنِ الْمَوَارِءِ إِنْ أَسْمِعْتَهَا
وَاقْعُدْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ لَا تَسْمَعُ
وَدَعْ السُّؤَالَ عَنِ الْأُمُورِ وَحْفَرِهَا
فَلَرَبَّ حَافِرٍ حُفْرَةٌ هُوَ يُمْسِرُ

...

فإن الواجب عليك أيها المرء أن لا تصيح سمعك عند ذكر المعاييب والفواحش بل أعرض عنها وتجاهلها وكأنك غافل لا تسمع .

وعليك أيها أن لا تسأل عن الأمور التي ليست تهمة أو تفيدك في شيء وقصدك من السؤال عنها إثارة الشحنة والعداوة فابتعد عن إظهار الأمور السيئة التي يحاول الشخص إخفاءها ، فلربما وقعت فيما سألت عنه وحفرت له وصرعت بذلك الأمر الذي نهشته بعد أن كان خافيا على الناس ، فإن أردت السلامة من ذلك وصيانة عرضك فاجتنب ذكر عيوب الناس ونشر الأمور ، واهتم بأمر نفسك .

وقد جمع الشاعر في وصيته هذه آداب الاستماع في بيته الأول وآداب الحديث في الثاني .

ومن آداب الحديث ألا تقطع بحديثك حديث امرئ سبقك بالكلام يقول
في ذلك الشاعر دعامة بن المسيب (٢) :

-
- (١) ديوانه ص ٢٧٨ تحقيق سيد حنفى ناصف الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٧٤
(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر .
(٣) شعر طي وأخبارها في الجاهلية والإسلام ٥١١/٢ جمع وتحقيق د / وفاء فهى السند يونى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض سنة ١٤٠٥ هـ

لا تَقْطَعَنَّ مَقَالََةً فِي مَجْلِسٍ
لا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِذْ رَاكِبًا
فِي كُلِّ أَمْرٍ قَبْلَ جَهْرِكَ بِالسَّيِّئِ
فَاتَتْ وَلَمَّا تَسْتَطِيعُ إِمْسَاكَهَا

...

فالشاعر يوصي المرء بالتأني في الحديث فلا يتكلم ما دام هناك شخص
يتحدث لكي لا يقطع الكلام على المستمعين بحديثه العارض هذا ، وهذا العمل
أعني قطع الحديث من الأخلاق السيئة المشينة التي تبغضها الإنسان وتتفر منه
جلسا م .

واعلم أنك لا تستطيع أن تتدارك أمرك إن قطعت به كلام أحد لأن ذلك
لن يرجع أبدا فقد سمعه جميع المستمعين في هذا المجلس وعرفوا سوء خلقك .

وإن أردت أن تتحدث بحديث فعليك أن تزن كلامك وتعرف ما ستقوله
قبل جهرك به ، لأنك إن نطقت بكلمة سوء فلن تستطيع إمساك هذه الكلمة
ورجعها مرة أخرى لأنها قد دخلت أسماع الحاضرين وعرفوها ، فلربما سببت
لك هذه الكلمة العديد من الصائب والمناعب .

ومن الوصية على وزن الكلام قبل النطق به قول عبد الرحمن بن حسان^(١)
فَإِنْ قُلْتَ فَأَعْلَمْ مَا تَقُولُ فَإِنَّهُ
إِلَى سَامِعٍ مِنْ تَعَادَى وَنَاصِرٍ

(١) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي يكنى أبا سعد وأبامحمد
وأمه أخت مارية القبطية ، شاعر ابن شاعر ، كان مقبلا في المدينة وتوفي فيها
له أخبار متفرقة في كتاب طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٥٠ وكتاب رغبة الأمل
ج ٣ ص ١٦٧ توفي سنة ٥٨٤ هـ .

انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة ج ٥ ص ٣١ والاعلام للزركلي ج ٣
ص ٣٠٣ .

(٢) الحماسة للبحراني ص ٣٦٨ .

وَأَنْتَ لَا تَسْطِيعُ رَدَّ مَقَالَسِهِ
سَارَتْ وَزَلَّتْ فِي مَسَامِعِ آخِرِ
كما ليس رامٍ بعد إطلاقِ سَهْمِهِ
على رَدِّهِ بعد الوقوعِ بِقَادِرِ
...

فالمطلوب منك أيها المرء أن تعرف كلامك وتزنه قبل أن تنطق به لأنَّه
سيصل إلى آذان القوم ، وليسوا كلهم أصحابا محبين لك ، بل فيهم الأعداء
الذين يبحثون عن عيوبك ونقائصك وربما نقلوا كلامك إلى أحد من الناس وفيه
ما يفضبه فخلق له مشكلة وجر عليك مصيبة .

واعلم أنك لا تستطيع أن ترد كلمة بعد نطقك بها وسمع الحاضرين لها
ومثل الكلام في ذلك مثل السهم الذي إن أطلقه صاحبه فإنه لن يستطيع رده بعد
إطلاقه .

وعبد الله بن معاوية يوصي المرء أيضا بلزوم الصمت ووزن الكلام وقياسه
قبل النطق به حيث يقول (١) :

أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا تَقُولَنَّ قَوْلًا
لَسْتَ تَدْرِي مَاذَا يَحْيِيكَ مِنْهُ
وَالزَّمِ الصَّمْتَ إِنْ فِي الصَّمْتِ حُكْمًا
وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلًا فَرِزْنَاهُ
وَإِذَا الْقَوْمُ الْغَطَطُوا فِي كَلَامٍ
لَسْتَ تُعْنَى بِشَأْنِهِ فَالَسَّ عَنْهُ
...

فالشاعر يوصي المرء ويقول له إياك والكلام الذي لا فائدة فيه ويجب عليك

معرفة الكلام الذى تلقيه ، والتفريق بين الكلام الحسن والكلام القبيح الذى يشينك ويحيب منطقك .

وإياك أن تتطرق بحدِيث لا تفهم معناه ، وعليك بلزوم الصمت فإن الحكمة فى ذلك وإن كان لابد أن تتحدث فعليك أن تزن حديثك وتجهله فى خاطرك قبل أن تلقيه على مستمعيك لأن كل كلمة تقولها أنت مسئول عنها وستنتشر فى الآفاق سواء كانت خيرا أم شرا .

وإن كنت أيها المرء فى مجلس وتحدث القوم فى كلام لا يعنيك أمره بشئ فاعرض عنه ولا تصغ سمعك إليه وتظاهر بأنك لا تسمع من مقالاتهم هذه شيئا .

وهذا الشاعر ابن هرمة ^(١) يوصى المرء بحفظ اللسان والحذر من عواقب القول فى أبيات تشبه أبيات عبد الرحمن بن حسان يقول ^(٢) :

أرى الناس فى أمرٍ سَحِيلٍ فلا تَزَلْ
على حذرٍ حَتَّى تَرى الأَمْرَ يَبْتَرُما
فإنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ رَدَّ الذى مَضَى
إذا القَوْلُ عن زَلَّاتِهِ فَارَقَ الفَسَا
فكائن تَرى مِنْ وَافِرِ العِرْفِ صَائِبا
وآخر أَرَدَى نَفْسَهُ إن تَكَلَّمَا

...

(١) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة بن هذيل من الخلق من قبس عيلان من قريش ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، وكان منقطعا إلى الطالبين ومدح أبا جعفر المنصور ، قال عنه الأصمى : إنه من ساقطة الشعراء أى من آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم مات حوالى ١٥٠ هـ انظر الشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٥٧ والاعانى ج ٤ ص ٣٦٢ وخزانة الأدب ج ١ ص ٤٢

(٢) الباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ٢٢٥ تحقيق أحمد شاكر .

فعلبك أيها الإنسان أن لا تقول قولاً إلا بعد أن تتوثق منه ويكون مثل
الحبل القوى المتين ، وإياك والكلام الردى ، الواهى الذى مثل الحبل الواهن
البالى الضعيف فإن النجاة والسلامة فى وزن الكلام وضبطه قبل القائه ، لأنك
لن تستطيع أن ترد مقالة قد زلت من فمك ووقرت فى أسماع الناس .

واعلم أن الصمت عما لا ينبغى أن يقال هو سر محافظته الإنسان على عرضه
وشرفه ، والكلام فيما لا يحسن هو أداة السقوط فى الردى وإهانة النفس ،
فعلبك بالصمت والتزامه .

وصالح بن عبد القدوس يوصى المرء أن يزن كلامه قبل إلقاءه لأن كلام المرء
ميزان عقله يقول (١) :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
يُبْدَى عَمِيبٌ ذَوَى الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ

فإن تحدثت أيها الإنسان فعلبك بوزن الكلام وقياس كل كلمة ستقولها لأن
اللسان هو دليل الجنان فعموب المرء خافية عن الأعين ولا يبديها للناس
إلا منطقمهم وكلامهم قرب منطق يبين ما يخفيه صاحبه من أخلاق وصفات .

ويقول فى أبيات أخرى يوصى المرء فيها بالإيجاز فى الكلام ولزوم الصمت (٢)

لَا تَكْثُرَنَّ حَشَوَ الْكَلَامِ ■ ■ ■ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عَمُوبِهِ
وَالصَّمْتُ أَحْسَنُ بِالْفَقْرِ ■ ■ ■ مِنْ مَّنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ

...

فالشاعر يوصى المرء بترك الهذر فى الكلام ، وأن يعمد إلى الإيجاز فى
الحديث والقصد إلى ما يريد من غير إطالة ، وليعلم المرء أن السكوت ولزوم الصمت

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ .

(٢) الحماسة للبحتري ص ٣٦٤ .

أجمل وأحسن بالفتى من منطق في غير حينه ووقته .

وهذا الشاعر صالح بن جناح ^(١) يوصي الشخص بإقلال الكلام وحفظ اللسان والحذر من عواقب المنطق يقول ^(٢) :

أَقْلِلْ كَلَامَكَ وَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهِ
إِنْ الْبَلَاءُ بِيَعُضِيهِ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غَمِّهِ
حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ
وَكُلَّ قُوَّةِ دَاكَ بِاللِّسَانِ وَقُلْ لَكَ
إِنْ الْكَلَامَ عَلَيْكَ مَوْزُونُ
فَزِنَاهُ وَلَيْسَ مَحْكَمًا فِي قَلْبِي
إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ
...

يقول الشاعر : إن عليك أيها الرجل أن تقلل من كلامك وأن تحذر من زلات اللسان لأن بلاء المرء من حصيلة لسانه وجنابته عليه ، فعليك إذاً أن تحفظ لسانك وتحفظه هو اللجوء إلى السكوت ولزوم الصمت حتى يصير معتقلاً وكأنه رجل مسجون ، وعليك أن توكل عقلك على لسانك وتعمله وصياً عليه فلا ينطق لسانك إلا بعد أن يعرضه على عقلك وأخبر عقلك ولسانك أن الكلام محسوب عليهما حتى

(١) هو صالح بن جناح اللخمي ، شاعر دمشقي ، أدرك التابعين تنسب إليه مقطوعات لطيفة له كتاب (الأدب والمروءة) لم أجد له سوى هذه الترجمة ، وقد ذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشيته كتاب لباب الآداب أن بعض أهل العلم يظن أن صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس ولعله أخفى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الطلب والله أعلم .

انظر الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١١٠ ولباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ٢٨

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ج ١ ص ٨٦ تحقيق محمد مرسى الخولي نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

يزنا الكلام قبل النطق فلا يخرج إلا الكلام الجيد المفيد وليكن كلاما موجزا محكما
فالبلاغة في الإيجاز .

وهذا الإمام عبد الله بن المبارك^(١) يوصي المرء بحفظ اللسان والحذر من
عواقب الأقوال يقول^(٢) رحمه الله

احْفَظْ لِسَانَكَ إِنْ لَسَانَكَ
خَرِيصٌ عَلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وَإِنْ لَلِّسَانَ بَرْدُ الْقُبُورِ
دَلِيلُ الرَّجَالِ عَلَى عَقْلِهِ
...

فالشاعر يوصي الإنسان قائلا احفظ لسانك لأنك مسئول عن منطقتك وربما
صارت ميته بسبب لسانك لانزلاقه في كلام فقدت بسببه حياته، وأمر آخر يوجب
عليك أيها المرء حفظ لسانك والحذر من الإفراط في الحديث أن لسانك وما
ينطق به من كلام دليل على مقدار عقلك فإن كان كلامك حسنا عرف القوم رزانة
عقلك ومقدار شرفك وقدرك من خلاله وإن كان ما نطقت به كلام سفه عرفوا نقص
عقلك وسوء أدبك .

والإمام الشافعي أيضا يوصي الإنسان بحفظ لسانه لما يجزر عليه من مصائب
حيث يقول^(٣) :

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
لَا يُلْدَغُكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ

(١) هو عبد الله بن المبارك، المروزي الحنظلي بالولاء التميمي كنيته أبو عبد الرحمن
ولد سنة ١١٨هـ شيخ الاسلام كان محدثا فقيها عالما بعلوم العربية وأيام
الناس وكان شجاعا تاجرا سخيا أفنى عمره في الأسفار حاجا ومجاهدا وتاجرا
مات «بهيته» منصرفه من غزو الروم سنة ١٨١هـ رحمه الله انظر ترجمته في
تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٢ والاعلام للزركلي ج ٤ ص ١١٥

(٢) ديوان الامام عبد الله بن المبارك ص ٥٧ جمع وتحقيق د/ مجاهد مصطفى بهجت
نشر دار الوفاء المنصورة ط الأولى سنة ١٤٠٧هـ .

(٣) ديوان الامام الشافعي ص ٨٢ .

كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقام الأقران

...

فعليك أيها الرجل حفظ لسانك والحذر من لدغ فإنه كالثعبان يلدغ من حيث لا يشمر به الانسان ، وانظر إلى المقابر فكم قتيل فيها بسبب حديث قاله أو كلمة ألقاها ، وقد كانت تعجز عنه الفرسان في المعارك لقوته وعظم بأسه ولكن لما زل به لسانه أودى به إلى مهاوى الردى .

ويقول أيضا في حفظ اللسان (١) :

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردى
ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بزلة
فكلك موات وللناس السن

...

فإن شئت أيها المرء أن تعيش عيشة هنيئة بعيدة عن المشاكل والعداوة ، فاحفظ لسانك ولا تتطرق إلا بالحق وابتعد عن الزلل في الحديث فإن ذلك الكلام هو أعظم المصائب ، واحذر من ذكر معائب الناس ، لأنك إن فعلت ذلك تنبهوا إليك ونهشوك وجرحوك بالسنتهم وفتشوا عن عيوبك وأذاعوها بين الناس .

وحفظك للسانك أحوط لدينك وأوفر له ، وأسلم لعرضك من أن يخذله أحد أو ينتقصه إنسان .

وأبو العتاهية أيضا يوصي المرء بحفظ لسانه والحذر منه يقول (٢)
اخزن لسانك بالتكوت عن الخسا
واحذر عليك عواقب الأقوال

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٢٨٩ .

فمطلوب منك أيها المرء أن تربط على لسانك ولا تتحدث إلا بالحق وأن
تجتنب الكلام الفاحش في حديثك ، والحذر الحذر ما يجنيه عليك لسانك
من عواقب وخيمة إن نطقت بكلام يمس أحدا .

ويقول الشاعر في بيت آخر يوصي بالاقبال في الكلام (١) .

وَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ هَذِرًا

وَأَقْصِدْ فَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ قَصَدَا

فاجتنب الاطالة والهدر في الكلام وعليك بالابحاز في قولك فالمرء يذم
بهذره ولا يذم بإيجازه في كلامه .

ويوصي الشاعر مرة أخرى المرء بالسكوت حيث يقول (٢) :

يَخُوضُ أَنَاثُ فِي الْحَدِيثِ لِهَوِّجَزُوا

وَلَلصَّمْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَوْجَزُ

إِذَا كُنْتَ عَنْ أَنْ تَحْصِنَ الصَّمْتُ عَاجِزًا

فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ

...

فعليك أيها المرء إذا قلت قولاً أن توجز فيه ، واجتنب الخوض في الكلام
بحثاً عن الإيجاز فالإيجاز كامن في اللجوء إلى الصمت في أغلب الأحيان ، وإن
كنت عاجزاً عن الصمت وحفظ لسانك فأنت عن الافهام بكلامك أعجز .

وأخيراً نجد أن منصور الفقيه (٣) يوصي المرء بالسكوت إذا خفى الحق

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١١٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .

(٣) هو منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي المصري الفقيه الشافعي الضرير وكنيته
أبو إسحاق كان عالماً في الفقه الشافعي ، شاعراً مجيداً متفناً له حظ من كل
علم مات سنة ٣٠٦ هـ .

انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١ ص ١٨٥ ووفيات الأعيان
ج ٥ ص ٢٩٩ .

عليه يقول (١) :

وَآخِرِينَ إِذَا خَفِيتُ أُمُورًا * رُ الْحَقِّ ^{عِنْدَ} عَنِ الْإِجَابَةِ
فَأَقْلَ مَا يَجْزِي الْفَسْنَى * بِكُونِهِ عِزُّ الْمَهَابَةِ

فالجأ الى الصمت أيها المرء ، إن سئلت ولم تكن تعرف الإجابة الحقة ،
فليس لك أن تقول قولاً لا تعلم حقيقته ، واعلم أن أقل جزاء للصمت هو كسب
العزة والمهابة .

ومن خلال ما سبق يتضح كيف أوصى الشعراء بآداب الحديث والاستماع
والحث على لزوم الصمت في شتى المصوّر الأدبية .

فقد أوصوا بتوثيق الكلام ونسبته إلى أصحابه ، كما حثوا على الإيجاز في
القول وترك الهذر والإطالة فيه ، وكذلك أوصوا الإنسان أن لا ينطق بحديث
إلا بعد وزنه ، وحذروا من عواقب زلات اللسان كما أوصوا المرء بالاعراض عن
الاستماع إلى الكلام الفاحش أو الذي لا يعنيه .

...

(١) بهجة المجالس ج ١ ص ٨٨ .

٧ - حفظ السر :

لا بد للإنسان أن يكون له أسرار تخصه ولا تتعداه إلى غيره ، وليس من الخير له أن يفشيها لأحد ، وقد أوصى شعراء العرب بحفظ السر وعدم إفشائه للناس وإن اضطر المرء أن يفشى سره لأحد من أصحابه فلا يفشيه إلا إلى حافظ للسر طامو للأمانة .

فعدى بن زيد العبادى يحث المرء ويوصيه بحفظ سره وعدم إفشائه لأحد يقول (١) :

ولا تَفْشِينَ سِرًّا إِلَى غَيْرِ حِرْزَةٍ
ولا تَكْثِرِ الشُّكُوى إِلَى غَيْرِ عَائِدٍ

فاحفظ سرك أيها المرء فى صدرك ولا يطلع عليه أحد سواك ، وإن أنت أعلمت به أحداً فلا تعلم به إلا الرجل الكاتم الحافظ للسر ، لأنك أن أفشيتك إلى رجل مهذار أشاع سرّك وأعلم به كل من لقي وكل من جالس فاحتسب لنفسك من ذلك فلربما أصابك سوء من جراء إفشاء سرّك .

أما دعامه بن ندى (٢) فإنه يحذر من النمام ويوصى المرء بعدم إخباره بأى سر هونا للأسرار من الإفشاء يقول (٣) :

ولا تَفْشِينَ سِرًّا إِلَى ذِي نَيْمَةٍ
فذاك إذا ذَنَّبَ بِرَأْسِكَ يُغْصَبُ
إذا ما جَعَلْتَ السَّرَّ عِنْدَ مُضَيِّعٍ
فإنك ممن ضَيَّعَ السَّرَّ أَذْنَبُ

(١) ديوانه ص ٩٢ .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٣) شعر طى فى الجاهلية والاسلام ج ٢ ص ٥٨٩ .

فاحفظ شرك وصنه عن النمام فإنه سيظهر شرك إلى الملاء لأن خلقه
الذى تخلق به وهو الشئ بين الناس بالنميمة يجعله يقول كل ما لديه من
أسرار لغرض الإفساد بين الناس وإن أنت لم تسمع النصيحة وأخبرت النمام
وأعقبك ذلك سوءاً، فالذنب ذنبك لمخالفتك مشورة الناصح لك .

وإن أنت لم تحفظ شرك ولم تصنه عن المهادار المضيح للسّر فإن
العمل عملك وتكون أنت " من ضيع السر أذنب " .

وأبو صخر الهذلى (١) يحث المرأة على كتمان ما يؤتمن عليه وحفظه يقول (٢) :

وَإِذَا اسْرُوهُ أَسْدَىٰ إِلَيْكَ أَمَانَةً
فَاطْوِ الْأَمَانَةَ لِلْضَمِيرِ الدَّاخِلِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ أَمَانَةً حَمَلَتْهَا
فَحَمَلَتْهَا لِلنَّاسِ ذَاتُ مَنَاقِلِ

...

فالشاعر يوصى المرأة بأن يحافظ على ما يؤتمن عليه ولا يظهره لأحد مهما
كانت صلته به . بل عليه أن يودع هذه الأمانة قلبه ولا يجعلها على لسانه لكسى
لا يخبر بها أحدا .

والأمانة وكتمان أمرها ليست بالأمر الهين وإن خالها الإنسان كذلك
فعليه أن لا يحتقرها ويستهيئ بها فإنما هي ثقيلة لا تقوى على حملها الجبال

(١) هو عبد الله بن مسلم السهمى الهذلى . شاعر أموى . كان مواليا لبسنى
مروان متعصبا لهم . حبسه عبد الله بن الزبير رضى الله عنه وأخرجه بعد
سنة لوساطة هذيل له .

انظر ترجمته فى الأغنى ج ٢٤ ص ١١٠ .

(٢) شعراء أمويون ص ٥٨ .

ولكن إذا ابتلى بها المرء فليحافظ عليها وليكنم أمرها ولا يعلم بمحتواها
أحدا .

وعبد الملك بن مروان يوصي الرجل بحفظ السر وكنانه وعدم إفشائه
لأحد مهما كان يقول (١) :

وَلَا تُفْشِي سِرَّكَ إِلَّا إِلَىٰ يَنْكَ ۖ فَإِنْ لِّكُلِّ نَصِيحًا
وَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا ۖ لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا

يقول الشاعر : عليك أيها الانسان كنم سرك وحفظه ، وإن أردت أن تحافظ على
عرضك وتسلم من السنة الفواة والوضعا ، فلا يعلم بسرك أحد سواك فاني قد
سبرت لك غور هو ، وعرفتهم فهم لا يتركون إنسانا إلا وينالونه بأفواههم
ويلوكونه بالسنتهم إذا عرفوا من أسرار المرء شيئا وخبروا أخلاقه .

أما عبد الله بن معاوية بن جعفر فينهى الانسان عن إفشاء سره إلى
الأحمق يقول (٢) :

لَا تُفْشِي سِرًّا إِلَىٰ غَيْرِ اللَّيِّبِ وَلَا إِلَىٰ
خَسْرِقِ الْمَشِيْعِ لَهُ يَوْمًا إِذَا غَضِبَا

فالشاعر يوصيك أيها المرء أن تحفظ سرك وتحصونه ولا تفشيه إلى رجل غير
عاقل لأنه سيخبره لك ، ولا تفشه أيضا إلى الرجل الأحمق فيفشي لك ويذيعه
في يوم من الأيام وسورة الغضب آخذة منه مأخذها فاجتنبه لكي لا يفضح أسرارك
وأخبارك .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج ١ ص ٦٥ تحقيق أحمد أمين ،
ط الثانية ، لجنة التأليف والنشر سنة ١٣٦٧ هـ .

(٢) شعره ص ٣٢ .

ومن الوصية على حفظ الأسرار ما يقوله أسامة بن زيد البجلي (١) :

أَمِتْ سِرّاً مَنْ يُفْشِي إِلَيْكَ حَدِيثَهُ
وما خَيْرُ سِرّاً حِينَ تَبْدُو شَوَاكِلَهُ
ولا تَجْعَلِ السِّرَّ الْمَكْتَمَ بِذَلِكَ
ولا تَجْهَلَنَّ يَوْمًا عَلَى مَنْ مُتَّهَازِلُهُ
...

فالشاعر يطلب منك أيها الانسان أن تحافظ على سر من أفشى إليك أسرارهِ وأخباره وأتفكك عليها ، وعلى أن تمت هذه الأسرار حتى لا تخرج من فيسك لأحد ، وإما تتها عدم ذكرها لأحد وتناسيها .

وعليك أيها المرء أن لا تبذل السر المحاط بالكتمان وتهذره بل حافظ عليه واعمل على كتمانهِ وإخفائه .

وصالح بن عبد القدوس يوصي المرء بالحفاظ على سرهِ وأن لا يعلم به من جاء يطلبه سرهِ يقول (٢) :

لَا تُنَوِّعْ سِرّاً إِلَى طَالِبٍ ۖ مِمَّنْ رَأَى الطَّالِبَ السِّرَّ مُذْهِجاً
وَأَمِتْ سِرّاً إِنْ السِّرَّ إِنْ جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سَمِينٍ وَشَيْعٍ
...

فاحفظ سرك وأمت ولا تخبر به أحدا ، لأنه إن جاوز شفقتك سينتشر بين الناس ويذبح ، واحذر ممن طلب منك أخباره بسرك فلا تجبه إلى طلبه لأنه سينشره بين الناس ولن يحافظ عليه وهذه سجية طالب السر ، فَإِنَّ الطَّالِبَ

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٢) الحماسة للبختري ص ٢٢٥ .

(٣) " " " " ص ٢٢٧ .

السر مدح * *

وحول معنى حفظ السر وعدم اخبار أحد به يقول عبد الله (١) بسن
المعتر (٢) :

لا تَلَمْ مَنْ لَمْ يَمَنَّ سِرَّكَ إِذْ
لَمْ تَعْنَهُ وَاحْتَذَرْنَهُ وَانْتَبَهَ
لا يَكُونُ السَّرُّ إِلَّا كَانِيهِ
لا نَمَّ السَّرُّ مَا قَدْ بَحَثَ بِهِ
...

يقول الشاعر : أولى بك أيها المرء أن تصون سرك وتكتمه ولا تخبر به أحدا
وإن أذاع أحد سرك بعد اعلامك له به فلا تلمه أو تعتب عليه لعدم استطاعته
كتم السر لأنك أضيع منه لعدم استطاعتك كتم سرك ، وعليك الحذر من عواقب
اذاعة السر .

وأعلم أيها المرء أن السر لا يمسى سرا إلا إذا لم يعلم به أحد سواك
أما إن علمه أحد كائنا من كان فليس ذاك بسر ولا تسمه سرا لأنه خرج من
الخفاء والسرية الى البروز والظهور .

وأبو الفتح البستي ينهى عن إيداع السر لدى مضيع فيقول (٣) :

-
- (١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد
كان أدبيا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ
جيد القرينة أخذ المعلوم عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب لسه
تصانيف عديدة منها كتاب (البدع) و (طبقات الشعراء) استخلف يومسا
واحدا أو بعض يوم ثم قتل سنة ٢١٦ هـ .
انظر ترجمته في الأغاني ح ١٠ ص ٢٧٤ تاريخ بغداد ح ١٠ ص ٩٥ وفيات
الأعيان ح ٣ ص ٣٤١ .
- (٢) ديوان ابن المعتز ح ٢ ص ٣٨٥ دراسة وتحقيق محمد بدیع شرف ، نشر
دار المعارف ، مصر .
- (٣) قصيدة عنوان الحكم للبستي ص ٣٩ .

لا تودع السرّ وشاءَ يَبُوحُ بِهِ
فما رَعَى غَمًّا في الدُّوِّ سِرْحَانُ

فاحفظ سرك أيها الرجل ولا تخبر به الوشاء الذي لا يؤتمن على الأسرار فلا همّ له إلا القيل والقال وإشاعة الأسرار والأخبار . وسيشيع سرك ويخبر به الوشاء والحاقدين ، فهل رأيت في يوم من الأيام ذئبا يؤتمن على غنم فرعاها في الصحراء ، فهذا من المستحيلات التي لا تحصل أبداً وذاك مثله فمضى الاستحالة فالواشي لا يؤتمن على سر أبداً .

وبعد هذه النظرة على شعر الوصايا في حفظ السر ، نرى أن الشعراء قد أجمعوا على الحث على حفظ السر وعدم إبداءه لدى المضيعين والوشاة والنمامين كما هو الحال عند جميع الشعراء الذين سبق ذكرهم ، وأوصى بعضهم بعدم إفشاء السر مطلقا سواء كان الرجل النفس له ثقة أو غير ثقة كما رأينا عند عبد الملك بن مروان وابن المعتز .

...

٨ - الحث على الصبر :

إن الصبر على نوائب الدنيا صفة جليلة لها منزلة رفيعة في نفوس الناس ولكن المتحلى بها نادر ، فلا يتحلى بها إلا أصحاب العقول الرزينة وذوى الارادة القوية وذلك لما للصبر من ثقل على النفوس في بداية الأمر ، ولكن مغيبته خير وسعادة وراحة للضير .

والشعراء قد تنبهوا إلى هذه الصفة الجليلة فأوصوا المرء بالتحلى بها والتجمل بتحملها .

فعبيد بن الأبرص^(١) يوصى المرء بالصبر عند كل نازلة ويحثه على تحمله يقول^(٢) :

صَبْرِ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مَلْسَمٍ * إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَصْبِقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَدَّةٌ * شَفَّ غَمَاؤُهَا بَغِيرَ احْتِيَالِ
رِمَا تَجْزَعُ النَّفُوسَ مِنَ الْأَمْرِ * بِرٍ لَهَا فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ
...

يقول الشاعر : عليك أيها الرجل أن تدرب نفسك على الصبر والتحمل عند أى مصيبة تحل بساحتك ، ولا تجزع أو تغضب من أجل ذلك فإن الصبر هو الطريق الأمثل لحل هذه المشكلة وهذه المصيبة .

(١) هو عبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير الأسدي ، شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من طبقات الجاهليين ، وقال: قدیم عظیم الذکر عظیم الشهرة ، وشعره ذاهب مضطرب ، وفد على النعمان بن المنذر في يوم بؤسه فقتله .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٥٧ ، والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٧٣ والاغاني ج ٢٢ ص ٨١ .

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ص ١١٢ تحقيق د / حسين نصار ط الأولى سنة ١٣٧٢ هـ نشر مصطفى البابي الحلبي مصر .

وإن تكالبت عليك أمور كثيرة في آن واحد فلا تتبرم منها وتضق بها ، فلربما انقضت هذه الأمور عن سمائك في لحظة من اللحظات من غير حول ولا تدبير منك .

وقد تخطى أيها المرء في تقدير حل مشكلة أو مصيبة نزلت بك فتجزع من أجلها وتقعد حزينا وترى أن فكاكها والخروج من هذه المشكلة أمر صعب ويكون حلها على العكس من ذلك حلا سهلا " كحل عقال البعير " .

وهذا محمد بن يسير الرياشي ^(١) يوصي المرء أن يتخلق بالصبر ويبين له ماله من قيمة ومنزلة يقول ^(٢) :

لَا تَيَاسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا
إِنْ الْأُمُورَ إِذَا انْكَدَّتْ مَسَالِكُهَا
فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ
وَمَذْمُونِ الْقِسْرِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
...

عليك أيها المرء أن تطرد عنك اليأس فلا يقترب منك ولا يفتر من عزيمتك أو يشبط همتك وإن كنت دائم المطالبة حيث السعى ، فاستعن بالصبر فإن الصبر مفتاح الفرج ومزيل الهم والغم ، وما أنفلق عليك من أمر ومهما وعسرت

(١) هو محمد بن يسير الرياشي من أسد ، قيل صليبية وقيل ولا ، شاعر عباسي في عصر أبي نواس وعمر بعده ، وكان شاعرا ظريفا من الشعراء المحدثين متقللا لم يفارق البصرة ، ولا وفد إلى خليفة أو شريف منتجما وكان ماجنا هجاء خبيثا .

انظر الشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٨٣ ، والأغاني ج ١٤ ص ١٢ .

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٤ ص ٤٢ .

مسالكه فإن الصبر يسهل طريقه • ويفتق ما رتق منه وانخلق • وحرى بمن
اتصف بالصبر ولازمه أن يظفر بما يريد • ويقضى حاجته • كما أن مديم قسوع
الأبواب والمواظب عليه • حرى به أن يلج في يوم من الأيام ويدخل •

والإمام عبد الله بن المبارك يوصي الإنسان بالصبر ويبين حقيقته يقول (١) :

غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذٌ طَعْمُهَا • وَرْدِي الدُّوْقِ مِنْهُ كَالصَّبْرِ •
إِنْ فِي الصَّبْرِ لَفَضْلٌ بَيِّنٌ • فَاحْمِلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرْ •

...

يقول الشاعر اعلم أيها الإنسان أن الصبر مر المذاق صعب التحمل وأقل
شئ من الصبر وأيسره أمر من الشجر المر " الصبر " لكن عاقبته ونتيجته
لذيذة الطعم حسنة العاقبة •

والصبر فضله ظاهر بين للجميع لا يخفى على أحد لما يعود على المرء
منه من عواقب حسنة ونتائج حميدة ••

فإذا عرفت ذلك أيها المرء فاحمل نفسك على الصبر واجبرها عليه حتى
تستسيغه وتتعود عليه •

وأبو العتاهية أيضا يوصي بالصبر ويأمر به لما له من نتائج حسنة
يقول (٢)

اصْبِرْ عَلَى نَوْبِ الزَّمَانِ • نِ وَرَيْبِهِ وَتَغْلِبْهُ •
لَا تَجْزَعَنَّ فَمَنْ تَعَتَّى • سَبَّ دَامَ وَهْلُ تَعَتَّبِيهِ •

(١) ديوان الإمام عبد الله بن المبارك ص ٤٦

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٥٢ •

فعليك أيها المرء أن تصبر على نوائب الدهر وريبه وتحمل ما يعقب تقلبه من مصائب ومشاكل فإن في الصبر راحة للمرء ومخرجاً مما هو فيه ، وإن أنت جزعت وعتبت على الدهر لما فعله بك ولم تصبر فإنك ستعتب عليه في كل حين ولن ترضى عنه أبداً ، لأنه لن يستقيم لك في كل حال من الأحوال فالدهر ذو أحوال متقلبة ، فما عليك إلا أن تصطبر له وتظهر له الجلد .

ويحث الشاعر في قطعة أخرى على الصبر على مصائب الدنيا ويلفت نظر الإنسان إلى أنه ليس وحيداً في هذه الدنيا وكل فرد قد أصابته مصيبة يقول (١)

اصبر لكل مصيبة وتجلّد
واعلم بأن المرء غير مخلص
أو ما ترى أن المصائب جمّة
وترى النية للعباد برصّد
من لم يصب بمن ترى بمصيبة
هذا سبيل لست فيه بأوحد
...

فالصبر واجب عليك عند كل ملّة ومصيبة فلا تظهر الجزع لمصائبه بل أظهر الحزم والجلد ، ولك فيمن حولك عبرة وعظة فمن الذي لم يصب منهم بأذى أو مصيبة فلو فتشت عنهم فرداً فرداً لم تجد إنساناً إلا وطرفته مصيبة .

فعليك أن تصبر على المصائب وتتجلّد لها لأنك لست الوحيد الذي نزلت بك بل الناس جميعاً .

وهذا عبد الله بن المعتز يوصي المرء بالصبر على حمد الحسود ، ويبين

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١١٠ .

قيمة الصبر في أبيات سهلة عذبة يقول (١) :

اصبر على حَسَدِ الْعَدُوِّ * فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا * إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ
وَلَرُبَّمَا نَالَ الْفَتَى * بِالصَّبْرِ مَا لَمْ يَأْكُلْهُ

...

فاصبر أيها المرء على حسد اعدائك وحسادك فإظهارك الصبر على حسد هم وحقد هم ، وعدم الاهتمام بهم يغيظهم ويبعث الكد والحسرة في قلوبهم فيجتنبوك في آخر الأمر ، فمثلهم مثل النار فهي إن لم يكن هناك وقود لها يضرها ويزيد من اشتعالها بدأت تأكل بعضها وتحرقه حتى تخبث وتنطفئ .

واعلم أيها الإنسان أنك ربما نلت بصبرك على حوادث الدهر أكثر مما فاتك وما كنت تأمله وتتوقعه .

وأبو فراس الحمداني بحث في بيت له على الصبر ومعناه لا يختلف عن معنى بيت ابن المعتز الأخير يقول (٢) :

اصْبِرْ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
بِالصَّبْرِ تَذَرِكُ كُلَّ مَا تَتَطَلَّبُ

فعليك بالصبر على حوادث الدهر وصروف الزمن فإنك بالصبر ستدرك كل ما تشتهي نفسك وتتمناه .

ومن خلال ما سبق نرى أن الشعراء في مختلف العصور الأدبية قد أوصوا

(١) ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ تحقيق محمد بدیع شرف .

(٢) ديوانه ص ٣٩ .

بالصبر ، فعبيد بن الأبرص يوصى المرء بالتحلى بالصبر عند حلول النوازل ،
ويحثه على عدم الجزع من ذلك ، وعدم اليأس من زوال هذه المصيبة ، ومحمد
ابن يسير الرياشي يبين للإنسان أن التحلى ^{بالصبر} لأبد وأن ينال مطلبه وما عز عليه
في يوم من الأيام جزاء صبره وجلده ، والامام عبد الله بن المبارك يحث المرء
على إكراه النفس لتحمل الصبر لأن عواقبه جليلة ، أما ابن المعتز فإنه يوصي
بالصبر على حسد الحسود لأن في الصبر على أذاه اغاظة له ، وفي نهاية المطاف
نرى أن أبا فراس الحمداني قد حث على الصبر لأن المرء قد ينال بالصبر
أكثر مما كان يأمله ويرجوه !!

١ - النهي عن فرط المزاح :

المزاح أمر محبب الى النفوس لما يضيفه من مرح وضحك ، ولكن هذا الضحك يعقبه ندم وحسرة لما تؤول إليه نتيجته ، وهي نشوب العداوة بين الأصحاب لسقوط بعضهم في كلام يسيء للآخرين .

وقد تنبه الشعراء إلى هذه النتيجة فأوصوا المرء أن يبتعد عن فرط المزاح لئلا يقع في المحذور .

فعدي بن زيد العبادي يوصي المرء أن لا يجزع من المزاح إذا ما زح أحدًا وعليه أن يتجنب فرط المزاح حتى لا يقع في السفه والغى يقول (١) :

إذا أنت فأكهت الرجال فلا تلج
وقل مثلما قالوا ولا تنزه (٢)
وإياك من فرط المزاح فإنته
جدير بتسفيه الحليم المسدد
...

فعليك أيها المرء أن لا تجزع أو تضجر إذا ما مازحت أحدًا وأن لا تنزه في المزح ولكن قل مثلما قال جلساؤك ، وإياك من فرط المزاح والاكتار منه فإن كثرته تنتقص من قدر المرء وقيمته الاجتماعية والأخلاقية .

وإذا كان عدي قد نهى عن فرط المزاح وكثرته فهذا عبد الله بن معاوية يوصي المرء أن يتجنب المزح مطلقا يقول (٣) :

(١) ديوانه ص ١٠٥ .
(٢) فلا تلج : فلا تجزع وتضجر
(٣) شعره ص ٣٤ .

خَلَّ عَنكَ الْمَزْحَ مَجْتَنِبًا ■ إِنَّهُ يُدْنِي لَكَ الْعَطْبَا
رَبَّ مَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ ■ فِي زَوَاجٍ هَاجَهُ لِمَعْبَا

...

فاجتنب أيها الإنسان المزاح ولا تقربه فإنه يقربك من الردى والغواية
فرب امرئ كانت منيته من جناية لسانه لأنه أفرط في مزح لم يلق له اهتماما
في ساعته .

وأبو العتاهية أيضا يوصي المرء باجتنب المزح لمنزلة الرديئة يقول (١) :
وَدَعَ الْفُكَاهَةَ بِالْمِزَاحِ فَإِنَّهُ
يُرْدِي وَيَسْخِفُ مِنْ بِهِ يَتَفَكَّهُ

فإن أردت أن تتفكه وتضحك أيها المرء فاجتنب الفكاهة والضحك بالمزح
لأن ذلك مما يسخف عقلك ويغيب رأيك ويحط من قدرك ، ويجرك إلى مهوى
الردى فاحذره وابتعد عنه وتفكه بأمور لا تصل إلى المزح ولا تقترب منه حتى
تحافظ على قدرك ومنزلتك .

ودعبل بن علي الخزاعي (٢) يوصي المرء بترك المزح ويحذره من عواقبه
يقول (٣) :

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لَامِئِي طِينٍ
مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّقَفِ

-
- (١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٤٠٩ .
(٢) هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي ، وكهنته أبو علي ، شاعر عباسي
متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم من لسانه وهجائه أحد من الخلفاء
ولا الوزراء ولا القواد ، ويعد من شعراء الشيعة الممدودين ، مات قتيلا سنة
٢٤٦ هـ انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٨٥٣ والأغاني ج ٢ ص
١٢٠ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٦٦ .
(٣) ديوان دعبل ص ١٥٤ تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي نشر دار الكتاب
اللبناني ط الثانية سنة ١٩٧٢ م .

فَرَّبَ قَافِيَةً بِالْمَنْزِ جَارِيَةً
مَشْتُومًا لَمْ يَرِدْ انْمَاؤُهَا نَسَتْ
رَدُّ السَّلَى مَسْتَتِمًا بَعْدَ قَطْعَتِهِ
كَرَدَ قَافِيَةً مِنْ بَعْدِ مَا مَضَتْ (١)

...

فدعبل يوصى المرء بأن لا يلقى المزاج على رجل فطن يحفظ كل ما يقال له ويسمعه فينشر هذا المزاج بين الناس ويجريه على لسانه لحفظه إياه ، وربما ألفت عليه قصيدة ومنضمونها س ، وأنت لا تقصد بها إلا المزاج ولكنه حفظها ونشرها بين الناس فتجر عليك شوما دائما لا تستطيع دفعه ، واعلم أيها الانسان أن ما اشتهر عند الناس وحفظوه لن تستطيع رده فهذا شيء مستحيل مثله مثل السلى بعد الولادة هل تستطيع رده بعد أن قطعته ؟ إن ذلك أمر مستحيل ولكن احفظ لسانك ولا تلتق بالمزاج على مثل هؤلاء .

وأبو هفان (٢) ينصح المرء ويوصيه أن لا يفرط في المزج وأن يحذر من عواقبه يقول (٣) :

مَا زِلَ صَدِيقَكَ مَا أَحَبَّ مِزَاجًا
وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمِزَاجِ جِمَاحًا
فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الصَّدِيقُ بِمِزَاجِهِ
كَانَتْ لِلسَّابِ عِدَاوَةٌ مِفْتَاحًا

-
- (١) السلى : جلدة فيها الولد من المواشى .
(٢) هو عبد الله بن أحمد بن حرب الميزوسي كان شاعرا عالما راوية من أهل البصرة وسكن بغداد أخذ عن الأصمعي وغيره توفي سنة ٢٥٧ هـ .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٧٠ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ص ١٥٦ .
(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٧٠

فلا مانع من المزح القليل مع صديقك أيها الرجل ولكن مع التحفظ والاحتياط وعدم الافراط فيه واحذر من جماح فؤاد صاحبك وغلبة المزح على عقله فلربما مزح عليك بمزحة كانت سبب عداوة دائمة بينك وبينه فينفتح عليك باب لا تستطيع رده وإغلاقه ، فامزح مزحا خفيفا لا يصل إلى حد الاسفاف والعداوة .

ولابن وكيع التنيسى^(١) بيتين معناهما مشابه لمعنى سابقيهما يقول^(٢) :

لَا تَمْزَحَنَّ فَإِنْ مَزَحْتَ فَلَا يَكُنْ
مَزْحًا تَضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْذَرْ مِمَّا زَحَّيْتَ نَعُودُ عَدَاوَةً
إِنْ الْمِزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْغَضَبِ
...

فعليك أيها الانسان أن تتجنب المزاح ، وإن كنت لابد فاعلا فلا تمزح بشئ يصل بك إلى سوء الخلق وفحش القول ، واحذر من المزح الذي ينقلب إلى عداوة بسبب الافراط فيه فإن المزاح " على مقدمة الغضب .

في الخاتمة

وبعد هذه الوقفة مع وصايا الشعراء على تجنب المزاح والنهي عن الافراط

(١) هو أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف الضبي المعروف بابن وكيع التنيسى أصله من بغداد قال عنه الثعالبي شاعر بارع ، وعالم جامع ، وقد برع في إبانته على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في أوامه وله كسل بدعية تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام ، توفي سنة ٣٩٣ .

انظر ترجمته في يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٤٣٤ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ج ٢ ص ٥٢٠ .

فيه ، نرى أن عدي بن زيد قد أوصى المرء بأن لا يفرط في مزحه وحث على
الاقتصاد فيه ، وكذلك أبو هفان وابن وكيع التنيسي وحذرهم هؤلاء أيضا من
عواقبه الوخيمة .

ونرى كذلك أن عبد الله بن معاوية بن جعفر وأبا العتاهية أوصوا المرء
بأن يجتنب المزمع كليا لأنه من السخف ويدنى المرء من الهاوية .

...

١٠ - الحث على السفر وآدابه :

السفر من الأمور التي يعشقها كثير من الناس لما فيه من متعة ولذة ،
والسفر يكسب المرء خبرة في الحياة ويعوده على الصبر وتحمل المشقة .

وقد أوصى الشعراء في شتى العصور على السفر والتغرب عن الأوطان وترك
البلاد خصوصاً إذا امتهنت كرامة الانسان كما بينوا بعض آداب السفر وأوصوا
بها كما سأبينه ان شاء الله .

فحاتم الطائي يقدم للرجل وصية رائعة في أدب السفر يقول (١) :

إِذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْفُلُوسِ فَلَا تَدَعْ
رَفِيقَكَ يَمْشِي خَلْفَهَا غَيْرُ رَاكِبٍ
أَنْخَهَا وَأَرْكَبْنَاهُ فَإِنْ حَمَلْتُكَ
فَذَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ فَعَاقِبِ

...

إذا كنت أيها الانسان في سفر ومعك رفيق لك وليس معك إلا راحلة
واحدة وكنت صاحبها فلا تدع رفيق سفرك يمشي خلفك وأنت راكب راحلتك ، فإن
هذا مناف للأخلاق الكريمة ، ولكن عليك أن تردفه معك على الراحلة فإن
استطاعت حملكما فذاك أمر حسن ، وإن لم تستطيع فتعاقب أنت وإياه الركوب .

والمقنع الكندي يحث المرء على السفر إذا أحس بهوان في وطنه يقول (٢) :

وإن خفت من دارٍ هواناً فَوَلِّهَا
سِوَاكَ وعن دارٍ الأذى فَتَحَاوَلْ

(١) ديوان حاتم الطائي ص ٢٠٤ . صنعة يحيى بن مدرك الطائي تحقيق د /
عادل سليمان ، مطبعة الدنى ، القاهرة .

(٢) شعراء أمويون ص ٢١٢

فإن أصابك ضم أيها المرء في بلد من البلاد أو أهانك أحد وأنت
غير قادر على رد هذا الأذى فعليك بالسفر وترك هذا البلد إلى بلاد أخرى
صيانةً لعمرك ومروءتك .

وصالح بن عبد القدوس يوصي المرء بالسفر وترك البلاد في حالة الضنك
وقلة الرزق يقول : (١)

وإذا رأيت الرزق عَزَّ بِلْدَةٍ
وخشيت فيها أن يضيق المذهبُ
فأرحل فأرض الله واسعةً القضا
طولاً وعرضاً شَرْقها والمغربُ
...

فالشاعر يقول : إن ضاقت عليك أيها الإنسان المعيشة في بلد وعز عليك
الرزق وخشيت الفقر وانغلقت عليك أسبابه فأرحل عن هذه البلاد واطلب الرزق
في أرض الله الواسعة .

وقريب من هذا المعنى يقول الامام الشافعي (٢) :

أرحل يَنْفِكَ عَنْ أَرْضٍ تَضَامُ بِهَا
وَلَا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حَرْقٍ
فَالْعَبْرُ الْخَامُ رَوْثٌ فَي مَوَاطِنِهِ
وَفِي التَّغَرُّبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْعُنُقِ
وَالْكُلُّ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ تَنْظَرُهُ
فِي أَرْضِهِ وَهُوَ مَرِيٌّ عَلَى الطَّرِيقِ

(١) صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره ص ١٢٧

(٢) ديوانه ص ٦٣ .

لما تَغَرَّبَ حازَ الفَضْلَ أَجْمَعَهُ
فصار يُحْمَلُ بَيْنَ الجَفْنِ والحدَقِ

...

فإن ضامك أحد أيها الانسان في بلد فسافر عنه وابحث عن بلد آخر ،
ولا تأس على فراق وطنك وأهلك فإنك لن تبلغ المكانة العالية ، والشرف الرفيع
إلا بمفارقتك لأهلك وموطنك وانظر الى العنبر والكحل فإنهما في أصلهما لا ينظر
إليهما فالعنبر أصله روث والكحل أصله حجر لكهما لما فارقا موطنهما الأصل
ارتفعت مكانتهما وعز مطلبهما ، فالعنبر يدهن ويتطيب به ويوضع على الأنف
والوجه ويحمل على العنق لمكانته والكحل يوضع في العين بين الحدقة والجفن .

وحالك مثل حالهما إن مكثت في أرضك وموطنك فلن تبلغ المجد والمرة
وإن فارقت الأهل وتغربت حزت الفضل أجمعه .

ويوصى في أبيات أخرى على السفر لما فيه من فوائد جليلة يقول (١)
تَغَرَّبْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وسافر ففى الأسفار خمن فوائد
تَفَرِّجْ هَمَّ وَاكْتَسِبْ مَعِيشَةً
وعلم وآداباً وصحبةً ما جيد

...

فالامام الشافعى يطلب من المرء أن يتغرب عن وطنه للبحث عن المعالى
والمجد وأن يسافر ويسبح في البلاد لما في ذلك من فوائد جليلة أهمها تسليمة
النفس وطردها عن الهموم والثانية كسب العيش فرما لم يوفق الانسان في طلب الرزق في
بلد ، فعليه أن يذهب الى بلد آخر لعله يجد نصيبه هناك ، وفي السفر أيضا
يكتسب المرء العلم من العلماء الذين يلتقى بهم في تلك الديار ، ويكتسب المرء من

(١) المصدر السابق ص ٤١ .

السفر الآداب الجمة منها الصبر والتحمل وآخر فوائد السفر صحة الأخيار ورفقتهم
فهذه خمس فوائد جليلة للسفر والتغرب .

وأبو تمام الطائي يرى أن مكوث المرء في موطن واحد ينقص من قيمته فيحسثه
على السفر والاغتراب يقول (١) :

وطول مُقام المرء في الحى مُخلقٌ
لديّاجتيسه فاغترِبْ تتجدد
فإنّ رأيت الشمس زدت محبّة
إلى الناس أن ليست عليهم يسرمد
...

فمكوثك أيها المرء في بلد واحد لا تتعداه الى غيره مخلق لديّاجتيسك
ولوجهك بين الناس لكثرة ما رأوك فتبدأ منزلتك تقل لديهم ، ولكن لكى تتلافى
ذلك عليك بالسفر والاغتراب ففي السفر يتجدد إشراق وجهك ويفقدك بنو قومك
وبلدك فإذا رجعت لهم رجعت وكأنك إنسان غريب جديد بالنسبة لهم ، وليكن لك فى
الشمس قدوة فإنها محبة إلى الناس جميعا لأنها ليست دائمة المكوث عليهم بل إنها
تشرق ثم تغرب وهكذا واليك فتزول عنهم فى كل يوم ، فلذلك صارت عزيزة لديهم ،
وكن أنت مثلها لا تُثِلْ مجتمعك وبنى قومك بطول مكوثك بل سافر وتغرب عنهم
حتى يتجدد بهاءك .

والبحترى (٢) يوصى المرء بالسفر وترك الوطن إذا افتقر وكساه الدهر من

(١) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ج ٢ ص ٢٣ .

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، يكنى أبا عباد ، شاعر عباسى
فاضل ، فصيح المذهب نقى الكلام مطبوع ، يعد أبو تمام أستاذه فى الشعر
ولد بمضيق سنة ٢٠٦ هـ ومات بها سنة ٢٨٦ هـ وقيل ٢٨٥ وقيل ٢٨٤ .
انظر ترجمته فى الأغانى ج ٢١ ص ٢٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٤٦ .

الفقر حلة يقول (١) :

وَإِذَا الزَّمَانُ كَمَاكَ حَلَّةَ مُعْدِمٍ
فَالْبَيْتُ لَهُ حُلَلُ النَّوَى وَتَغَرَّبَ

فإن افتقرت أيها الإنسان في بلد فلا تمكث فيه تأكل قلبك الحسرة لما
الت إليه، بل عليك أن تسافر وتتغرب فبلاد الله واسعة لكى تحصل على قوت
تعيش به .

وهذا أبو فراس الحمداني يبين لنا أن الإنسان إذا لم يسافر فليس يبالغ
إلى ما يصبو إليه من عزة وشرف يقول (٢) :

وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِبَالِغٍ فِي أَرْضِهِ ■ كَالصَّغْرِ لَيْسَ بِصَائِدٍ فِي وَكْرِهِ

فعليك أيها المرء أن تترك موطنك بحثاً عن سعة الرزق وبلوغ الذروة في
العزة والشرف ، ومثلك أيها المرء مثل الصقر فإنه لو لم يفارق وكوره لم يحصل على
رزقه فسافر وتغرب عن وطنك لكى تحصل على ما تريد .

وأبو الفتح البستي يوصي المرء الذي يضام في بلد أن يتركه ويسافر إلى وطن
آخر يقول (٣) :

إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنٌ فَلَهُ
وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ

فلا تهن نفسك أيها الإنسان وتعبر على الذل والضميم ، فإذا ضامك أهل
بلد ونبا بك هذا الوطن فوله وراءك وسافر إلى بلد آخر فإن الأرض واسعة والبلاد
كثيرة فليست الدنيا وقفا على هذا البلد .

(١) ديوانه ج ١ ص ٧٩ تحقيق حسن كامل الصيرفي ط الثالثة نشر دار المعارف

بصر .

(٢) ديوانه ص ٧٣ .

(٣) فريدة عنوان الحكم ص ٤١ .

ويتركز الشاعر على هذا المعنى فيقول في بيت آخر (١) :

وَإِنْ نَبَتْ بِكَ أَوْطَانٌ نَشَأَتْ بِهَا
فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلَادِ اللَّهِ أَوْطَانٌ

فلا تعتمد في وطن أهنت فيه وأصابك الذل والضعف وإن كان هذا الموطن قد نشأت به بل ارحل عنه إلى بلد آخر صونا لمرضك ومنزلتك فالبلاد واحدة فكلها بلاد الله وكلها وطن للمرء .

وبعد هذه النظرة على وصايا الشعراء في الحث على السفر والتغرب نجد أن حاتم الطائي قد بين لنا بعض آداب السفر التي يجب أن يتحلل بها المرء وأوصى الشعراء المرء أيضا بالسفر هربا من الضيم والذل كما هو الحال عند المقنع الكندي والإمام الشافعي وأبو الفتح البستي وأوصوا المرء بالسفر أيضا لفوائده الجملة الجميلة والتي ذكروا بعضها منها مثل ما رأينا عند الإمام الشافعي وأبي تمام والبحترى وأبي فراس الحمداني .

...

(١) المرجع السابق ص ٤٢ .

١١ - إتمام الوعد :

إتمام الوعد من الصفات التي يجب أن يعمل بها المرء لأن إخلاف الوعد مذموم وقبيح ، ولم يترك الشعراء هذا الجانب الأخلاقي بل دعوا إلى إتمام الوعد ونهوا عن إخلافه وبينوا وجوب تنفيذه على المرء إن أجاب بالاجاب فسي أول الأمر وإن خاف من عدم قدرته على إتمامه فليرد سائله من الأساس بالنفي .

فالمثقب العبدى (١) يوصى المرء بأن يتم وعده وأن لا يخلفه يقول (٢) :

لا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تُسِرِّدْ * أَنْ تُنَيِّمَ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمٌ
حَسَنٌ قَوْلٌ نَعَمٌ مِنْ بَعْدٍ لَا * وَفَبِجْ قَوْلٌ "لَا" بَعْدَ نَعَمٍ
إِنْ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاجِشَّةٌ * فَبِلَا قَائِدٍ إِذَا خِفْتَ النَّدَمَ
فَإِذَا قُلْتَ نَعَمَ فَاصْبِرْ لَهَا * يَنْجَاحُ الْوَعْدُ إِنْ الْخُلْفَ ذَمٌ
وَاعْلَمْ أَنَّ الذَّمَّ نَقْصٌ لِلْفَقْوِ * وَمَتَى لَا يَتَّقِهِ الذَّمُّ يَسْذَمُ

...

فعليك أيها الانسان أن تتم وعدك الذي تنطق به ، وأن لا تخلفه وإن كنت غير قادر على إتمامه فلماذا تجيب " بنعم " ، بل رد على طالبك وسائلك من يادى الأمر بالنفي " لا " لأن رد المرء بعد إجابته أمر قبيح فاحش على العكس تماما من إجابة المرء بعد رده فهذا أمر حسن ، فعليك أن تنفذ وعدك ، ولا ترد أحدا بعد إجابته واصبر على إتمام الوعد وما تلاقيه من مصائب مادية أو غيرها من

(١) هو عائذ بن محسن بن ثعلبة بن واثلة بن نكرة وهي القبيلة - ابنن لكيز بن أفس بن عبد القيس وسى بالمثقب لقوله :

رددن تحية وكسن أخرى * وثقبن الوصاوس للميون .
وهو شاعر جاهلي قديم كان في زمن عمرو بن هند ، وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد قصيدته النونية التي منها البيت السابق .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٢٧١ والشعر والشعراء ج ١ ص ٤٠٢ والخزانة ج ١ ص ٨٤ .

(٢) ديوانه ص ٢٢٢ تحقيق حسن كامل الصيرفي ، نشر معهد المخطوطات العربية مصر سنة ١٣٩١ هـ .

من جراً تنفيذ الوعد ، لأن انجاح الوعد والقيام به مدح واخلاف الوعد ذم له .
والذم ينقض من قيمة الانسان الاجتماعية وينقص من قدره فحافظ على
مروءتك وشرفك ، فالرجل الذي لا يقى عرضه من الذم سيذمه الناس ولن يتركوه .
وأبو الأسود الدؤلى يوصى المرء بالوفاء بوعده والحذر من وصمه بصفة
الكذب لاخلاف وعده يقول (١) :

وإن قلت فى شئ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ
فإن نَعَمْ دَينٌ على الحرِّ واجبٌ
وإلا فقل لا واسترَحْ وأرج بها
لكن لا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ

يقول الشاعر عليك أيها الانسان أن تقى بوعدك اذا وعدت أحدا ، لأن
وعد الحر دين مكتوب عليه يجب قضاؤه ، فلا يسقط عن المرء حتى يقى به ، وإن
كنت تنوى عدم الوفاء بوعدك أو ليس بمقدورك الوفاء به فرد سائلك بآدى ذى
بد ، واسترح من دين الوفاء وأرج طالبك من طول الانتظار والأمل .

واعلم أنك إن رددته من أول الأمر ولم تعده بشئ سلمت من وصمك بصفة
الكذب لانك إن وعدته بشئ ولم تف به عدك الناس فى عداد الكاذبين .

وابن مسحل العفيلى (٢) يوصى المرء بانتهاء وعده ويبين قبح الاخلاف

(١) ديوانه ص ١٤٣ .

(٢) ابن مسحل العفيلى شاعر أموى مقل ، لم يصل إلينا من شعره الا ما أثبتته
البحثرى فى حماسته وهو قليل ، وقد تكون وفاته فى آخر العصر الأموى
— لم أجد له سوى هذه الترجمة نقلا عن كتاب شعراء بنى غفيل
وشعرهم ج ١ ص ٣٠٠ د / عبد العزيز بن محمد الفيصل ، طبع شركة
البيكان الرياض سنة ١٤٠٨ هـ .

يقول^(١):

أَبْدَأْ يَقُولِيكَ لَا لَا قَبْلَ نَعَمْ
يا صاح بعد نَعَمْ ما أَقْبَحُ الْعِلَلَا
واعلم بآن نَعَمْ إِنْ قَالَهَا أَحَدٌ
عَدَّ الْوَعِيدَ لَمْ تَتْرُكْ لَهُ جَدًّا

فالواجب على الإنسان أن يعرف حاله فلا يعد إنسانا بشىء وهو غير قادر على إتمامه فعله أن يجيب من سأله بالرد والنفي قبل إجابته بنعم لأن النفي والرد بعد الإيجاب أمر قبيح وأقبح منه خلق العلل الواهية لبيان أسباب الرد فالعلم أيها المرء أنك إذا قلت (نعم) ووعدت أحدا لم تترك لنفسك فرصة للاخلاف فيصير تنفيذه أمرا واجبا عليك .

هذا ما استطعت الحصول عليه في هذا البحث ، ونلاحظ أن الشعراء اتفقوا على أن اتمام الوعد واجب على المرء ولا سبيل الى اخلافه ، وبينوا أن اخلاف الوعد مما يعيب المرء ويحط من قدره ، وأوضحوا أنه يجب على الانسان الذى لا يستطيع اتمام الوعد أن لا يعد أحدا بشىء ، فذلك أسلم له وأوفر لعرضه .

...

(١) الحماسة للبحرئى ص ٢٢٢ .

١٢ - آداب زيارة المريض :

من الجوانب المهمة في العلاقات الإنسانية التي تطرق اليها بعض الشعراء في وصاياهم " آداب زيارة المريض " ، وخصوا بالذكر عدم اطالة المكوث لدى المريض وتخفيف الزيارة له ، وكذلك الدعاء للمريض .

ولا يخفى علينا أن هذا الجانب الخلقى من الأخلاق الإسلامية التي حث عليها الاسلام وأوصى بها .

فجعفر بن حذار الكاتب^(١) يوصى المرء ويطلب منه ألا يطيل الجلوس لدى المريض ويبين له الوقت المطلوب بين كل زيارة وأخرى يقول^(٢) :

إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ
وَأَقْعُدْ قَلِيلاً كَلْحَظِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ
لَا تُبْرِمْ مَرِيضاً فِي عِيَادَتِهِ
يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ تَسْأَلُ بِحَرْفَيْنِ

فاعلم أيها الانسان أن من آداب زيارة المريض أن لا تكثر التردد عليه بل اجعل زيارتك يوماً بعد يوم ، وعليك أن تخففها فلا تمكث عنده طويلاً بل وقتاً قصيراً كلمح البصر لكي لا تؤذيّه بإطالة زيارتك لك ، وإياك من كثرة الأسئلة التي تملأ واكتف بسؤال واحد أو سؤالين عن حاله وصحته .

(١) هو جعفر بن محمد بن أحمد بن حذار الكاتب ، أبو القاسم ، قال عنه الصولي " لم يكن بصر مثله في وقته كثير الشعر حسن البلاغة عالم ، قتله أحمد بن طولون ومثله به سنة ٢٦٢ هـ لاشترائه مع ابنه العباس بسن طولون في الخروج عليه .

انظر معجم الأدباء ج ٧ ص ١٨٢ .

(٢) بهجة المجالس ج ٢ ص ٢٦٣

وابن العلاف^(١) يوصي المرء بتخفيف الزيادة للمريض وينهاه عن إطالة الجلوس عنده وعليه أن يقوم سريعاً عنه بعد أن يدعو له الله سبحانه وتعالى ليمن عليه بالشفاء العاجل يقول^(٢) :

قُلْ لِمَنْ يُرْمَى الْمَرِيضُ فَلَوْ عُدَّ
تَ صَحِيحاً لَعَادَ ذَاكَ مَرِيضاً
لَا تُطِيلْ عِنْدَهُ الْجُلُوسَ فَيَزِدَا
دُ طَوِيلًا مِنَ السَّقَامِ عَرِيضاً
قُلْ لَهُ كَيْفَ أَنْتَ وَادْعُ لَهُ الْـ
سَّهْلَ وَعَجِّلْ عَنِ الْعَلِيلِ النَّهْوضَا
فَإِذَا كَانَ مَنْ يَمُودُ مَطِيلًا
لَمْ يَكُنْ عَائِداً وَكَانَ بَغِيضَا
...

فالشاعر يقول : عليك أيها الانسان ألا تطيل الجلوس عند المريض، لأن ذلك يبعث السأم لديه ، ويزيد من مرضه وعلته ، والإنسان الصحيح المعافى يعمل من إطالة مكوث الزائر لديه فكيف بالمريض .

ولكن خفف زيارتك له وامكث لديه قليلا وعجل بالنهوض من عنده بعد أن تدعو الله سبحانه وتعالى بأن يمن عليه بالشفاء العاجل وأن يمنحه الصحة والعافية ، واعلم أن من يطيل الجلوس عند المريض بغرض ، لأنه يثقل عليه بهذه الاطالة ويسلبه الراحة التي هو أحوج اليها .

(١) هو أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني شاعر عباسي مجيد ، من أشهر شعره قصيدته في رثاء السهره وهي تعد من أحسن الشعر وأبدع توفي سنة ٣١٨ هـ وقيل ٣١٩ هـ وله من العمر مائة سنة .

انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣٧٩:٧ ووفيات الأعيان ١٠٧:٢ .

(٢) شعره ص ٣٠ جمع وتحقيق صبيح رديف ط الأولى سنة ١٣٩٤م مطابع الجامعة بغداد .

ونلاحظ الأثر الاسلامي الواضح في هذه الوصية خصوصا في طلب
الشاعر من المرن بأن يدعو الله للمريض ، فذلك مأخوذ من آداب الاسلام ففي
الحديث الشريف عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : عاذني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال " اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا اللهم
اشف سعدا " (١) .

هذا ما استطعت العثور عليه من شعر في الوصايا التي تبين آداب
زيارة المريض ، ورأينا أن الشاعرين ركزا على وجوب تخفيف الزيارة ، وعدم
اطالة الجلوس لدى المريض ونهيا عن إكثار الأسئلة التي تبرمه .

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ١: ١٦٨ نشر دار الفكر ب . ت . و صحيح
مسلم كتاب الوصية حديث رقم ٨ : ٣ : ص ١٢٥٣ .

الفصل الثاني سر الوصايا الذهبية

١. اخلص على الكرم والافتقار.
٢. اخلص على تقوى الله وما ينصل به من قبح وفساد.
٣. اخلص على حفظ الجوارح والسرور والجمع والكلمة بين المؤمنين.
٤. اخلص على مصاحبة الاخيار وحسن معاملتهم والاعتناء بالصالح.
٥. اخلص على طلب الزينة مع التفتت وعدم الخصر.
٦. اخلص على ابداء الصنيع وعدم التلذذ والاولا.
٧. اخلص على التخلي بالصفت الخلقية الحميدة والبعد عن الصفات الذميمة.
٨. اخلص على التسمية ونحوها والتمسك.
٩. وصية الشاعر بنائه لزمانه والبقاء عليه.
١٠. اخلص على اختيار الزوج الصالح.

الوصايا الأبوية من الأغراض المهمة في شعر الوصايا لما فيها من معان إنسانية وأخلاقية سامية يوجه بها الشاعر أبناءه عند دنو أجله ، وهو الاتجاه الثانى من اتجاهات شعر الوصايا .

والوصية الأبوية موجهة إلى شخص معين وهو الابن أو مجموع الأبناء يطلب منهم والدهم الحفاظ على المجد والسودد ، والتحلى بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالآداب العربية والإسلامية .

والشاعر عادة يرسم فى وصيته سياسة واضحة لأبنائه يسبرون عليها ويستنبطون منها فى درب حياتهم .

وشعر الوصايا الأبوية يكون - فى الغالب - عند الاحساس بدنو الأجل فيوصى الشاعر أبناءه بالوصية المناسبة لهم شفقة عليهم ونصحا وتوجيها لهم .

وقد تعددت المعانى داخل الوصية الواحدة إذ نجد القصيدة أو القطعة الشعرية تتضمن معانى عديدة من الحث على الكرم ، والحفاظ على المجد والسودد والحث على تقوى الله سبحانه وتعالى والتحلى بالصفات الحميدة ، وغير ذلك من المعانى الأخرى. وسأتحدث عن ذلك بالتفصيل إن شاء الله .

١ - الحث على الكرم والانفاق :

الوصية بالكرم وبذل المال من أبرز الموضوعات التي أوصى بها الشعراء أبناءهم ، وذلك لما للكرم والانفاق من منزلة عظيمة في نفوس المجتمع العربي كما سبق أن بينته في الفصل الأول ، فالحارث بن حلزة ^(١) يوصي ابنه بإكرام الضيف وتقدير اللبن له وينهاه عن منع اللبن عنه بكسعه للابل لكي يسمنها يقول ^(٢) :

فَلْتُ لِعَمْرٍو حِينَ أَبْصَرْتُهُ
وَقَدْ حَبَا مِنْ دُونِهَا عَالِجٌ ^(٣)
لَا تَكْسَعُ الشَّوْلَ بِأَغَارِهَا
إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ النَّاتِجِ ^(٤)
وَاحْلِبْ لَأُضِيفَكَ أَلْبَانَهَا
فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجِ
رَبَّ عِشَارٍ سَوْفَ يَفْتَالُهَا
لَا يُبْطِئُ الشَّدَّ وَلَا عَالِجُ
يَسُوقُهَا شَلًّا إِلَى أَهْلِهِ
كَأَيُّمُوقِ الْبَكْرَةِ الْفَالِجِ

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكري ، شاعر جاهلي قديم مشهور ، عنه ابن سلام في الطبقة السادسة من طبقات الجاهليين ، وهو صاحب المعلقة المشهورة الذي مطلعها " أذنتنا يبيها أساء "

ويقال أنه ارتجلها ارتجالاً بين يدي عمرو بن هند .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ح ١ ص ١٥١ والمؤتلف والمختلف للآمدي ص ٩٠ والشعر والشعراء ح ١ ص ٢٠٣ .

(٢) الفضليات ص ٤٣٠ .

(٣) حبا : دنا .

(٤) الكسع : أن يؤخذ ماء بارد فيضرب به ضرع الحلاب إذا أرادوا تغريزها ليبقى لها طرقها ويكون أقوى لاولادها التي تنتجها . أغارها : بقية اللبن في الضرع .

فَدَ كُنْتَ يَوْمًا تَرْتَجِسُ رِسْلَهَا
فَأَطْرَدَ الْحَائِلُ وَالذَّالِمُ
بَيْنَا الْفَتَى يَسْمَعُ وَيُسْمَعُ لَهُ
تَسَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِ خَالِجٍ
يَتْرُكُ مَا رَفَعَ مِنْ عَيْشِهِ
يَعِثُ فِيهِ هَجٌّ هَامِجٌ (١)
...

فالشاعر يوصي ابنه بتجنب كسح الإبل وترك اللبن في ضرعها لتسمن
فيقوى ولدها إذا نتجت ، ويطلب منه أن يحلب هذا اللبن ويقدمه إلى أضيافه
الطارقين له .

فإكرام الضيف من الواجبات على الإنسان ويخبره أن شر اللبن الذي
لا يستفاد منه ولا يشرب منه أحد .

ثم يقول له : واعلم أنك لا تدري هل ستستفيد من نتاج إبلك التي
سمنت وحجبت لبنها وتركته في ضرعها أم يغير عليها رجل جلد فيسوقها
بأجمعها كبيرها وصغيرها ، أو يفتالك الموت على غرة من أمرك فتترك مالك الذي
أفقيت عمرك في إصلاحه وجمعه لوارثك الذي يعيث فيه فسادا مثل البعوض
الهائج الذي يعيث بالشيء ولا يطرده أحد .

وذو الاصبع العدواني (٢) يوصي ابنه أسيد على إنفاق المال وإكرام الضيف

(١) رقع أصلح . هج : ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الدواب
الهريفة .

(٢) هو حرثان بن حارث بن محرث ، العدواني . وقيل له ذو الاصبع لأن حية
نهشته في أصبعه فقطعها ، شاعر فارسي من قدماء الشعراء في الجاهلية
وله غارات كثيرة ووقائع مشهورة ، ويعد أحد الحكماء الشعراء وقد عمر
دهرا طويلا .

انظر ترجمته في الموءلف والمختلف ص ١١٨ والشعر والشعراء ج ٢ ص ٢١٢
والأغاني ج ٣ ص ٨٩ .

لأن ذلك مما يورث المجد الموهل يقول (١) :

أَسِيدُ إِنْ مَالًا مَلَكَ * تَ فِسرُ بِهِ سَيَرًا جَبِيلًا
أَبْسَنِي إِنْ الْمَالُ لَا * يَبْكِي إِذَا فَقَدَ الْبَخِيلًا
وَابْسَطْ يَمِينِكَ بِالنَّسْدِ * وَامْدُدْ لَهَا بَاعًا طَوِيلًا
وَابْسُطْ يَدَيْكَ بِمَا مَلَكَ * تَ وَشِدَّ الْحَسَبَ الْأَنِيلًا
وَابْذُلْ لِضَيْفِكَ ذَاتَ رَحْمَ * لِكَ (٢) مُكْرَمًا حَتَّى يَزُولَا

...

فالشاعر يوصي ابنه أسيد ويقول له: يا بني إن رزقت مالا كثيرا وملكته فأحسن التصرف فيه وكن كريما يحمدك الناس ، واعلم أن المال لا يضره ولا ينفعه انفاقك له أو امساكك فالمال لا يبكي إذا فقد الرجل البخيل الممسك له لأنه لا يستفيد من ذلك فأنفق من مالك وكن كريما ، وابسط يدك بالبذل والكرم والمعروف واغاثة الملهوف ولا تبخل بما لك فبكرمك تشيد حسبا ومجدا موهلا .

واعلم أن إكرام الضيف واجب عليك ، فإن نزل بك ضيف فأوسع له فسي بيتك واسكه فيه مع المبالغة في إكرامه وتقديم الطعام والشراب له حتى يتحول عنك ويذهب .

وعبد قيس بن خفاف (٣) يوصي ابنه جبيل بالبذل والإنفاق ويحثه على

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٠٠ .

(٢) ذات رحلك : منزلك ومسكنك .

(٣) هو عبد قيس بن خفاف البرجسي التميمي أبو جبيل شاعر جاهلي فحل ، وكان شريفا شجاعا ليس له أخبار إلا ما ذكر أنه وفد على حاتم الطائي في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها فقال والله لأتبن من يحملها عنى فأتى حاتم الطائي فحملها عنه .

انظر ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٢٥ والأغاني ج ٨ ص ٢٤ والأعلام ج ٤ ص ٤٩ .

إكرام الضيف والحذر من السنة النامر يقول (١) :

وَالضَّيْفَ أَكْرَمَهُ فَإِنْ مَبِيتَهُ
حَقٌّ وَلَا تَكُ لَعْنَةً لِلنَّزْلِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ مَخْبَرُ أَهْلِهِ
بِمَبِيتِ لَيْلَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ

...

يقول الشاعر موصيا ابنه : من الواجب عليك قيامك بأمر ضيفك وإكرامه فإن مبيته عندك وإكرامك له حق عليك له في غفك يجب الوفاء به وتأديته على أحسن وجه وأتمه ، واحذر من عدم إكرام الضيف فإن ذلك خلق سيء يحط من قدرك ومنزلتك فيذك الناس ويلعنك كل من حل ضيفا عليك ولم تكرمه .

وبالغ في إكرام الضيف لأنه إذا رحل غك سيخبر أهله وذويه عن مبيته عندك وبين لهم ما قدمته له وهل أكرمته ، سواء سألوهم أم لا ، فهذه طبيعة في الإنسان ، فاجتنب الشح حتى لا يوتر غك بخل فتقدم به ويسووهك .

ويواصل الشاعر وصيته لابنه فيحثه على انفاق المال والمروءة فيقول (٢) :

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى النَّدَى
غُبْرًا أَكْثُهُمْ بَقَاعِ مُخِيلِ
فَاعْنَهُمْ وَابْسِرْ بِمَا يَسْرُوا بِهِ
وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَانْزِلِ

...

وإذا جاءك الفقراء المقفرة أيدهم يطلبون من عطائك ونوالك فلا تردهم

(١) المفضليات ص ٣٨٤

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥ .

وتنعمهم من ذلك • بل أعنهم وأعطهم ما طلبوا منك واسرع لهم في ذلك
وداؤ فقرهم وفك ضنكهم بمواساتك لهم واعطائهم من مالك •

أما الأعشى ^(١) فإنه يذكر لنا أن والدهم قد أوصاهم باكرام الضيف
فيقول ^(٢) :

إِنَّ الْأَعْزَّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا
أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ إِنِّي تَلِفُ
الضَّيْفَ أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ
حَقًّا عَلَى فَاُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفْ
...

فاكرام الضيف من الواجبات التي يجب عليكم القيام بها يا أبناء واعلموا
أن إكرام الضيف حق له ليس للمرء أن ينعه من ذلك •

ويقول ^(٣) الأعشى في بيت آخر مخاطباً ابنه بصيراً يحثه فيه على بذل
المال والمروءة :

وَأَسْ سَرَاةَ الْحَقِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ
وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاةِ وَإِنِّيَا
...

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن ضبيعة بن قيس • شاعر جاهلي أدرك الاسلام في آخر حياته ولم يسلم • من الشعراء المقدمين ويكنى بأبي بصير • وسي بصناعة العرب لأنه كان يغني بشعره وقد عده ابن سلام في الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية •

انظر طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥٢ والموتلف والمختلف ص ١٢ والشعر والشعراء ج ١ ص ٢٦٥ والاعاني ج ٩ ص ١٠٨ •

(٢) ديوان الأعشى ص ٣٤٥ شرح وتعليق محمد حسين ط الثانية سنة

١٣٨٨ هـ نشر المكتب الشرقي للنشر والتوزيع بيروت - لبنان •
(٣) المصدر السابق ص ٣٦٥ •

يقول الشاعر لابنه : عليك معاونة أشرف القبيلة ومساعدتهم في كل أمر يلم بهم بمالك أو بجاهك ولا تبخل عليهم ، وإن أتاك أمرٌ يريد منك أن تحمل عنه دية فلا تتوان وتتباطأ في ذلك بل أسرع بدفعها عنه من خالص مالك .

أما عمرو بن الأهتم^(١) فإنه يرى أن إنفاق المال من أهم الأسباب التي تجعل المرء يرقى إلى المجد ويتسم ذراه فيوصى ابنه بذلك حيث يقول^(٢) :

وَإِنَّكَ لَنْ تَسَالَ الْمَجْدَ حَتَّى
تَجُودَ بِمَا يَضُنُّ بِهِ الضَّمِيرُ
بِنَفْسِكَ أَوْ بِمَالِكَ فِي أُمُورِ
يَهَابُ رُكُوبَهَا الْوَرَعُ الدُّشُورُ
...

يقول الشاعر : إنك يا بني لن تبلغ ذروة المجد حتى تجود بالأشياء التي يشح المرء بها وتتعلق النفوس بها ، وأهم هذه الأشياء هو بذل النفس والمال فبذل النفس ركوبك الخطر وغشيانك الحروب بغير رهبة ولا وجل من الموت لنجدة أحد أو اغاثة ملهوف .

وبذل المال هو إنفاقه على المحتاجين والطلابين له ، فإن فعلت هذين الأمرين اللذين يعجز ويهاب عن فعلهما الرجل الخامل النوءم ، صعدت إلى

(١) هو عمرو بن الأهتم واسم الأهتم سنان بن سس بن سنان بن خالو بن منقر من بني تميم ، شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية والإسلام ، أسلم ووفد على الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومه بني تميم ، وكان يدعى في الجاهلية المسكحل لجماله ، وكان ثقيفا شاعرا يقال لشعره الحلل المنشورة لعذوبته .

انظر معجم الشعراء ص ٢١٢ والشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٣٦ .

(٢) المفضليات ص ٤١٠ .

نذرى المجد ووصلت إلى سنامه .

ثم يوصيه بإكرام الضيف لوجوبه عليه ويخبره بأن الضيف سيتحدث عن
ما لاقاه في ضيافتك فعليك أن تقى عرضك يقول (١) :

وجارى لا تَهَيِّنْتَهُ وَضَيْفِي
إِذَا أَمْسَى وَرَاءَ الْبَيْتِ كُورُ
يَوْوَبُ إِلَيْكَ أَشْعَتْ جَرْفَتُهُ
عَمَّوَانُ لَا يَنْهِنُهَا الْقُورُ
أَصْبَهُ بِالْكَرَامَةِ وَاحْتَفِظْهُ
عَلَيْكَ فَإِنَّ مَنْطِقَهُ بِسِيرُ
...

يقول الشاعر يا بني عليك بإكرام الضيف وحماية الجار حتى ولو كنت في
زمن لا يحصى فيه جار ولا يكرم فيه ضيف للفقر والجوع وشدة السنين ؛ ولكن
أكرم ضيفك الذي يأتيك قاصدا لك أشعث أغبر قد حلت به المصائب، الواحدة
تلو الأخرى فأنهكت جسمه وذهبت برونق وجهه وبهائه . فإكرامك له يجعله
يحمل إليك ويمدحك ولن يوفدك ؛ واعلم أن منطق الضيف وكلامه سيسير في
الآفاق وينتشر بين الناس سواء كان مدحا أو ذما فإثن لسانه إلى قول الممدح
والإشادة بكرمك .

أما الشاعر كعب الغنوى (٢) فيوصي ابنه بإجابة سؤل من سألته لأن

(١) المصدر السابق ص ٤١٠ .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامي وهو أحد بني سالم بن عبيد بن
سعد بن عوف بن كعب بن حلال بن غني بن أعصر ، يقال له كعب الأمثال
لكثرة ما نظم قصائده الأمثال ، انظر ترجمته في مجمع البحار ٢٤١
وانظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٨ ص ٥٧٤ .

هذا المال الذى جاء هذا السائل يطلب منه من عند الله سبحانه وتعالى .
يقول (١) :

وَإِذَا سُئِلْتَ الْخَيْرَ فَأَعْلَمْ أَنَّه
نَعَمْ تَخَصُّ بِهَا مِنَ الرَّحْمَنِ
شَيْمٌ تَعَلَّقَ بِالرَّجَالِ وَإِنَّمَا
شَيْمُ الرِّجَالِ كَهَيْئَةِ الْأُلْسَانِ
...

فمن جاءك يا بنى طالبا منك حاجة فاقضها له وان استوهبك أو طلب
منك أحد مالا فلا تردّه واعلم أن هذا المال قد منحك الله إياه فلماذا تـرد
السائل ؟ واعلم أن المروءة والكرم من طبائع الرجال النبلاء، وأخلاق الرجال تختلف
باختلاف طبائعهم فهي كالألوان بعضها رائق فاقع يسر الناظرين وبعضها شـم
قاتم يبعث الأسى والغـم .

ولعلنا نرى أثر الاسلام فى وصية الشاعر لابنه وذلك عند ما نسب الرزق إلى
الله وأنه هو الرزاق المفضل على عباده . فقد استلهم الشاعر هذا المعنى من
قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (٢) .

أما أبو الأسود الدؤلى فإنه يوصى ابنه بإكرام صديق أبيه وقضاء حوائج
الناس ويسن السبيل يقول (٣) :

أَكْرَمُ صَدِيقٍ أَيْبُكَ حَيْثُ لَقِيتَهُ
وَاحِبُ الْكِرَامَةِ مَنْ بَدَأَ فَحَبَاكَهَا

(١) الأُمالى لأبى على القالى ج ٢ ص ٣٤٦ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب

سنة ١٩٧٥ م .

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٨ .

(٣) ديوانه ص ١٣٧ .

وَإِذَا أَنَاكَ بَنُو السَّبِيلِ فَأَعْطِهِمْ
 مِنْ فَضْلِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أُعْطَاكَهَا
 ...

فعليك يا بني أن تكرم صديقي في أى وقت لقيته لأن هذا من وجوه السبر
 بسى وطاعتي ، وأكرم أيضا من أكرمك وساعد من يستحق المساعدة منك في الأمور
 المهمة وهو من لو كنت بدلا منه في هذه المصيبة لساعدك وكفك أمرها .

وإذا جاءك من يطمع في نوالك وعطاياك وقد انقطع به السبيل فلا ترد
 وتطرده عن ذلك بل ابذل له من المال الذى أنعم الله به عليك وأعطاك إياه
 وقد أخذ الشاعر هذا المعنى الاسلامي من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ) (١) وقوله تعالى :
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) (٢) .

ويزيد بن الحكم الثقفي (٣) يوجه ابنه بدر إلى معرفة حق الجار ويوصيه
 باكرام الضيف والقيام بأمره يقول (٤) :

وَاعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهٗ * وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَأَطْلَمْ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ * مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ

-
- (١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٤ .
 (٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٧ .
 (٣) هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص ، وعثمان هذا صاحب النبی صلی
 الله عليه وسلم هكذا نسبه عند ابن الأعرابي وذكر غيره أنه يزيد بن الحكم بن
 أبي العاص وعثمان عمه وهذا الذى اختاره أبو الفرج ، وهو شاعر أموى
 معاصر للحجاج وسليمان بن عبد الملك .
 انظر ترجمته في الأغاني ح ١٢ ص ٢٨٦ .
 (٤) الحماسة لأبي تمام ح ١ ص ٦١٣ .

وَالنَّاسَ مُهْتَبِينَ مَحْمُودًا * دُ الْبَنِيَّةِ أَوْ ذَمِيمٍ
...

فعليك يا بني أن ترعى حقوق جارك وترعاه ولا تهضمها فالرجل الكريم هو الذى يعرف حق جاره ويحسن اليه ، وعليك أن تكرم ضيفك فأكرام الضيف من الواجبات عليك واعلم أن الضيف سيتحدث عنك ويخبر الناس بأمر ضيافتك له فان أحسنت له حمدك وان قصرت فى إكرامه ذمك وشتك .

واعلم يا بني أن مثل الناس فى أعمالهم مثل الذى يبني بناءة فـان أحسن أساسها كانت بناءة قوية متماسكة وإن كانت ضعيفة سقطت وتهدمت ، وكذلك الرجال فبعضهم يعمل أعمالا حسنة ويبني مجدا موثلا يحمد عليه ويمدح وبعضهم يعمل أعمالا سيئة فيلام على أعماله ويذم من أجلها ويهدم ما بناء هو أو آباؤه وأجداده .

ويحذر الشاعر ابنه من البخل ويبين له عدم جدواه لأن الانسان سيهلك ويترك ما خلفه من مال ولن يبقى له إلا ذكره الحسن يقول (١) :

الْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحَقِّ * قِ وَلِلْكَالَةِ مَا يَسِيمِ
مَا بَخُلَ مَنْ هُوَ لِلنَّاسِ * ن وَرَبِّهَا غَرَضٌ رَجِيمِ
وَبَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ * هَمْدُوا كَمَا هَمْدَ الْهَشِيمِ
وَسَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا * بُؤْسٌ يَدُومٌ وَلَا نَعِيمِ
...

يقول الشاعر مخاطبا ابنه محذرا إياه من البخل : يا بني بعض الناس يبخل بما يجب عليه من حقوق وهو لن يخلد لهذا المال الذى جمعه ولم يؤد حقه

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٦١٢ .

وسيموت ويتركه فينتقل هذا المال إلى الورثة وربما كان الوارث له من الكلاله بعيد عنه فعلى ذلك ما السبب الذى يسوغ للانسان البخل. وأيضا ألا يعتبر هذا البخل بمن سبقه من أناس هل خلدوا ؟ أم أنهم صاروا هشيما قد همدوا واخترمهم الموت . وحتما سيثول إلى ما آلوا اليه ولن يدوم أحد سواء كان صاحب نعيم أم صاحب بؤس ، فعليك أن تتجنب هذه الصفة القبيحة وأن تتعد عنها .

وبعد هذه الوقفة مع شعر الوصايا الأبوية فى جانب الحث على الكرم والبذل نجد أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم بوجوب إكرام الضيف مهما كانت الحال ويهضر الشعراء قد علل سبب ذلك وهو أن الضيف سوف يحمى مضيفه أو يذمه فخافوا من الذم فوجهوا أبناءهم إلى عمل ما يمدحون به .

وبينوا لأبنائهم أن إكرام الضيف والقيام بأمره حق له واجب على المرء تأديته على أتم وجه ، وحثوا على إنفاق المال وبذله لطالبيه ونرى أن الشعراء الاسلاميين حثوا على بذل المال فى وجوه الخير، ولمن احتاج إليه لأن هذا المال من عند الله سبحانه وتعالى ، فعلى المرء أن لا يرد أحدا جاءه يسأله من فضل الله عليه ، كما حذر بعضهم من البخل وبين لابنه أنه لا يوجد سبب داع لبخل الانسان الذى سيفنى ويموت .

٢ - الحث على تقوى الله وما يقتضيه من قيم دينية :

لقد تعددت ديانات العرب في العصر الجاهلى ، ولكن الديانة السائدة في جميع نواحي شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت هي الوثنية ، ومع عبادة العرب لهذه الأصنام والأوثان إلا أنهم كانوا يعتقدون بوجود الله سبحانه وتعالى وأنه هو الخالق والرازق ، وقد أثبت القرآن لهم ذلك . قال تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ " (١) وقوله تعالى : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ...) (٢) .

ولكن القرآن الكريم أنكر عليهم اعتقاد الشرك في عبادتهم ، فدعاهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والخلوص له من الشرك .

ولم تكن الوثنية هي المهيمنة على اعتقاد جميع العرب بل وجد فيهم من يؤمن بالله وحده ويخلص له العبادة ويسير على دين إبراهيم عليه السلام وهم يعرفون بالمتحنفين ، فنبذوا عبادة الأصنام ودعوا إلى التفكير والتعقل ، وحرّموا على أنفسهم شرب الخمر والزنا ، والقمار وغيرها من منكرات الجاهلية ومعتقداتهم (٣) .

ومن هذا المنطلق أوصى بعض الشعراء الخنفاء أبناءهم بتقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه .

(١) الزخرف آية ٨٧ .

(٢) يونس آية ٣٠ - ٣١ .

(٣) انظر عن الحياة الدينية في العصر الجاهلى كتاب تاريخ الأدب العربى ، العصر الجاهلى / دكتور / شوقي ضيف ص ٨٩ وما بعدها ، وكتاب في تاريخ الأدب الجاهلى للدكتور على الجندى ص ٧٥ .

فالأعشى (١) يوصي ابنه بصيرا بتقوى الله سبحانه وتعالى وعبادته وحسده ،
ويوصيه كذلك بمواساة الفقراء والبعد عن المحرمات فيقول (٢) :

(١) قد يتساءل الإنسان فيقول : كيف يوصي الأعشى الشاعر الجاهلي ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ومواساة الفقراء والبعد عن المحرمات وغيرها ، وهو شاعر كافر اشتهر بالزنا والخمر . .

فالجواب عن ذلك : إن محقق ديوان الأعشى د / محمد محمد حسين قد وقف عند هذه القصيدة وقفة طويلة متأنية وأثار حول صحة نسبتها للأعشى الشك ، وفي رأيه أنها لا تصح للأعشى لأسباب عديدة أهمها :
ضعف الالفاظ وركاكتها ، وتأثر القصيدة بالقرآن ، والقصيدة تخالف منهج حياة الأعشى اللاهية المليئة بالفسق والدعارة .

ولكن مع ذلك لم يستطع أن يرد القصيدة لأنها رويت عن أبي عمرو الشيباني وهو ثقة فيما يرويه ، ولذلك أفتره أن تكون للأعشى وأنه نظمها بعد أن بلغه شيء من مبادئ الاسلام وتعاليمه وربما سمع شيئا من القرآن قبل أن يرحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليمدحه في القصة المشهورة ، ويكون ضعف النظم والركاكة راجعا إلى أن الشاعر يعالج مواضيع ومعاني جديدة على منهج شعره محاولا أن يطوع لها أساليبه فلم يسلس له القياد وهذه ظاهرة عامة في الشعر الذي عالج المواضيع الاسلامية الجديدة لاحظها النقاد القدماء
انظر ديوان الأعشى ص ٣٦٤ .

وأنا بدوري لا أستطيع أن أرد هذه القصيدة أو أنكر نسبتها للأعشى لأنها مثبتة في الديوان ورويت عن راوية ثقة لا يضع الشعر ولا ينحله ، وربما كان الأعشى نظم هذه القصيدة موصيا ابنه عندما أراد أن يرحل إلى النسبي صلى الله عليه وسلم ليمدحه ويسلم بعد أن أسن وهرم ، ولا بد أن تكون تعاليم الاسلام في هذا الوقت قد وصلت وأنه سمع بعض آيات القرآن الكريم .
أما عن حياته اللاهية العابثة فليس هذا دليلا مقنعا لرد القصيدة لأنه ربما أراد الشاعر لابنه أن يسير في طريق مستقيم مغاير للطريق الذي سار هو عليه . . . والله أعلم بالصواب .

(٢) ديوانه ص ٣٦٥

وَأَنَّ تَقَى الرَّحْمَنَ لَا شَيْءَ يَمِثُّهُ
فَصَبْرًا إِذَا تَلَقَّى السَّحَابَ الْغَرَائِبَا (١)
وَرَبَّكَ لَا تَشْرِكْ بِهِ إِنَّ شِرْكَهٗ
يَحْطُّ مِنَ الْخَيْرَاتِ تِلْكَ الْبَوَاقِيَا
بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ لَا شَرِيكَ لَوْجِهَهُ
يَكُنْ لَكَ فِيهَا تَكْدُحُ الْيَوْمِ رَاعِيَا
وَأَيَّكَ وَالْمَهْنَاتَ لَا تَقْرُبْنَهَا
كَفَى بِكَلَامِ اللَّهِ عَنْ ذَاكَ نَاهِيَا
...

يقول الشاعر : عليك يا بني أن تخاف الله وتتقيه فإنه هو المعبود الحق ولا شيء يساوى تقواه ، عليك أن تواسى الفقير الجائع وتعينه ولا تمنعه ممن عطائك ونوالك ، واصبر على ذلك ، واعبد الله وحده ولا تشرك معه أحدا في عبادته فالشرك ينقص ثواب الأعمال الصالحة التي قدمتها لله سبحانه وتعالى ، فعليك أن توحده في العبادة ولا تدع أحدا غيره لمعينك في أعمالك وسميك ، واجتنب لحم الميتة لا تقرب منه ولا تأكله فإن ذلك محرم وحسبك بكلام الله ناهيا لك فإنه حرم الميتة .

وعبد قيس بن خفاف يوصى ابنه جبيل بالخوف من الله والوفاء بالندور ، يقول (٢) :

اللَّهُ فَاتَّقِهِ وَأَوْفِ بِنَذْرِهِ
وَإِذَا حَلَفْتَ مَمَارِيًا فَتَحَلَّلْ

اتق الله سبحانه وتعالى يا بني وخف منه واعمل ما يرضيه وأوف بنذرك

(١) الغرائبا : الجائع .

(٢) الفضليات ص ٣٨٤ .

الذى تذكره لله سبحانه وتعالى ، وإن أقسمت بالله وحلفت وكنت على غير حق
فى قسمك فتحلل منه وتراجع عنه ، وإذا كان بعذر الشعراء المتخفين أوصى
أبناءه بتقوى الله سبحانه وتعالى فإن شعراء العصور الإسلامية أولو هذا الجانب
المهم فى حياة الإنسان غاية كبرى ، وحشروهم أبناءهم على تقوى الله سبحانه وتعالى
واتباع تعاليم الإسلام نابع من إيمانهم العميق بالرسالة المحمدية والتوحيد
الخالص لله سبحانه وتعالى .

فأبو قيس الأنصارى (١) يوصى أبناءه بتقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته
يقول (٢) :

يقول أبو قيسٍ وَأَصْبَحَ غَادِيًا
أَلَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَايَ فَاَفْعَلُوا
أَوْصِيكُمْ بِاللَّهِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى
وَأَعْرَاضَكُمْ وَالْبِرِّ بِاللَّهِ أَوَّلُ
...

فالشاعر يوصى أبناءه ويقول لهم : يا أبنائى اننى قد أوشت على الموت
وانى موصيكم بوصايا عديدة فاعملوا على تنفيذها والعمل بمقتضاها ما استطعتم
إلى ذلك سبيلا فاتقوا الله سبحانه وتعالى وخافوه فى كل أموركم ، واعملوا البر
وافعلوا الخيرات ، وصونوا أعراضكم من أن يدنسها أحد أو ينتقصها منتقص .
بالبعد عن مواطن الشبهة والريبة .

(١) هو صرمة بن قيس بن مالك النجارى الأوسى أبو قيس ، عمر طويلا ففى
الجاهلية وترهب وفارق الأوثان وكان معظما فى قومه أدرك الإسلام ففى
شيخوخته وأسلم - على أصح الأقوال - توفى فى حياة النبى صلى الله
عليه وسلم .

انظر ترجمته فى البداية والنهاية لابن كثير ح ٣ ص ١٥٦ والاصابة ح ٧ ص ٣٣
والأعلام ح ٣ ص ٢٠٣ .

(٢) المعمرون والوصايا ص ١٣٤ وذكر أن اسمه أبو قيس بن صرمة .

وللشاعر أبيات أخرى يوص فيها أبناءه بمجموعة من الوصايا بحشهم فيها على تقوى الله سبحانه وتعالى وصلة الأرحام والبعد عن أكل الحرام وغيرها يقول (١) :

يَا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَقْطَعُوهَا
 وصلوها قصيرة من طوال
 واتقوا الله في ضعاف اليتامى
 ربما يستحل غير حلال
 واعلموا أن لليتيم ولياً
 عالماً يهتدى بغير سوء
 ثم مال اليتيم لا تأكلوه
 إن مال اليتيم يرغاه وال
 واجمعوا أفرمكم على البر والتق
 سوى وترك الخنا وأخذ الحلال
 ...

أوصيكم يا أبنائي أن تصلوا أرحامكم وإياكم وقطيعةها، وصلة الأرحام تكون بالزيارة القصيرة بعد مدة من الزمن حتى تطول المودة بينكم ، واتقوا الله سبحانه وتعالى واعملوا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه ، وإياكم وظلم اليتيم فإن لليتيم ولياً يعلم ما تخفى الصدور من غير سوءال أحد وهو الله العزيز القدير ، واحذروا كل الحذر من أكل أموال اليتام فإن ذلك محرم والله هو الذى يرعى مال اليتيم فلن يترك أحداً يعمى فيه .

وعليكم يا أبنائي باجتماع كلمتكم على تقوى الله سبحانه وتعالى وعمل البر

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ص ٥٣٤ عبد الله بن حامد الحاد

والإحسان إلى الناس وفعل الخيرات التي تقرّبكم من الله عز وجل واحذروا الكسب الحرام واحرصوا على الكسب من الطرق المشروعة واجتنبوا جميع الأمور التي حرّمها الإسلام .

ونلاحظ في هذه الأبيات الأثر الإسلامي الواضح . فصلّة الرحم والحث على ذلك من توجيهات الإسلام والتحذير من أكل مال اليتيم مأخوذ من قوله تعالى : ^(١) " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّا نَأْكُلُونَهُ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ" الآية .

والشاعر عبدة بن الطبيب ^(٢) يوصي أبناءه بتقوى الله سبحانه وتعالى ورسر والدهم يقول ^(٣) :

أَوْصِيَكُمْ بِتَقَىٰ إِلَهِ فَإِنَّهُ ۖ يُعْطَى الرَّغَائِبَ مِنْ يَشَاءُ وَيَنْصَحُ
وَبِرِّ وَالِدِكُمْ وَطَاعَةِ أَمْرِهِ ۖ إِنَّ الْآبَرَ مِنَ الْبَنِينَ الْأَطْوَعُ
إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ ۖ ضَاقَتْ بِدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَنْصَحُ
...

فأول الأمور الواجبة عليكم يا أبنائي تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته فسي أوامره واجتنب نواهيه واعلموا أن الأرزاق بيده سبحانه فهو الذي ييسر الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء فهو الذي يستحق الشكر في جميع الأحوال .

وعليكم ببر والدكم وصلته وقضاء حوائجه وإطاعة أمره فالهار من البنين هو الذي يطيع أوامر والده وينفذ ما يقول ولا يعصيه . لأن الشيخ الكبير يضيق ذرعاً

(١) النساء آية رقم ١٠ .

(٢) هو عبدة بن الطبيب واسم الطبيب يزيد بن عمرو بن ولة بن أنس التميمي . شاعر مجيد ليس بالمتكرر من المخضرمين . أسلم وحسن إسلامه وكان فسي جيش النعمان بن مقرن المزني في حرب المدائن .

(٣) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٢٣١ . والأغاني ج ١ ص ٢٥ .
المفضليات ص ١٤٦ .

بعضيان أهله وذويه له ويصيه الغم والحزن إذا عصاه أهله ، لا شعاعهم له بالذلة وعدم الاكتراث برأيه وأقواله ، وهو لا يستطيع أن يعمل شيئاً لعجزه وكبر سنه فيلوذ بالصمت ويقعد محسوراً على ما آل إليه أمره .

وأثر الإسلام بين في هذه الأبيات خصوصاً في حشده أبناءه على بر الوالد عندما جعله تالياً لتقوى الله سبحانه وتعالى لأنه متأثر بالآية الكريمة : **قَالَ تَعَالَى " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهِ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ " (١)** .

والشاعر النابغة الشيباني (٢) يوصي ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى والإحسان وعمل الخير يقول (٣) :

اسْتَمِعْ يَا بَنِيَّ مِنْ وَعْظٍ شَنِيعٍ
عَجَمَ الدَّهْرُ فِي السَّنُونِ الْخَوَالِي
اتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ وَأَحْسِنْ
إِنْ تَقَوَّى إِلَهَ خَيْرِ الْخِلَالِ

فالشاعر يقول : يا بني إني صاحب تجربة في الحياة وخبرة ، وقد حلبت الدهر أشطره وعركتني السنون وإني موصيك بوصية فاعمل بها ، فعليك يا بني بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وعمل ما أمرك الله به والانتها عما نهاك عنه ما استطعت

(١) سورة لقمان آية رقم ١٤ .

(٢) هو عبد الله بن المخارق بن سليم الشيباني ، شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية ، كان يقد إلى الشام ماداً خلفاً بني أمية فهجزلون له العطاء ، وزعم أبو الفرج الأصفهاني أنه نصراني ولكن أشعاره تدل على أنه كان مسلماً لتجلى الروح الإسلامية فيها .

انظر الأغاني ج ٢ ص ١٠٦ والموتلف والمختلف للأدي ص ١٩٢ .

(٣) الحماسة للبهتري ص ٢٤٩ .

إلى ذلك سبيلا ، وأحسن العبادة له وحده فإن تقواه عز وجل أحسن الصفات وأشرفها .

وقد تأثر الشاعر بالقرآن الكريم فضمن معنى قوله تعالى : " فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ " . . . الآية (١) .

وصالح بن عبد القدوس يوصي ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ، ويرغبه في ذلك لأن العواقب الحسنة لمن اتقى الله سبحانه وتعالى وخافه يقول (٢) :

بَنَىٰ عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ إِلَهِهِ
فَإِنَّ الْعَوَاقِبَ لِلْمُتَّقِي
وَأَنَّكَ مَا تَأْتِ مِنْ وَجْهِهِ
تَجِدُ بَابَهُ غَيْرَ مُسْتَعْلِقِ

فالشاعر يقول : أوصيك يا بني بتقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه فإن العواقب الحسنة للمتقين ، واعلم أن السعادة في الدنيا والآخرة والنجاح في تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه ، واعلم يا بني أن الله كريم جواد لا يرد سائلا ولا يخيب ظن مؤمن .

أما الشاعر أبو العتاهية فإنه يوصي ابنه بوصايا دينية كثيرة منها الحث على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وعبادة الله على أحسن وجه يقول (٣) :

أَشْرِبْ فُؤَادَكَ بِغُضَّةِ اللَّذَاتِ
وَأَذْكُرْ حُلُولَ مَنَازِلِ الْأَسْوَاتِ

(١) سورة التغابن آية رقم ١٦ .

(٢) صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره : ١٤١ .

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره : ٥٩ .

لَا تَلْهَيْنَكَ عَنْ مَعَادِكَ لَذَّةٌ
تَفْنِي وَتُورِثُ دَائِمَ الْحَصَرَاتِ
إِنَّ السَّعِيدَ غَدًا زَهيدٌ قَانِعٌ
عَبْدُ إِلَهِ بِأَحْسَنِ الْإِخْبَاتِ
أَتِمِ الصَّلَاةَ لَوْفَتِهَا بِطُهورِهَا
وَمِنَ الضَّلَالِ تَفَاوَتْ الْمَقَاتِ
وَإِذَا اتَّسَعَتْ بِرِزْقِ رَبِّكَ فَاجْعَلْ
مِنْهُ الْأَجَلَ لَاؤُجِّهِ الصَّدَقَاتِ
فِي الْأَقْرَبِينَ وَفِي الْأَبَاعِدِ نَارَةً
إِنَّ الزَّكَاةَ قَرِينَةُ الصَّلَاةِ

...

يروى الشاعر ابنه ويقول له : يا بني احذر من الانغماس في ملذات الدنيا ونسيان الموت ، فعليك أن تبغض الملذات الزائلة ، وتذكر مصيرك المحتوم وهو الموت حتى لا تلهيك هذه الملذات عن العمل ليوم معادك وحشرك يوم القيامة ، فانك إن لهوت بهذه الشهوات الفانية وتركت العمل ليوم الآخرة أغقت خسارة وندما دائما ، فإن السعيد يا بني من زهد في هذه الدنيا وعبد الله سبحانه وتعالى بخشوع وخضوع وتواضع .

وعليك يا بني أن تؤدى الصلاة في وقتها المحدد وتحافظ عليها بعد أن تحسن وغورك من أجلها ، واعلم أن من الغواية والضلال إضاعة الصلاة وعدم الاهتمام بأمرها وتأخيرها عن وقتها .

وإن وسع الله عليك في الرزق ووهبك مالا كثيرا ، فاجعل قسطا منه للصدقات والقربات توزعها على الفقراء سواء من أقاربك أو من الأبعد ، وأد الزكاة

(١) الإخبات : الخشوع والتواضع .

التي افترضها الله عليك فإن الزكاة قرينة الصلاة ، فلا تذكر الصلاة إلا ومعها الزكاة مقرونة بها في القرآن الكريم على الغالب .

وقد استمد الشاعر وصيته هذه من القرآن الكريم فاطر القرآن واضح فيها ونرى تضييها بعض معاني الآيات الكريمة مثل قوله تعالى " أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ " (١) وقوله تعالى " وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ " (٢) وقوله تعالى : " الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ " (٣) .

وبعد هذه الجولة مع شعر الوصايا الأبوية في الحث على تقوى الله والتمسك بتعاليم الاسلام تبين لنا أن الشعراء ركزوا على الوصية لأبنائهم بتقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه ، وأوصوهم بالحد من أكل مال اليتيم واليحد عنه وأوصوهم بصلة الأرحام وبرهم ، وكذلك حث بعضهم على بر الوالدين كما حث بعضهم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإنفاق المال في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين وذكر الموت والرغبة عن الملذات والشهوات .



-
- (١) سورة الاسراء آية رقم ٧٨ .
(٢) سورة البقرة آية رقم ١١٠ .
(٣) سورة لقمان آية رقم ٤ .

٣ - الحث على حفظ المجد والسود واجتماع الكلمة بين الاخوة :

من الأمور التي أوصى بها الشعراء أبناءهم الحفاظ على المجد واجتماع الكلمة بين الأخوة ، فالشاعر يوصي أبناءه بذلك لكي يحافظوا على ما شيده لهم من عز ومجد ، وأن لا يضيعوه بتدنيسه وارتكاب الأعمال المشينة التي تنقص من قدرهم وتخدش عرضهم .

واجتماع الكلمة بين الاخوة من أهم الأسباب التي تخلد المجد والسود والفرقة هي معول الهدم لذلك . والشعراء يرون صورتهم وبقيتهم بعد ماتهم في أبنائهم فيحثونهم على التزام الطريق الذي ساروا عليه ليكملوا ما بدؤوه .

فالشاعر فيس بن عاصم المنقري ^(١) يوصي أبناءه بالحفاظ على المجد ويحثهم على التأخي واجتماع الكلمة يقول ^(٢) :

إِنَّمَا الْمَجْدُ مَا بَنَى وَالِدُ الْعَصْدِ * قِ وَأَحْيَا فَعَالَهُ الْمَوْلُودُ
وَتَمَامُ الْفَضْلِ الشَّجَاعَةُ وَالْحِلْمُ * لَمَّ إِذَا زَانَهُ عَفَافٌ وَجَوْدُ
وَتَلَاثُونَ بِمَا بَنَى إِذَا مَا * جَمَعْتَهُمْ فِي النَّائِبَاتِ الْمُجُودُ
كَتَلَا هَيْثَيْنَ مِنْ قِدَاحٍ إِذَا مَا * شَدَّهَا لِلزَّمَانِ قِدْعٌ شَدِيدُ
لَنْ تَكْسُرَ وَإِنْ تَفَرَّقَتِ الْأَسْنُ * هُمُ أَوْدَى بِجَمْعِهَا التَّبْدِيدُ
وَذَوُو الْحِلْمِ وَالْأَكَابِرُ أَوْلَى * أَنْ يَرَى مِنْكُمْ لَهْمُ تَسْوِيدُ
وَعَلَيْكُمْ حِفْظُ الْأَصَاغِرِ حَتَّى * يَبْلُغَ الْحَنْتَ الْأَصْفَرُ الْمَجْهُودُ

(١) هو فيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري التميمي صحابي جليل ، شاعر فارس كان رئيس وفد تميم لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم اشتهر بالحلم وقال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم " هذا سيد أهل الوبر " مات حوالي سنة ٢٠ هـ .

انظر ترجمته في الأغاني ح ١٤ ص ٦٩ ، معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٢٤ وخزانة الأدب ح ٨ ص ١٠٢ .

(٢) الأغاني ح ١٤ ص ٨٢ .

يقول الشاعر : " اعلّموا يا أبنائي أن المجد والعزة هو ما يسته لكم
وأفنيتم عمري في تشييده ، فحافظوا عليه وخذلوا أفعالي وماثرى وما كنت أعمله
وسيروا على خطاي ، لأن المجد والسومود إذا لم يحافظ عليه من قبل الأبناء
بعد موت والدهم ليس بمجد موثّل لأنه سيزول قريباً ، واعلموا أن تمام
العزة والشرف الشجاعة والتقدم في الحروب والمعارك ، والاتصاف بالحلم
والعفة والكرم والبعد عن مواطن الرهبة فكل هذه مجتمعة تزيد من فضل المرء
ومكانته .

وعليكم يا أبنائي باجتماع الكلمة فلا تتفرقوا وتتنافروا فإن في الفرقة ضياع
المجد وفي الشقاق التباعد والبغضاء ، واعلموا أنكم إن اجتمعتم وتعاضدتم وشد
بعضكم أزر بعض لم يستطع أحد أن ينالكم بشئ ، ولكن أن تفرقتم سهل على
أعدائكم النيل منكم .

ومثلكم يا أبنائي مثل القداح الكثيرة فإنها إن شدت إلى بعض وجمعت
لم يستطع أحد أن يكسرها وإن فرقت واحداً واحداً سهل على المرء تكديرها .

وقلدوا أمركم أكبركم سناً وأحلمكم فإنه أولى من تسود وفعلهمكم ،
واحفظوا اخوتكم الصغار وارعوا شئونهم حتى يبلغوا مبلغ الرجال ويعرفوا ما لهم
وما عليهم .

والشاعر عمرو بن الأهتم كذلك يوصي ابنه بالحفاظ على المجد والسومود
يقول (١) :

لَقَدْ أَوْصَيْتَ رَيْمَى بْنَ عَمْرِو
إِذَا حَزَبْتَ عَشِيرَتَكَ الْأُمُورُ

(١) الفضليات ص ٤٠٦ .

بأن لا تُفْسِدَنَّ ما قد سَعَيْنَا
وحَفِظْ السُّورَةَ الْعُلْيَا كَبِيرُ
وإنَّ المَجْدَ أَوْلَاهُ وَعُورُ
وَمَصْدَرُ غَيْثٍ كَرَمٌ وَخَيْرُ
...

فالشاعر يوصي ابنه ويقول له عليك يا بني أن تساعد قومك وذويك إذا أصابتهم سنة شديدة فلا تتخل عنهم ، حتى تسير على خطانا وتعمل على إبقائهم مجدنا شامخا ثابتا ، فإنه من الواجب عليك أن تحافظ على هذا السموود الذي أثناه لك ، واعلم أن المحافظة عليه أمر صعب يتطلب منك الشئ الكثير والحصول على المجد ليس بالأمر الهين على المرء فأوله صعب ودره مخوف بالمشاق والصاعب ، ولكن عاقبته حسنة وكرم وخير .

والشاعر عمرو بن معدى كرب^(١) يخبرنا أن والده قد أوصاه بالحفاظ على المجد والسموود يقول^(٢) :

فقال لى قَوْلَ ذى رَأْيٍ وَمَقْدِرَةٍ
مَجَرَّبٍ عَاقِلٍ نَزَّهٍ عَنِ الرَّهْبِ
قد نِلْتَ مَجْدًا فَحَازِرًا أَنْ تُدْتَسَّهَ
أَبُ كَرَمٍ وَجَدُّ غَيْرُ مَوْثِقِيبِ^(٣)

(١) هو عمرو بن كرب الزهيدى من مذحج ، ويعد من فرسان العرب المشهورين بالبأس في الجاهلية أدرك الاسلام فأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد مع من ارتد باليمن ، ثم هاجر إلى العراق وأسلم وشهد القادسية وله فيها بلاء حسن ، وشهد مع النعمان بن مقرن المزن ففسح نهاوند واستشهد في هذه المعركة .

انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٧٩ والأغنى ج ١ ص ١٥ ص ٢٠٨ .

(٢) شعر عمرو بن معدى كرب ص ٦٣ جمعه مطاع الطرايبشى ط الثانية سنة ١٤٠٥ هـ

نشر مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٣) الموثق : غير الصريح في النسب .

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَأَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ
فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ

...

فالشاعر يخبرنا أن والده كان على قدر كبير من الرأى والحنكة ، وقد عرّكه السنون وخبرها فأوصاه وقال له : عليك أن تحافظ على المجد الذى تتاله من بعدى والحذر الحذر من تدنيته بأعمال مشينة وأخلاق سيئة ، وإن فخرت على أحد فالحق معك لأننى رجل كريم وجدك رجل كريم صريح النسب ذو شرف ورياسة ، وقد أمرتك فى وصيتى هذه بما هو خير لك فى رفعتك ومنزلتك وقد تركت لك جاهها ومالا عظيما أصيلا .

أما عبدة بن الطبيب فإنميوحن أولاده باجتماع الكلمة والحذر من النمام الذى يوقع بينهم العداوة لكن يفرقهم يقول (١) :

وَدَعُوا الضَّغِينَةَ لَا تَكُنْ مِنْ شَأْنِكُمْ
إِنَّ الضَّغَائِينَ لِلْقَرَابَةِ تَوَضَّعُ
وَاعْتَصُوا الَّذِي يَزْجِي النَّأِيمَ بَيْنَكُمْ
مَتَنَحَّحًا ذَاكَ السَّامُ الْمُنْقَعُ
يَزْجِي عَقَارِيهَ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ
حَرًّا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ
حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ
عَمَلُ بَسَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْفَعُ
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِيبُ صَبِيهِمْ
بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْمَدَاوَةِ يَنْشَعُ

(١) المفضليات ص ١٤٦ .

فَضَلَتْ عِدَاؤَتَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ
وَأَبَتْ ضِيَابَ صُدُورِهِمْ لَا تُنَزَّعُ
قَسَمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ
حَدَّجُوا قَنَافِدَ النَّهْمَةِ تُمَزَّعُ
أَمْثَالُ زَهْدٍ حِينَ أَفْسَدَ رَهْطُهُ
حَتَّى تَشَتَّتَ أَمْرُهُمْ فَتَصَدَّعُوا
إِنَّ الدِّينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ
يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
...

يوصي الشاعر أبناءه ويقول لهم : إياكم والأحقاد والضغينة فلا تنتشر
بينكم ، فإن الحقد سريع التفشي بين الأقارب ، واحذروا من المنام الذي يمشي
بينكم بالنميمة متظاهرا لكم بالنصيحة وهو مبطن العداوة يزجى لكم سما منقعا
لهشعل بينكم حربا ضروسا كما يبعث عرق الأُخدع بقية عروق الجسم ، وهذا
الرجل المنام يغلى جوفه من حرارة الغيظ لا ينطفئ حره ولو شرب ماء بارد
مزوجا عسلا ، وإنما يشفيه تفرقكم وديبب العداوة بينكم .

واحذروا من الأقوام الذين يبتنون في منابت السوء ، فيند صباهم وهم
يرضعون العداوة والبغضاء فيحقدون على الناس جميعا ، وعداوتهم قد أرسيت
وغلبت على أحلامهم فاظهروها واضحة جليلة للعيان ، وهو لا مثلهم مثل القنفذ
الذي إذا اشتدت ظلمة الليل بدأ بالسير والرحلة فلا ينام أبدا ، وهم كذلك
لا ينامون فهم يسهرون الليل أجمعه بالنميمة والاحتياال في الشر مثل زهد
ابن مالك الأصغر الذي أفسد رهطه ومشى بينهم بالنميمة حتى تفرقوا وانصدع
أمرهم فهلكوا ، واعلموا أن هؤلاء الذين يتظاهرون لكم بالود والإخاء لا يهدأ
لهم بال ولا ينطفئ لهم غل حتى تفرقوا وينصدع أمركم ، فاحذروهم واعلموا على

جمع كلمتكم وكونوا مجتمعين على رأى رجل واحد منكم .

وعبد الملك بن مروان يوصى أبناءه ، على نفى الاحقاد والعمل على اجتماع الكلمة وعدم الفرقة فى أبيات شبيهة بأبيات فيس بن عاصم يقول (١) :

انفوا الضغائن عنكم وعليكم
 عند المغيب وفى حضور المشهد
 صلاح ذات البين طول بقائكم
 إن مدّ فى عمري وإن لم يمدد
 ولمنل رب الدهر ألف بينكم
 يتراحم وتواصل وتودد
 حتى تلين قلوبكم وجلودكم
 لمسود منكم وغير مسود
 إن القداح إذا جتمعن فرامها
 بالكسر ذو حنى وبطي أميد
 عزت فلم تكسر وإن هى بددت
 فالوهن والتكسر للمتبدد

...

فعلينكم يا أبناءى أن تبتعدوا عن الحقد والظفينة ولا تجعلوها من شأنكم وأصلحوا ذات بينكم واتحدوا ولا تختلفوا ، أمد بقائكم فى الدنيا سواء عمرت أو هلكت ، وائتلافكم بالتواصل والتراحم والتودد يمينكم على نوائب الدهر ويجعلكم تهتمون بأموركم جميعا فيساعد بعضكم بعضا سواء كان صاحب الشأن

(١) المعمرون والوصايا ص ١٦١ .

صغيرا أم كبيرا أو سيذا أو مسودا ٥ واجتماع كلمتكم قوة وحصن لكم فلو رام
أحد ظلمكم أو النهل من أحد منكم بسوء ٥ لن يقدر على ذلك وانظروا إلى القداح
فإنها إذا اجتمعت لم يستطع أحد كسرها وإن كان أيذا قويا شديد البطش ٥
وإن هي تفرقت سهل كسرها وتبدد ها ٥ وكونوا أنتم مثلها في التأخي واجتماع
الكلمة ٥

وبعد هذا العرض لشعر الوصايا الأبوية في جانب الحث على اجتماع
الكلمة والحفاظ على المجد والسودد نرى أن الشعراء أوصوا أبناءهم بالمحافظة
على المجد بمواصلة ما بدأ آباؤهم والسير على خطاهم في الأمور الحسنة ٥
وحثوهم على اجتماع الكلمة لأن في ذلك قوة لهم ورادعا لمن رام النهل منهم
بسوء ٥ وبينوا لهم أن من الحفاظ على المجد والسودد ٥ البعد عن مواطن
الريبة والدنس والاقتراب من فعل الخيرات والكرم ٥ وأوصوهم بالبعد عن الأحقاد
والضغائن لما في ذلك من فرقة ٥ وحذروهم من المنام الذي يعمل على صدع
قوتهم ويكرس جهده ليفرق جمعهم ويقطع تماسكهم ويهدم مجدهم وسوددهم ٥

٤ - الحث على مصاحبة الأخيار وحسن معاملتهم واجتناب اللثام :

لا بد للإنسان في هذه الحياه من أصحاب وأصدقاء يركن إليهم ويتحدث معهم • والقرين صورة صادقة لقرينه والشعراء قد عرفوا ذلك فوجهوا أبناءهم إلى الرجل الذي يستحق الموداعه والمصاحبه وهو الرجل الكريم النبيل • ونهوا عن اللثيم وذى الأخلاق السيئه وبعض الشعراء أعطى ابنه منهجاً يسير عليه مسع أصدقائه أو أعدائه في حالة القرب والبعد منهم • وسأبين ذلك بالتفصيل إن شاء الله •

فدوا الاصبع المدوانى يوصى ابنه أسيد بمصاحبة الأخيار ما استطاع إلى ذلك سبيلا وينهاه عن معاشره اللثام يقول (١) :

أَجِ الْكِرَامَ إِنِ اسْتَطَعْتَ • سَتَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَبِيلًا
وَاشْرَبْ بِكَاسِهِمْ وَإِنْ • شَرِبُوا بِسِوِ السَّمِّ الشَّيْلًا
أَهِنْ اللَّثَامَ وَلَا تَكُنْ • لِإِخَائِهِمْ جَمَلًا ذَلُولًا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا تَوَا • خِمِهِمْ وَجَدَتْ لَهُمْ فُضُولًا

فالشاعر يوصى ابنه ويقول له : يا بنى عليك بصحبة الكرام والأخيار وموداعاتهم والحرص عليهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا • واجتهد في طلبهم حتى تجدهم وتقارنهم • وعليك بالسير على خطاهم • وعدم مخالفتهم لأن الخير كل الخير في اتباعهم والاستشارة بمعلمهم • وعليك اجتناب اللثام والحذر من قربهم بل أهنهم ولا تذلل جانبك لهم • فلا يروا منك إلا كل احتقار لهم • لأنهم لا يستحقون من المرء إلا ذلك لسوء طبيعتهم • وخبث سجيئتهم • وموداعاتهم يا بنى للأخيار والكرام ترى الفرق بينهم وبين اللثام وتجد أن للكرام فضلا عظيما على المرء لا تصل إليه صحبة اللثام •

(١) الأغاني ج ٣ ص ١١ •

أما عبد قيس بن خفاف فإنه يوجه ابنه إلى حسن معاملة الأصدقاء
والبعد عن تجريحهم والنيل منهم يقول (١) :

وَدَعَ الْقَوَارِصَ لِلصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ
كِي لَا يَسْرُوكَ مِنَ اللَّثَامِ الْعُزْلِ
وَصِلِ التَّوَاصِلَ مَا صَفَا لَكَ وَدَّه
وَاحْذَرْ حِمَالِ الْخَائِنِ الْمُتَبَدِّلِ

فعليك يا بني أن تحسن المعاملة للصديق ولا تُسَدِّ له العداوة والبغضاء
ولا يصله منك قوارص وأضغان وأحقاد لأن هذه الأشياء من صفات اللثام الحقيقين
الذين يجتنبهم الناس فيصبرون في معزل، فاحذر أن تكون منهم ولا يبعدك الناس
في زميرتهم .

وعليك بصلة من وصلك ، وأخلص في مودته لك ، واحذر من عداوة الخائن
الذي يكيد لك في الخفاء .

أما الأعشى فإنه يرسم لابنه بصيرا طريقة معاملة الإخوان والأصدقاء
يقول (٢) :

سَأَوْسٍ بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْبَلَى
وَكُلِّ أَمْرٍ يَوْمًا سَهْوَ بَحْثٍ فَإِنِّي
بِأَنْ لَا تَكَنَّ الْوَدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ
وَلَا تَتَنَا إِنْ أَمَسَ بِقُرْبِكَ رَاضِيًا
فَذَا الشَّنُّ فَاغْنَاهُ وَذَا الْوَدُّ فَاجْزِهِ
عَلَى وَدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الْغَلَانِيَا (٣)

(١) المفضليات ص ٣٨٤ .

(٢) ديوان الأعشى ص ٣٦٥ .

(٣) الغلانية : الغلو والاسراف .

يقول الشاعر : سوف أوصي ابني بصيرا إذا دنا أجلي ، وكل امرئ سيزول ويصير إلى الفناء ، فلن يبقى أحد على وجه هذه البسيطة ، فعلبك يا بني أن لا ترجو الود والقرب من إنسان نأى وتباعد عنك فلا تذهب نفسك وترهقها حتى تستميل قلبه إليك ، عليك أن لا تعرض عن من طلب ودك واقترب منك ، وابغض من أبغضك وأهمله ولا تقترب منه ، واجز صديقك ومحبك على قربه محبة ومودة منك وأسرف في مودته وزد عليه في قربه .

وإذا كانت هذه وجهة نظر الأعشى التي أوصى بها ابنه في الصداقة والصديق ومعاملته فإن أبا الأسود الدؤلي على النقيض تماما من ذلك فهو يوصي ابنه بأن يقتصد في حبه لصديقه وكذلك في بغضه لعدوه يقول (١) :

أَحِبَّ إِذَا أَحَبَّتَ حُبًّا مُقَارِبًا
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَارِعٌ
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ

فعليك يا بني أن تعتدل في حبك ومعاشرتك لأصدقائك فلا تسرف في حب صديقك ولا تكثر الزهارة له ، ولا تخبره بجميع أسرارك ، فإنك لا تدري ما يخفيه الخيب لك فربما انقلب الصديق عدواً وفسد ما بينكما من ود ، فإذا كان عارفاً عنك كل شيء يخلصك أخذ في إذاعة أسرارك ، وإشاعة مساوئك بسين الناس ، أما إن كنت محترزا منه فلا يضرك بعده عنك وعداوتك لك ، وبالمقابل إذا أبغضت أحدا فلا تعرب قلبك بغضه وتحقد عليه ، لأنك لا تدري عن المقادير فربما صار هذا العدو صديقا حميما لك فعليك بالاعتقاد في الحب والبغض والاعتدال فيهما .

(١) ديوانه ص ٨٠ .

أما الشاعر يزيد بن الحكم الثقفي فإنه يوصي ابنه بدرا بالمحافظة على ود
أصدقائه ومواصلتهم يقول (١) :

يَا بَذْرُ وَالْأُمُثَالُ يَضْتَرِّبُهَا لَدَى اللَّبِّ الْحَكِيمِ
ذِمٌّ لِلْخَلِيلِ بِوَدِّهِ ۖ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ

فعليك يا بنى أن تحافظ على ود صاحبك وتبادله ودا بود ، حتى يدوم
ما بينكما من وصال ومودة تربط بين قلبكما ، وما الفائدة المرجوة من ود صديق
لا يدوم وده ، إنه ليس هناك فائدة في ذلك الود فالخير في دوام الود والصفاء
بين الأصدقاء .

أما طريح بن اسماعيل الثقفي فإنه يوصي ابنه صلت بالبعد عن اللثام
واجتنابهم يقول (٢) :

وَاتْرُكْ مَصَاحِبَةَ اللَّثَامِ وَدَعِهِمْ
تَرَكَ الْمَذُوفَةَ بِالرَّدَى عَذَاهَا

فالشاعر يوصي ابنه ويقول له : ابتعد يا بنى عن اللثام ومعاشرتهم ، وفر
عنهم كما تفر من الأمراض المعدية التي تعدى الإنسان فتؤدي به إلى الهلاك ،
فهؤلاء اللثام مثل تلك الأمراض يعدون الإنسان المستقيم صاحب الأخلاق الحسنة
والصفات الحميدة فيحولونها إلى أخلاق سيئة قبيحة - إن اختلط بهم - فلا
نصاحبهم واهرب عنهم حفاظا على أخلاقك وحياتك .

والشاعر مساور بن عبد الحميد (٣) يوصي ابنه بمصاحبة النساك والزهاد

-
- (١) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٦١٣ .
(٢) شعر طريح بن اسماعيل الثقفي ص ١١٦ .
(٣) مساور بن سوار بن عبد الحميد ، من آل قيس بن عيلان بن مضر ويقال إنه مولى
خويلد بن عدوان ، شاعر عباسي كوفي قليل الشعر ، وكان من أصحاب الحديث
ورواته . انظر الأغاني ج ١٨ ص ١٤٩ .

يقول (١)

أَحْسِنِ وَصَاحِبَ كُلِّ قَارٍ نَاسِكَ
حَسَنَ التَّعَهُّدِ لِلصَّلَاةِ مَوْدُومِ
مَنْ ضَرَبَ حَمَادٍ هُنَاكَ وَمِثْقَلِ
وَسَمَاكِ الْعَتِكِ وَابْنَ حَكِيمِ
...

يقول الشاعر : عليك يا بني أن تصاحب الأخيار الزهاد العباد ، المبتعدين
عن ملذات الدنيا ، واحرص على من يؤدى الصلاة في وقتها ، ويدوم على الصيام
تطوعا وفرضا مثل حماد بن زيد وسماك العتكي وابن حكيم .

وبعد هذه الوقفة مع شعراء الوصايا الأبوية في حثهم على مصاحبة الأخيار
وحسن معاملتهم واجتناب اللثام نرى أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم بمصاحبة الأخيار
والحرص على انتقائهم ، والسير على خطاهم ، وبعضهم حث على مصاحبة الزهاد
والعباد ، ونهوا أبناءهم عن معاشرته اللثام لسوء طباعهم وحنوهم على البعد عنهم
واجتنابهم ، وبين بعضهم وجهة نظره في معاشرته الأصدقاء ومعاملتهم فحث
ابنه على معاداة من ابتعد عنه معاداة صريحة ، والاقتراب من أظهر الود والغلو
في تقريبه ومعاشرته والمبالغة في إكرامه ، أما بعضهم فإنه حث على الاقتصاد في
ذلك والتوسط ، فإن أبغض أبغض باعتدال وإن أحب فلا يسرف في حبه ، وكذلك
أوصوا بالمحافظة على الود وعدم قطعه .

(١) الأغنى ج ١٨ ص ١٥٠ .

٥ - الحث على طلب الرزق مع التعفف وعدم الحرص :

طلب الرزق من الأعمال التي يجب على المرء أن يقوم بها ليكسب قوتــــــــــــه
ويستغنى عن الناس فلا يحتاج إلى اعطياتهم وفضلهم عليه ، والشعراء قد أوصوا
أبناءهم وحثوهم على طلب الرزق والاستغناء بأنفسهم ، ولكن مع ذلك فقد نهوهم
عن الأسى على ما فات أو الندم عليه ، وكذلك أوصى بعضهم أبناءهم بالتعفف
حتى عند نزول الفاقة بهم .

فعبد قيس بن خفاف يوجه ابنه جبيل إلى الاستغناء عن الناس وترك
ما في أيديهم حتى ولو حلت الفاقة به يقول (١)

وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا
تَرْجُو الْفَوَاحِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ
وَاسْتَغْنِ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ يَا فَنِيَّ
وَإِذَا تُصِيبَكَ خَاصَصَةٌ فَتَجَمَّلِ
...

يقول الشاعر : يا بني إن أصابتك سنة عجفاء وافترت ، ولم يكن عندك
مال تنفق منه فلا تخضع وتتذلل أمام أحد من الناس تطلب نواله وفضله ، ولكن
اطلب العطاء من صاحبه الذي أفضل على الناس جميعا وهو الله سبحانه وتعالى .

واستغن يا بني عن الناس بما وهبك الله سبحانه وتعالى من مال ما دمت
في رخاء ورفاهية ، وإن أصابتك فاقة فتحملها ، واصبر عليها ولا تظهر الجزع أو
تستجد من أحد .

(١) المفضليات ص ٣٨٥ .

وأبو الأسود الدؤلى يوصى ابنه بالسمى والاجتهاد فى طلب الرزق وعدم
الركون الى الكسل وتنمية النفس بالمال من غير عمل لأسبابه يقول (١) :

وما طلبُ المعيشَةِ بالتَّمَنَّى
ولكن أَلْقِ دِلُوكَ فى الدَّلَاءِ
تَجُثَّكَ بِمِلْئِهَا طَنُورًا وَطَنُورًا
تَجُثَّكَ بِحِمَاةٍ (٢) وَقَلِيلِ مَاءٍ
ولا تَقْعُدْ على كَمَلِ التَّمَنَّى
تَحْمِلْ على المَقَادِرِ والقَضَاءِ
فإن مَقَادِرَ الرَّحْمَنِ تَجْرِي
بَارزاقِ الرَّجَالِ مِنَ السَّمَاءِ
مَقْدَرَةٌ يَقْبِضُ أو يَبْسُطُ
وَعَجَزُ الْمَرْءِ أَسْبَابُ الْبَلَاءِ
وَمَعْضُ الرِّزْقِ فى دَعَاةٍ وَخَفِيٍّ
وَمَعْضُ الرِّزْقِ يُكْسَبُ بِالْعَنَاءِ
...

فالشاعر يقول لابنه : اعلم يا بنى أن طلب الرزق وكسب المعاش ليس
بالركون إلى الكسل والتمنى ولكن بالعمل والاجتهاد ، فأعمل الأسباب التى تسدر
عليك الرزق ، واسع له وألق دلوك مع الناس فى طلب الرزق ، فمرة تكسب رزقا
وافرا ومرة قليلا ، وإياك والخمول والكسل وتنمية النفس بالغنى وأنت ترجع أسباب
الرزق والغنى إلى القضاء والقدر وحدهما ، بل اعمل الأسباب ،
فإن مقادير الأقوات والأرزاق من عند الله سبحانه وتعالى فهو الذى يوسع الرزق
على من يشاء ويضيقه على من يشاء ، فأعمل الأسباب واتكل على رب العباد ، ولكن

(١) ديوانه ص ١٢٦ .

(٢) الحماة : الطين .

اعلم أن كمل المرء وقعوده عن طلب الرزق هو أعظم سبب للفقر والجوع وأن بعض الرزق يأتي ببسر وسهولة وبعضه يأتي بالنصب والشقاء .

ونلاحظ تأثر الشاعر بالقرآن الكريم عندما نسب الرزق وتقديره بين العباد إلى الله سبحانه وتعالى ، وقد ضمن معنى الآية الكريمة قوله تعالى : " اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ... الآية " (١).

أما مضرس بن رمي (٢) فإنه يوصي ابنه بالصبر عند نزول الفاقة به والافتقار وعدم الأسى على ما فات يقول (٣) :

لا تَهْلِكَنَّ النَّفْسَ لَوْمًا وَحَسْرَةً
على الشئ سَدَاهُ لِيُخْرِكَ قَادِرُهُ
فَلَا تَيَاسَّنْ مِنْ صَالِحٍ أَنْ تَنَالَهُ
وَأَنْ كَانَ شَيْفًا بَيْنَ أَيْدٍ تَبَادِرُهُ
وَمَا فَاتَ فَاتَرَكَهُ إِذَا عَزَّ وَاصْطَبِرَ
على الدهر إن دارت عليك دَوَائِرُهُ

...

فالشاعر يقول عليك يا بني أن لا تذهب نفسك حسرة على ما فات عليك من مال ورزق وأنت لم تستطع الحصول عليه بعد أن بذلت ما في وسعك ، بل اترك ذلك لمن يستطيع الحصول عليه ويعمل له أسبابه ، ولا تشغل نفسك به ، وإياك أن يستبد بك اليأس فتقعد عن العمل والجهد والمثابرة ، بل اعمل ولا تياس من أى عمل صالح تحصل عليه وإن كان ذلك العمل وليس فيه خير للناس كثير فإنك

(١) سورة العنكبوت آية ٦٢ .

(٢) هو مضرس بن رمي بن لقيط بن خالد بن نضلة الأسدي ، أموى الشعر شاعر محسن متمكن ، لم أجد له سوى هذه الترجمة .

انظر معجم الشعراء ص ٣٩٠ ، وخزانة الأدب ج ٥ ص ٢٢ .

(٣) المعمرون والوصايا ص ١٢٣ .

بالجد والاجتهاد ومواصلة الطلب ستحصل عليه ، وما بعد نواله من رزق أو مال وصعب الحصول عليه وفات فلا تجزع عليه ، وعليك أن تصبر على نوائب الزمان وصروف الدهر إن حلت بك أو أصابك منها شيء .

والشاعر طريح بن اسماعيل الثقفي يوصي ابنه ويحثه على مواصلة الجهد في طلب الرزق ، وأن لا ينسى شكر الله الذي خصه بهذا المال يقول (١) :

فَإِذَا خُصِّصَتْ بِنِعْمَةٍ وَرِزْقَتَهَا
مِنْ فَضْلِ رَبِّكَ نِصَّةً تَنْفَاسَهَا
فَابْغِ الزَّهَادَةَ فِي الَّذِي أُعْطِيَتْهُ
وَتَمَامُ ذَاكَ بِفِكْرٍ مَنْ أَعْطَاهَا
...

يا بني إذا وهبك الله سبحانه وتعالى ومن عليك برزق واخر فلا تترك بعد ذلك إلى الكسل وتغمد عن العمل من أجل ذلك المال ، بل اطلب الزهادة فيه وشره واعمل الأسباب التي تجعله يزيد وينسى واعلم أن أهم هذه الأسباب هو شكر الله سبحانه وتعالى الذي أعطاك هذا المال وأغناك عن الناس .

والشاعر قد أخذ ذلك من الآية الكريمة قال تعالى : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ " (٢).

فما سبق نرى أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم على طلب الرزق والسمى له وعدم الخضوع لأحد في حالة الفقر ، وبينوا أن طلب الرزق ليس من عند الناس إنما هو من عند الله سبحانه وتعالى ، وحثوهم على التعفف والجد والاجتهاد

(١) شعر طريح بن اسماعيل الثقفي ص ١١٦ .

(٢) سورة ابراهيم آية رقم ٧ .

وعدم الركون الى الكسل وتمنيّة النفس بالمال والرزق الوافر من غير عمل الأسباب
له ، وبعضهم أوصى ابنه أن لا يركن الى الكسل حتى ولو كان غنيا ، بل عليه أن
يطلب الزهادة فيه وأهم سبب لزهادة المال ونمائه شكر الله سبحانه وتعالى ،
كما أنهم حذروهم من الحرص والأسى على ما فات وأوصوهم بالفناعة والصبر على
نوائب الدهر .

٦ - الحث على إباء الضيم وعدم الذل والهوان :

نفس الإنسان الأبية الحرة لا يمكن أن تخضع وتصبر على الذل والضميم ،
والشعراء قد أوصوا أبناءهم على إباء الضيم والهوان وعدم الخضوع لأحد ، وإن
حاول أحد اهانتهم فعليهم الرد بالمثل أو الزيادة عليه .

فعبد قيس بن خفاف يوصى ابنه جيهل بإباء الضيم والذل ، ويطلب منه
الرحيل عن بلد يهان به يقول (١) :

وَاتْرُكْ مَحَلَّ السَّوْءِ لَا تَحُلْ بِهِ
وَإِذَا نَسَا بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلِ
دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارُهُ
أَفْرَاحِلُ عَنْهَا كَنْ لَمْ يَرْحَلِ
وَإِذَا أَتَيْتَكَ مِنَ الْعَدُوِّ قَوَارِصُ
فَاقْرُصْ كَذَاكَ وَلَا تَقُلْ لَمْ أَفْعَلِ
...

عليك أن تهتد يا بني عن مواطن الريبة والذل ، وإن أهنت في بلد أو
أصابك ضيم فيه فتحول عنه وسافر إلى بلد آخر تحفظ فيه كرامتك وتحصن عرضك
واعلم يا بني أن من صبر على الذل وأقام في وطن أهين فيه فهو موطنه باختباره
فليس من رحل عن بلد قد أذل فيه وأنف المقام به كمن أقام به محتلاً الهوان
صابراً على الضيم ، فكن أنت ممن يتولى عن ذلك البلد ويترك خلفه ويولى وجهه
إلى بلد آخر، وإن أصابك سوء أو وصلت إليك بداية حقد وضغن من أحد فلا
تتغافل عنه وخذ بنارك منه واردد عمله عليه .

(١) المفضليات ص ٣٨٥ .

وعمر بن الأهتم يوصي ابنه رمي بالحذر من الأعداء ومحاربتهم وعدم
الخضوع لهم يقول (١) :

وإن من الصديق عليك ضغناً
بدا لي إنني رجلٌ بصيرٌ
بادوا الرجال إذا التقينا
وما تخفى من الحسك الصدورُ
فإن رفعوا الأئنة فازفعنهما
إلى العليا وأنت بها جدٍيرُ
وإن جهدوا عليك فلا تهبنهم
وجاهدهم إذا حيس الفتييرُ (٢)
فإن قصدوا لكر الحق فاقصد
وإن جاروا فجز حتى يصيروا
....

يقول الشاعر : اعلم يا بني أن بعض من يدعي صحبتك وودك هو في
الحقيقة عدو لك يتتبع أخطائك ويتحرى عن زلاتك وعميوك صغيرها وكبيرها حتى
إذا افترقتما وابتعد عنك أخذ في ذكر عميوك وافشائها للناس .

وانني يا بني رجل قد خبرت الحياة وعرفت الرجال وأخلاقهم ، وما تكفه
صدورهم من ضغن وحقد وحسد فإن رفعوا لحريك الأئنة فارفعها واعمل
مثلاً علواً ، وحاربهم ولا تتذلل لهم أو تركن اليهم ، واعلم أنك أحق
بالنصر منهم وإن تكالبوا عليك ، واجمعوا أمرهم على حريك ، فلا تهبنهم أو يثنى

(١) المفضليات ص ٤١٠ .

(٢) الفتيير : رؤوس مساهم الدروع .

ذلك عزمك • بل خسر المعارك الحامية وأوقد الحرب لقتالهم والنكاية بهم
فإن مالوا إلى الحق وأرادوا أحقاقه فصرأنت معهم ولا تخالفهم • وإن أبسوا
إلا الجور والظلم • فاظلمهم وجر عليهم حتى يقبلوا الحق ويدعوا إليه •

وبعد هذه الوقفة مع ما تيسر لي من شعر الوصايا الأبوية في الحث

(١) شعره ص ٤٦ •

(٢) تحم : تمتنع •

على إباء الضيم • نرى كيف أن الشعراء أوصوا أبناءهم بإباء الضيم وعدم
الذل والهوان لأحد وإن كان عزيزاً قوياً • كما أوصوهم على ترك البلاد التي
يضمون فيها والرحيل عنها إلى بلاد يصونون فيها عرضهم • وإن وصل الأمر فسي
إباء الضيم إلى القتال فلا يتهبب الرجل ذلك بل يقاتل ويحارب من أرادوا
ضيمه حتى يرجعوا إلى الحق كما أوصى بذلك عمرو بن الأهتم ابنه •

٧ - الحث على التحلى بالصفات الخلقية الحميدة والبعد عن الصفات الذميمة؛

لقد أوصى الشعراء أبناءهم بالتحلى بالأخلاق الحسنة مثل الحلم والحياء وغيرهما، وحذروهم من الصفات الذميمة والأخلاق السيئة مثل الحسد والظلم والبغى، وذلك لما لصاحب الأخلاق الحسنة من منزلة في قلوب الناس، فهو محبوب من جميع أفراد المجتمع أما الإنسان ذو الأخلاق السيئة فهو مكروه من الجميع فيتحاشونه ويتعدون عنه .

فالشاعر عبد قيس بن خفاف يوصى ابنه بالانصاف بالحلم وجعله هو السهيم عليه في كل أعماله يقول (١) :

وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْهَوَىٰ فَتَوَكَّلْ
وَإِذَا تَشَاجَرَ فِي فَوَادِكِ مَرَّةً
أَمْرَانِ فَأَعْيِدْ لِلْأَعْفَى الْأَجْمَلَ
...

فالشاعر يوصى ابنه ويقول له : عليك يا بني أن تتصف بالحلم في جميع الأحوال فلا تتعجل في أمورك وتنفيذها بل تأن في ذلك وشاور عقلك فإذا عزمت على تنفيذ ما تراه الأصلح لك في شأنك فاجزم به ولا تتردد في تنفيذه . وإذا تنازع في عقلك أمران لابد أن تسلك أحدهما فعليك بالأصلح منهما الذي يظهره الحسن ويجعلك قد انتصفت بصفات جليلة مثل الحلم والحكمة والعفة .

أما الأعشى فإنه يوصى ابنه بالتخلق بصفات عديدة مثل الوفاء وإتمام الوعد وينهاه عن أخلاق سيئة مثل الحقد والحسد يقول (٢) :

(١) المفضليات ص ٣٨٥ .

(٢) ديوانه ص ٣٦٥ .

ولا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَا لَسْتَ مُنْجِزًا
ولا تَقْتَنِجَنَّ جَارًا لَطِيفًا مَهَابًا
وإنْ أَمْرُؤُكَ أُسْدَى إِلَيْكَ أَمَانَةً
فَأَوْفِ بِهَا إِنْ مِتَّ سُبَّحْتَ وَافِيًا
وَجَارَةٌ جَنْبَ الْبَيْتِ لَا تَبْغِ سِرَّهَا
فَإِنَّكَ لَا تَخْفَى عَلَى اللَّهِ خَائِفًا
ولا تَحْسُدَنَّ مَوْلَاكَ إِنْ كَانَ ذَا غِنًى
وَلَا تَجْفَهُ إِنْ كُنْتَ فِي الْمَالِ غَانِيًا

...

فالشاعر يقول : عليك يا بني أن لا تعد إنسانا بوعده وأنت لا تستطيع الوفاء له بوعده فإن اخلاف الوعد خلق مسقوت ، وألن جانبك لجارك المخلص لك ذو الأخلاق الحسنة فلا تصبه بشيء ولا تهتمه فإن من حقه عليك احترامه والقبام بحق جواره ، وإن استحفظك أحد أمانة له وأتى بطلبها منك فأد أمانته له ولا تجدها ، لكن يذكرك الناس بالذكر الحسن في حياتك وبعد مماتك ويمدحوك بالوفاء واجتنب إفساد جارتك وابعد عنها ولا تبغها بسوء فإن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء ، واجتنب الحسد فلا يكن من صفاتك فلا تحسد صديقك إن صار صاحب مال ولا تهتمد عنه وتجاهه إن استغنى وصرت ذا مال ونشب .

وأبو قيس الأنصاري يوصي أبناءه بالبعد عن الحسد والتزام العدل إن كانوا أصحاب أمر ونهى يقول (١) :

وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم
وإن كنتم أهل السَّيَادَةِ فاعبدوا

(١) المعمرون والوصايا ص ١٣٤ .

يقول الشاعر : اجتنبوا الحسد يا أبنائي ولا يكن من شأنكم هـ فلا تناصبوا قومكم العداة وتحسدوهم إن كانت السيادة فيهم بل أطعموهم وأمنوهم في ذلك وإن كنتم أصحاب السيادة فاعدلوا في قومكم ولا تظفوا وتحرفوا عن جماعة الصواب .

أما عمرو بن معدى كرب فإنه يذكر أن أباه قد أوصاه باجتناب الصفات القبيحة والتحلل بالصفات الحسنة يقول (١) :

واتركَ خَلائِقَ قومٍ لا خَلاقَ لَهُم
واعتدِ لأَخلاقِ أَهلِ الفَضْلِ والأَدَبِ
وإن دُعِيتَ لِفُدرٍ أو أُمِرْتَ بِهِ
فاهربْ بِنَفْسِكَ عَهْ أَيْدِ الهَرَبِ
...

فالشاعر يخبرنا أن أباه قد أوصاه وقال له : ابتعد يا بني عن الاخلاق القبيحة التي يتخلق بها أراذل الناس فإن التخلق بأخلاقهم يجعلك من صنفهم ، ولكن عليك بالتحلل بأخلاق الفضلاء ذوي الرأي السديد والحكمة والأدب الرفيع ، وإن دعاك إلى الفدر أحد فلا تجبه إلى ذلك واهرب عنه بحيث لا يراك مرة أخرى لأن الفدر من أقيس الصفات ، وأعظمها حقارة وسوءا فهي ليست من صفات الكرام إنما هي من صفات اللثام .

أما أبو الأسود الدؤلي فإنه يعود بنا إلى الحث على الحلم حيث يوصي ابنه بالتحلل به والصفح عن الزلات يقول (٢) :

وكن مَعِدِنًا لِلحِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الأَدَى
فإنك رَأَى ما حَبِيبَتِ وَسَامِعِ

(١) شعر عمرو بن معدى كرب ص ٦٤ .

(٢) ديوانه ص ٨١ .

فاحرص يا بنى على الحلم واتصف به حتى يكون هو السمة الغالبة عليك
واصفح عن الأخطاء التى تصلك من الناس ، لكن يحترموك وتعلو منزلتك بينهم
ويثنو عليك ثناء عاظرا فى حياتك وبعد مماتك .

والسلطان العبدى (١) يوصى ابنه بوصايا عديدة منها حفظ السر والسرور
الصمت متى ما كان الصمت أولى من الكلام يقول (٢) :

ألم ترَ لقمانَ أوصى ابنَه
وأوصيتَ عَمَرًا فَنعم الوَصِي
بَنَى بدا خِبًى نَجَوَى الرَّجَالِ
فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبًى النَّجَى (٣)
وَسِرِّكَ ما كانَ عِنْدَ امْرِئٍ
وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
كما الصَّمْتُ أدْنَى لِيَعْفَى الرَّقَادُ
فَهَفْىُ التَّكَلُّمِ أدْنَى لِيَفْنَى
...

يقول الشاعر : إبنى سأوجه وصية لابنى عمرو لكن يستفيد منها ويسير
على نهجها الذى رسمته له ، ولست أنا البادى بهذا الامر فقد سبقنى لقمان
حين أوصى ابنه وأنا متبع له ، فعليك يا بنى أن لا تخبر أحدا بسرك وان أظمت
أحدا فكن خبا فيما تعلمه له فإن نجوى الرجل إذا ظهر مكروه صار وسالا

-
- (١) هو قتي بن خبيطة العبدى من بنى محارب بن عمرو ، شاعر حكيم أبوى قال
عنه الأمدى : شاعر مشهور خبيث .
انظر ترجمته فى الشعر والشعراء ج ١ ص ٥٧ والمؤتلف والمختلف ص ١٤٥
وغزاة الأدب ج ٢ ص ١٨١ .
- (٢) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦٢٣ .
- (٣) الخِبْ : الكسر . والخَبْ : الماكر .

عليه وافضح أمره فلا تخبر أحدا بحقيقة أسرارك واعلم أن سرّك سيبقى سرياً ما دام لم يجاوز اثنين • فإن كان سرّك عند ثلاثة فاعلم أنه أصبح غير خاف وسينتشر بين الناس لكثرة من يعرفه، واتصف يا بني بالوقار وحسن السمعة فلا تهذر في الكلام فإن الرشاد في الصمت في أكثر الأوقات كما أن الغنى والفساد في كثرة الكلام الرديء الذي لا فائدة فيه •

ومن الوصية على التخلق بالأخلاق الحسنة والبعد عن الصفات الذميمة وصية طريح الثقى لابنه صلت حينما حذره من الوقوع في الصفات التي يعيبها هو على الناس يقول (١) :

وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى امْرِئٍ فِي خَلَةٍ
وَرَأَيْتَهُ قَدْ ذَلَّ حِينَ أَنَاهَا
فَاخْذَرْ وَقُوعَكَ مَرَّةً فَيُثْلِهَا
فَيَبْكُ عَكَ نُضُوحَهَا وَشَاهَا

...

فالشاعر يقول لابنه يا بني إذا لم تعرف عن صفة قد اتصف بها شخص ورأيت أن هذه الصفة قبيحة فند أدلتك وحطت بمن قد رة فإنك ان اتصفت بها أو بمسا يشابهها صرت مجالا للسخرية عند الناس ونسب إليك كل ما يتعلق بهذه الصفة القبيحة صغيرها وكبيرها فاحذر من الوقوع في مثل هذه الصفات التي تعيب من يملكها حفاظاً على مروءتك ومنزلتك •

ويزيد بن الحكم الثقف يوصي ابنه باجتنب الصفات السيئة مثل البغى والحسد والحقد والظلم يقول (٢) :

(١) شعر طريح ص ١١٥ •
(٢) الحماسة لأبي تمام ص ١١٣ •

وَأَعْلَمَ بِنَنَىٰ فَإِنَّهُ ۖ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا ۖ مِمَّا يَهَيِّجُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّهْلُ يَنْتَلِ الدِّينَ تَقْصَا ۖ وَقدْ يُلَوِّى الْغَرِيبُ
 وَالْبَنَىٰ بِمَنْزَعِ أَهْلَهُ ۖ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيبُ

...

فالشاعر يقول لابنه : اعلم أن الرجل العاقل الأزيب هو من ينتفع بعلمه
 ومعرفته ويسلك طرق الرشاد إذا خبرها ، واعلم أيضا أن الأمور التي تكون نفس
 نظرك حقيرة هي ما تغضب الرجل العظيم وتستعمر غضبه ، لأن النار من مستعمر
 الشر ، وإياك والحسد والحقد على أحد فإنك إن وترت أحدا وحقدت عليه صار
 ذلك دينا له عليك في عتقك ، قد يأتي إليك في يوم من الأيام يطالب بدينه فيحتقرك
 وينتقص من قدرك ، فابتعد عن هذه الخلعة القبيحة واحذر من البنى فإن كان لك
 خصم فلا تستهن به ولكن لا تبغ عليه وتظلمه فإن من بغى عليه سينتصر في يوم من
 الأيام ويكون الباغي في موقف ذليل لأنه قد يعصف به ويهلكه ، واحذر من
 الظلم فإن الظلم ذمهم المرتع وخيم العاقبة .

أما مسعر بن كدام ^(١) فإنه يوصي ابنه بتجنب المزاج والمراء لأنهما ليسا
 من أخلاق الفضلاء يقول ^(٢) :

أَكْدَامُ إِنِّي قَدْ مَحَضْتُ نَصِيحَتِي
 فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَلَيْكَ شَفِيقِ
 أَمَا الْمُزَاحَاةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعَاهُمَا
 خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِإِدْبِقِ

- (١) هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي أبو سلمة الكوفي ، عالم من علماء
 الحديث ، ثقة ثبت فاضل ، مات بمكة سنة ١٥٣ أو ١٥٥ هـ .
 انظر تهذيب التهذيب هـ ١٠ ص ١١٣ .
 (٢) الحماسة للبحتري ص ٤٠٠ .

إِنِّي بِلَوْتِهِمَا فَلَمْ أَخَذْهُمَا
لِمَجَاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقٍ
...

يا بني إني موصيك فاستمع إلى قولي فإني شفيع عليك وما أريد إلا الخير
واعلم أني مخلص لك في وصيتي هذه فاجتنب فرط المزاج والجدال بغير حق
فإنهما خلقان لا أرض أن يتصف بهما صديق فكيف بك أنت يا بني ؟ وإني
قد جربتتهما فلم أجد فيهما خيرا أرتضيه لجار أو صاحب ، فاتبع يا بني وصيتي
هذه وتخلق بأخلاق الفضلاء وابتعد عن الأخلاق التي تشينك .

وأثر الإسلام واضح في هذه الوصية حيث أن الشاعر نهى ابنه عن المراء^(١)
وهو من الأخلاق التي نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فقد جاء في الحديث
" أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ... الحديث "

وبعد هذه الرحلة مع شعراء الوصايا الأبوية في حثهم أبناءهم على التخلق
بالأخلاق الفاضلة والتحلل بها واجتناب الأخلاق السيئة نرى أنهم قد أوصوهم
بالاتصاف بالحلم والأناة والوفاء وحفظ الأمانة وإتمام الوعد لتؤثر عنهم الأخلاق
الفاضلة ويمدحون بها وكذلك حثوهم على لزوم الصمت في الموضع الذي يستحسن
فيه ترك الكلام وحثوهم على حفظ السر وأوصوهم أيضا باجتنب الأخلاق السيئة
التي يهيبونها على غيرهم لكي لا يقيموا فيها وأوصوهم أيضا باجتنب الحسد
والحقد وحذروهم من البغى والظلم كما طلبوا منهم البعد عن المراء والمزاج .

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب ج ٤ ص ٢٥٤ حديث رقم ٤٨٠٠ نشر دار
الريان سنة ١٤٠٨ هـ .

٨ - الحث على الشجاعة وخطر الممارك :

الشجاعة من الصفات الحميدة التي تدل على قوة بأس المرء ومدته نفسى الحروب ، وقد حث الشعراء أبناءهم على الشجاعة والبسالة فى المعركة ، لأن الموت لن يخطىء أحدا سواه كان جباناً أم شجاعاً .

فالحارث بن كعب (١) يوصى ابنه الأشعث بالتقدم فى المعركة وعدم الخوف والجبن يقول (٢) :

أَبْنَىَّ إِنَّ أَبَاكَ يَوْمًا هَالِكٌ
فاحفظ أباك رياسةً وتقلبًا
وَإِذَا لَقِيتَ كَتِيبَةً فَتَقَدَّمَا
إِنِ الْمَقْدَمُ لَا يَكُونُ الْأَخْيَا
تلقى الرياسة أو تَمُوتَ بِطَعْنَةٍ
والموتُ يَأْتِي مِنْ نَأَى وَتَجَنَّبَا

...

اعلم يا بنى أنى لن أعمر فى هذه الحياة وسوف تخترمنى يد المنون فى يوم من الأيام ، فاحفظ مجدى الذى أثلته ولا تضع رياسة القبيلة التى أخذت بزمامها ، وإن كنت فى حرب أو لاقاك عدو فلا تخف من الموت وتجنب بل تقدم فى المعركة وضارب الأعداء ببسالة ، فإن الشجاع لا يخيب أبداً ، واعلم أن طائفة شجاعتك إما رفعة منزلتك وتقدمك فى قومك وإمساكك بزمام الرياسة عليهم ، وإما الموت مهينة

-
- (١) هو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة من مذحج من كهلان جد جاهلى من نسله بنو الديان وروى عن نجران وشرح بن هانى من أصحاب على رضى الله عنه انظر ترجمته فى الاعلام ج ٢ ص ١٥٧ .
- (٢) المعمرن والوصايا ص ٢٢ .

شريفة في أرض المعركة مهتة شجاع ، لأن الموت إذا نزل بأحد لن يتركه إذا هرب من المعركة أو تجنب مواطن الهلاك فلا بد من أخذه وقبض روحه ، نصبر نفسك على الشجاعة والجلاد في الحرب لكي تفوز بأحد الشرفين الموت مهتة شريفة ، أو التقدم في قومك وقبيلتك .

والشاعر ذو الأصبع العدواني يوصي ابنه على الشجاعة وخوض المعركة الضروس التي يهاب خوئها الأبطال يقول (١) :

وَإِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَبَتِ ۝ يَوْمًا وَارْعَدَتِ الْخُصْبَلَا
فَاهْصِرْ كَهَاصِرِ اللَّيْلِ ۝ خَضَبَ مِنْ فَرَسَتِهِ التَّلْبَلَا
وَانْزِلْ إِلَى الْهَتَجَا إِذَا ۝ أَبْطَالُهَا كَرِهُوا النَّزُولَا
وَإِذَا دَعَمَتِ إِلَى الْمُهْنَمِ ۝ فَكُنْ لِفَادِحِهِ حَمُولَا

...

فذو الأصبع العدواني يوصي ابنه ويقول له : لا تخف من غشيان الممارك والحروب ، بل ادخل غمارها بقوة ورباطة جأش ، وإذا رأيت الأبطال يبارز بعضهم بعضا وارتعدت مفاصل المرء من شدة الخوف فتقدم واضرب الأعداء بقوة واعمل السيف في رقابهم حتى تنزوي الأرض بدمائهم ، واهصرهم كما يهصر الأسد فريسته ويخضب بالدم صفحة مخفيها ، وإذا الأبطال تهيّبوا من المعركة ومن خوض غمارها لشدتها وغمراوتها فلا تتراجع وكن أنت فتاها وصاحبها المسك بزمامها وقاتل الأعداء من غير خوف ولا جبن ، وإذا دعاك أحد الى معاونته في أمر صعب مهم فاحمل عنه أنقال هذا الأمر وأعه عليه .

أما الشاعر الأعشى فإنه يخبرنا أن والده قد أوصاه هو واخوته بالشجاعة

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٠٠ .

والبسالة في الحروب والقتال يقول (١) :

وقاتلوا القومَ وإنَّ القتلَ مكرمةٌ

إذا تَلَوَّى بِكَفِّ المِعْصَمِ العُرْفُ

لا ترهبوا لقاء الأعداء يا أبنائي بل تقدموا واضربوا أعقابهم واستسلموا في القتال عندما ترون الجبان الذليل قد أرخى العنان لفرسه للهرب وأمسك بيده أعراف الخيل خشية أن يسقط . وأعلموا أن القتل في ساحة المعركة عز وشرف . والهروب خشية الموت عار وذلة .

أما يزيد بن الحكم فإنه يعطى ابنه صفات الرجل الذي يستطيع الاستبسال في الحرب والصبر على شدتها يقول (٢) :

والحَرْبَ صَاحِبُهَا الصَّلْبُ * سَبَّ عَلَى تَلَاتِلِهَا المَزْمُومُ
مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا * وَلَدَى الحَقِيقَةِ لَا يَخِيمُ
وَأَغْلَمَ بَانَ الحَرْبِ لَا * يَنْطِيقُهَا المَرْحُ السَّوْمُ
وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا النَّا * هَبْ عِندَ كَتَبِهَا الأَزْمُ

...

يقول الشاعر أعلم يا بني أن صاحب الحرب هو الرجل الصلب الشديد الذي يصبر على شدايدها صاحب العزم القوي المتكامل العدة والصلاح الذي لا يمل ضراسها وعضاضها له بل يزيد ذلك من ضراوته فلا يجبن ويخاف ويهرب عند تكشف الحقيقة واشتداد المعركة التي لا يبقى فيها إلا الصحيح القوي .

والحرب يا بني لا يطيقها الرجل اللول المتسرع لأنها بحاجة إلى رجل صبور يحسن الكر في موضعه والفر في موضعه . صاحب رأى صائب وبصيرة ثاقبة

(١) ديوانه ص ٣٤٥ .

(٢) الحسانة لابن تمام ج ١ ص ٦١٣ .

حسن التدبير خبير بمهوىءون الحرب والقتال ، فاحرص على أن تكون متصفا بتلك الصفات التى تؤهلك لخوض المعارك وقيادتها .

واعلم أن الخيل من أهم مستلزمات الحرب ، وأجود هذه الخيل السريع الذى ينهب الأرض نهبا فهو الذى يصبر ويثبت إذا حى وطيس المعركة .

وبعد هذه النظرة على شعر الوصايا الأبوية فى جانب الحث على الشجاعة والقتال وخوض المعركة نرى أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم بالانصاف بالشجاعة والثبات فى الحرب وعدم الجبن والخوف من الموت والفرار من المعركة لأن القتل فى الحرب عز وشرف ، والموت لا يترك أحدا فمن دنا أجله سيموت شجاعا كان أم جبانا وبعضهم بين عاقبة الشجاعة وهى إما النصر والفوز بالمعركة وبها سسنة القبيلة وعلو المنزلة وإما الموت مهتة كريمة ، وبعضهم ذكر لابنه الصفات التى تؤهل المرء لخوض المعركة وقيادتها مثل الصبر وحسن التدبير وأمره بالانصاف بها .

٩ - وصية الشاعر بناته لراثته والبكاء عليه :

عند ما يحس الانسان بمقدمات الموت يشعر بالخزن والأسى لذلك • وليس له مفر عنه • ولذلك نجد أن بعض الشعراء يرنى نفسه قبل موته وبعض الشعراء يطلب من بناته ويوصيهن بالبكاء عليه حزنا وأسفا لفراقه •

فالشاعر لبید بن أبی ربیعۃ رضی اللہ عنہ یخبر ابنتیه بدنو أجله ویوصیهن علی رثائه والبكاء علیہ من غیر خلق شعرا أو خمس وجه یقول (١) :

تَمْنَى ابْنَتَايَ أَنْ يَمِينَنَّ أَبُوهُمَا
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مَضَرٍ
وَنَاجِحَتَانِ تَتَدَبَّانِ بِمَاقِيلٍ
أَخَا ثِقَةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أَثَرٍ
وَفِي ابْنَتِي نَزَارَ أَسْوَةٌ إِنْ جَزَعْنَا
وَإِنْ تَسَّالَاهُمْ تُخْبِرُنَا فَمَهُمُ الْخَبَرُ
وَفِيهِمْ سِوَاهُمْ مِنْ مُلُوكٍ وَسُؤْفَةٍ
دُعَائِمُ عَرْنِي خَانَهُ الدَّهْرُ فَأَنْقَعَرُ
فَقُولَا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا
وَلَا تَخْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِفَا شَعْرًا
وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ لَهُ
أَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمِ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا
وَمِنْ يَبْسُوكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرُ

(١) ديوانه ص ٧٩ •

يقول الشاعر تتمنى ابنتى أن يطول بقاى ويرزاد فى عمرى ولكن هيهات
فلن يحصل ذلك لأننى من البشر ولا بد أن يخرمنى الموت مهما كانت الحالة
وإن جزعتما يا ابنتى لموتى وفنائى فانظرا إلى من غير قبلى من الرجال سواء
كانوا ملوكا أو سوقة قد اخترمتهم يد المنون ه ولكن عليكما إذا ماتت ووضعت فى
قبرى أن تحزنا على وتبكيانى وتوبئانى بما عليتما من فضائل وكرامات وإياكما وخمش
الوجه وابتعدا عن حلق الشعر فذلك أمر لا يجوز وقد حرره الاسلام .

- وهذا مأخوذ من الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم (١) : " ليس
مننا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية " .

وأثنيها على بحافظتى على الصديق ويعدى عن الغدر ه واحزنا على حولا
كاملا فان من حزن على فراق حبيب حولا كاملا فقد اعتذر .

أما أبو فراس الحمدانى فانه يوصى ابنته بالصبر على هذه المصيبة فإغنى موته -
وبأمرها أن تبكى لفقد ه من خلف سترها يقول (٢) :

ابْنَيْتِى لَا تَحْزَنِي ۖ كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابٍ
ابْنَيْتِى صَبْرًا جَمِيًّا ۖ سَلًّا لِلْجَلِيلِ مِنَ الْمَصَابِ
نُوحِي عَلَى بَحْمَتِكَ ۖ مِنْ خَلْفِ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قُولِي إِذَا نَادَيْتَنِي ۖ وَعَيِّتْ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا ۖ مِنْ لَمْ يُتَخَّعَ بِالْقَبَابِ

...

فالشاعر يوجه الخطاب لابنته ويقول : يا ابنتى لا يطفى عليك الحزن

(١) صحيح البخارى مع الفتح كتاب الجنائز ج ٣ ص ١٦٣ ، وصحيح مسلم كتاب

الإيمان حديث رقم ١٦٥ ج ١ ص ٩٩ .

(٢) ديوانه ص ٣٦ .

والغم بسبب موتى فكل البشر لا بد أن يموتوا وعليك بالصبر الجميل عند حلول
المصائب العظيمة وابكى لفقدى فى وسط بيتك ومن وراء الستر والحجاب فلا تنكسنى
وسط الرجال الأجانب • وإذا أنت ناديتنى ولم أقدر على الإجابة والرد فقولسى
بأسى وحسرة لقد مات أبى أبو فراس فى أوج شبابه وقوته ولم يتمتع به •

١٠ - الحث على اختيار الزوج الصالح :

من الوصايا التي وجهها الشعراء لابنائهم الوصية على اختيار الزوج الصالح الكرم إذا ما خبرت البنت بين رجال عديدين .

والشاعر البراء بن قيس (١) قد وضع لابنته صفات الرجل الذي يجب أن تحرس الفتاة على الاقتران به اذا ما خبرت به وعليها أن توافق أن يكون قريناً لها وزوجاً وهو الرجل الكرم الشجاع وعليها أن تمتنع عن الرجل الجبان يقول (٢) :

فَإِنْ أَنْتِ خَوَّرْتِ الْمُنَافِقَ فَانْكَبِي
عَلَى أَيْمَنِ الدَّهْرِ الْمَصْبِغِ نَاعِبِهِ
وَلَا تَنْكِحِي جَبَسًا عَابًا مُلْعَنًا
مَدِيدًا عَلَى الْجَارِ الْمُلَاصِقِ جَانِبُهُ (٣)
وَلَا بَطِنًا لَا يَبْهَرُ الدَّهْرَ قَاعِيدًا
عَبُوسًا إِذَا مَا الضَّيْفُ حَطَّ رَكَائِبُهُ
حَرَامٌ عَلَيْهِ الدَّهْرُ يَبْهَرُ بَيْتَهَا
فَقَدْ فَرَّحْتَ مِنَ الْفَرَّاشِ مَنَافِكُهُ
وَلَكِنْ فَتَى ذَا نَجْدَةٍ وَسَاحَةِ
يَخُتَبُّ إِلَيَّ أَمْرُ الْعَفِيرَةِ رَاكِبُهُ

...

يقول الشاعر لابنته : أيما ابنتي إذا ما جاءك رجال يخطبونك للزواج بله

(١) هو البراء بن قيس بن عتاب بن هريس بن رياح بن يربوع بن زيد مائة بن تميم ، شاعر جاهلي ... لم أجد له سوى هذه الترجمة في كتاب شعر تميم في العصر الجاهلي ٢٣٨ .

(٢) الحماسة للبختري ص ١٩٠ .

(٣) عاباً : العباء العن الثقيل الأحمق .

فاختارى الرجل الكريم ذا الفأل الحسن ، ولا تختارى الرجل اللئيم الأحمق
البخيل الذى يلعنه كل من عرفه أو نزل عنده ، ساء المعاملة مع الجار الملاصق
لداره ، واحذرى أيضا من الجبان الذى لا يخادر البهت ولا يبرح عنه قد تفرحت
مناكبه من طول الاضطجاع فى الفراش فهو خامل كمول ومع ذلك بخيل ، إذا ما
نزل به ضيف لم يهش له ولم يستقبله استقبالا حسنا وإنما يحبس فى وجهه ، ولكن
عليك بالفتى الجلد الشجاع صاحب النجدة والمروءة والكرم الذى إذا ما حُزب
عشيرته مصيبة هب لنجدتها من غير توان ولا كسل ولا خوف فهذا هو الرجل
الذى ينبغي للفتاة أن تختاره فاختارى أنت صاحب هذه الصفات وقدميه
على غيره .

ولم أجد فى هذا البحث سوى هذه القطعة .

الفصل الثاني
سورة صافات

١. المثلث على أقوى الله والخوف منه .
٢. التفسير في الدنيا والتكبير باليوم .
٣. المثلث على عمل الصالحات والاحتساب في العمل .
٤. المثلث على القناعة والرضا بما قسم الله .

الوصايا الدينية

من الاتجاهات التي اتجه إليها شعر الوصايا " الوصايا الدينية " وهو غرض سام لما تضمنه من معان دينية عظيمة تحفز المسلم على عمل الخير والخوف من الله وتوجهه إلى ذلك .

وأقصد بالوصايا الدينية هي تلك القصائد أو المقطوعات التي يوجهها الشعراء إلى المسلمين يحثونهم فيها على تقوى الله سبحانه وتعالى وعمل الطاعات وأداء الواجبات واجتناب المعاصي ويذكرونهم فيها بالموت وزوال الدنيا ويزهّدونهم فيها .

وقد نشأ هذا الاتجاه الشعري الذي يحث على تقوى الله والتمسك بالدين الإسلامي الحنيف بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واستمر الشعراء في النظم بهذه المعاني حتى وصل ذروته في العصر العباسي الأول .

وهذا الاتجاه داخل في غرض الزهد ولكن لن أتحدث عن الزهد عامة وسأكتفي بما له علاقة بالوصايا كما سأبينه فيما يأتي إن شاء الله .

١ - الحث على تقوى الله والخوف منه :

لقد أوصى الشعراء المسلمين بتقوى الله سبحانه وتعالى لأن تقوى الله ومخافته هي رأس كل أمر وهي أعظم زاد يتزود به المؤمن في هذه الحياة الدنيا .

فالخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوصى المسلم بتقوى الله سبحانه وتعالى وأن يجعل ذلك أعظم زاد له قبل موته يقول (١) :

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَزَوُّدًا
وَلَقَدْ تُفَارِقُهَا وَأَنْتَ مُوَدِّعٌ
وَاهْتَمَّ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
أَنْتَ أَيْ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَعْتَنِعْ
وَأَجْعَلْ تَزَوُّدَكَ الْمَخَافَةَ وَالتَّقَى
فَلْعَمَلٌ حَتَفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
...

فابن أبي طالب رضى الله عنه يقول : يأبىها المسلم تزود من هذه الحياة الفانية قبل أن تودعها وترحل عنها إلى الدار الآخرة فإنك مسافر إليها لا محالة ، وليكن أعظم زادك تقوى الله سبحانه وتعالى ، والخوف من عذابه وعقابه فتقوى الله والخوف منه أجل عمل وأعظم زاد .

أما النعمان بن بشير الأنصارى (٢) فإنه يصور أحوال يوم القيامة وخصوصا

(١) شعر الخلفاء ص ٥٦ .

(٢) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى الأنصارى هو وأبوه صاحبان وأمه عمرة بنت رواحه أخت عبد الله رواحه رضى الله عنه ، ولد فى السنة الثانية من الهجرة وسمع من النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث ، وهو من المعروفين فى الشعر سلفا وخلفا فجدّه شاعر وأبوه شاعر

النار ليحضر المسلمين على الخوف من الله وتقواه فهو المستحق لذلك وحده يقول (١) :

قَدْ أَتَاكُمْ مَعَ النَّبِيِّ كِتَابٌ
صَادِقٌ تَقَشَّعِرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْذَرُوا شَرَّ يَوْمٍ
قَطَّعَ رِجْلَ عَذَابِهِ مِثْلَهُ مِثْلَهُ
فَطَعَامُ الْغَوَاةِ فِيهَا ضَرِيعٌ
وَشَرَابٌ مِنَ الْحَمِيمِ صَدِيدٌ
كَلَّمَا أُخْرِجَ اللَّعِينُونَ مِنْهَا
مِنْ عَذَابٍ غَمٌّ أَعِيدُوا
وَإِذَا قِيلَ هَلْ تَقَارَبَ مِنْهَا
لَالَتِ النَّارُ هَلْ لَدَيْكُمْ مَزِيدٌ

...

فالشاعر يوصي المسلمين ويقول لهم : " قد أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي تَقَشَّعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الْمُؤْمِنِينَ وَقُلُوبُهُمْ إِذَا سَمِعُوهُ " فاتقوا الله أيها المؤمنون واحذروا من عذابه يوم القيامة وخافوا من النار واحذروا أن تقعوا فيها فإنها مأوى الكافرين ، فليس لهم فيها طعام ولا شراب إلا طعام أمر من الصبر لا ينفع شيئا، وشراب من صديد أهل النار وقبحهم .

وإذا أُخْرِجَ مِنْهَا اللَّعِينُونَ أَعِيدُوا فِيهَا مَرَّةً أُخْرَى نَكَايَةً بِهِمْ ، وَإِذَا هِيَ سَلَّتْ هَلْ امْتَلَأَتْ رَدَتْ مَجِيبَةً هَلْ مِنْ أَحَدٍ بَاقٍ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ .

وعنه شاعر وهو شاعر وأولاده وأولاده شعراء ، كان من أصحاب معاوية رضي الله عنه فولاه الكوفة مدة ثم ولي قضاء دمشق ثم ولي إمرة حمص توفي مقتولا سنة ٦٤ للهجرة بعد موقعة مرج راهط .
انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٥٣ والأغانى ج ١ ص ٢٨ وسير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٤١١ .

(١) شعر النعمان بن بشير الانصاري ص ٨٨ تحقيق د / يحيى الجبورى ، نشر دار القلم بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦ هـ .

وقد تأثر الشاعر في هذه الأبيات بالقرآن الكريم ولا عجب فهو يعالج موضوعاً إسلامياً صرفاً فلذلك ضمن آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى "لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يَنْتَعِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ" (١) وقوله "كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" (٢) وقوله "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" (٣).

ويستمر الشاعر في تصويره ليوم القيامة وأهواله مخوفاً المؤمن لكن ينتهي الله سبحانه وتعالى ويرجوه يقول (٤) :

وَتَرَى النَّاسَ يُحْشَرُونَ مِنَ الْكَرِّ * بَ سُّكَارَىٰ بَلِ الْعَذَابُ شَدِيدٌ
وَقَفَّ النَّاسُ لِلْحِسَابِ جَمِيعًا * فَهَقُّوا مُعَذَّبٌ وَسَمِعُوا
وَالنَّبِيُّونَ عِنْدَهُ يَمُكِّنُونَ * فِي عِلَاقٍ وَالصَّالِحُونَ قُمُودٌ
رَحْمَةُ اللَّهِ يَوْمَ ذَاكَ تُنَجِّسُ * مَنْ نَجَا مِنْ عَذَابِهِ وَالْجُدُودُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ فُزُورٌ * بَعْدَهَا الْفَصْلُ بَيْنَكُمْ وَالْخُلُودُ

...

فالناس يوم القيامة مذ هولون من شدة كرب هذا اليوم وكأنهم سكارى وهم ليهوا بسكارى ولكن عذاب الله شديد ه وقد وقف الناس جميعاً في هذا اليوم أمام الله سبحانه وتعالى للحساب فالناس بين معذب بالنار أو سميد برحمة الله ودخول الجنة ه وترى النبيين في مكان عِلَاقٍ عند الرحمن وترى الصالحين قُمُوداً حولهم ولن ينجى الإنسان من عذاب ذلك اليوم إلا رحمة الله سبحانه وتعالى وغفره ومغفرته .

-
- (١) سورة الغاشية : الآيتان رقم ٦ ٧ .
(٢) سورة الحج آية رقم ٢٢ .
(٣) سورة ق آية رقم ٣٠ .
(٤) شعره ص ٩٠ .

تلك هي الحياة الباقية ، أما هذه فهي الحياة الفانية فما الحياة الدنيا
إلا ذاهبة زائلة يأتي بعدها الفصل والحساب في الحياة الباقية .

واعلموا أن الفوز بالعتق والمغفرة من الله في ذلك اليوم لن يحصل إلا
لمن خاف الله سبحانه وتعالى واتقاه وعمل ما أمر به واجتنب ما نهى عنه ، فاعملوا
أيها المسلمون ذلك لكي تحصلوا على هذه النعمة العظيمة وتفوزوا بها .

وتأثر الشاعر بآيات القرآن واضح فقد ضمن آيات عديدة مثل قوله
تعالى : " وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ هَٰذَا يُدْرِكُهُ " (١) وقوله
تعالى : " يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُفٌّ وَشَقِيٌّ وَسَمِيعٌ " (٢) .

وذلك راجع إلى تأثير الاسلام القوي في نفس الشاعر رضى الله عنه وامتزاج
معانى القرآن بروحه وتعلق قلبه بها ما جعله يقتبس الغرض الذى تحدث فيه
والمعانى التى نظمها من القرآن الكريم .

وللشاعر قصيدة أخرى يوصي فيها بتقوى الله سبحانه وتعالى-أيضاً-ولكن في
هذه القصيدة يحدد بعض نعم الله التى أنعم بها على عباده لكي يبين للناس
أن صاحب هذه النعم هو المستحق للعبادة والتقوى وحده يقول (٣) :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ قَدْ آتَاكُمْ رَسُولَهُ
يَقُولُ حَكِيمٌ صَادِقٌ ثُمَّ وَصَّادًا (٤)
وَيَلْفَكُم مَّا قَدْ أَتَاكُمْ مِنَ الْهُدَى
وَعَمَّ عَلَيْكُمْ بِالنَّدَاوِ وَنَدَدَا

-
- | | |
|-----|----------------------------|
| (١) | الحج آية رقم ٢ . |
| (٢) | هود آية رقم ١٠٥ . |
| (٣) | شعر النعمان بن بشير ص ٩٣ . |
| (٤) | التصيد : التحذير . |

فَلَا تَكُ صَدَادًا عَنِ الْقَصْدِ وَالْهُدَى
أَصَمُّ إِذَا تَدَعَى إِلَى الْحَقِّ أَصْبَدَا
عَلَيْكُمْ بَعَادَاتُ التَّقَى وَاتِّبَاعُهَا
وَكُلُّ أَمْرٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
فَكَيْفَ لَوْ أَنَّ اللَّيْلَ كَانَ عَلَيْكُمْ
ظِلَامًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَرَمَدَا
مِنَ الْخَالِقِ الْبَارِي لَكُمْ كَهَارِكُمْ
نَهَارًا يَجْلِسُ لَيْلَهُ الْمُتَعَدَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي إِنْ أَمْسَكَ اللَّهُ رِزْقَهُ
أَتَاكُمْ بِرِزْقٍ مِثْلِهِ غَيْرَ أَنْكَدَا

...

فالتعمان بن بشير يوصي المسلمين ويقول لهم : ألم تعلموا أن الله سبحانه وتعالى أرسل لكم محمدا صلى الله عليه وسلم ه بالهدى ودين الحق وأنزل معه القرآن فيه موعظة للمؤمنين ه وبلغكم ما أرسل به اليكم ثم حذرکم من عقاب الله وعذابه فلا تحيدوا عن الحق والصواب ه ولا تصبوا آذانكم عن سماع الحق ه ولكن عليكم بتقوى الله سبحانه وتعالى وخافوا من عقابه واعملوا الخيرات واتخذوا عليها فان كل امرئ سائر على ما اعتاد عليه .

واعلموا أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يستحق التقوى والعبادة وحده ه فقد أنعم علينا نعمًا كثيرة لا يستطيع أحد أن يحصيها ه فهو الذى فلق لنا الصبح فكيف الحال بنا لو أنه جعل الليل سرمدًا إلى يوم القيامة ه فمن الذى سيأتينا بنهار نسير فيه ه ومن الذى سيرزقكم من غير منة ولا نكد إن أمسك الله بالسرزق قاله هو الرزاق ذو القوة المتين .

ثم يتابع الشاعر تعداد ه لبعض نعم الله سبحانه وتعالى التى منحها

عباده ليشكروه ويعبدوه وحده يقول (١) :

مَرَجَتْ لَنَا الْبَحْرَيْنِ بَحْرًا شَرَابًا
فَرَأَتْ فَتَحَرَّاهُ بِحَمَلِ الْفُلْكِ أَسْوَدًا
أَجَاجًا إِذَا طَابَتْ لَهُ رِيحُهُ جَرَتْ
بِهِ وَتَرَاهَا حِينَ تَسْكُنُ رَكْدًا
فَمَا يَنْكُمُ مَخْصٍ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ
وَإِنْ قَالَ مَا شَأْنُ أَنْ يَقُولَ وَعَدًا
سَوَى أَنَّهَا عَمَتَ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
لَا تَقُولُ ذِي فَضْلٍ وَأَحْسَنِهِ مَدًا
سَيَجْعَلُ جَنَاتِ النَّعِيمِ لِبَاسَكُمْ
إِذَا مَا التَّقِيَمُ أَهْكُمْ كَانَ أَسْعَدًا
ثَوَابًا بِمَا كَانُوا إِلَى اللَّهِ قَدَمًا
يَحْلُونَ فِيهَا لَوَلُوهَا وَزَبْرَجَدًا
لَهُمْ مَا اشْتَهَتْ فِيهَا النُّفُوسُ وَلَذَّةُ
الْعَمِيرِ فَكَانَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَقَامًا

...

فالشاعر بكل حديثه ويقول : والله سبحانه وتعالى هو الذى مرج لنا
البحرين لا يختلط أحدهما بالآخر فبحر فرات سائغ شرابه وبحر أجاج تسير
عليه الفلك فإذا جرت الريح سارت السفن وإن سكنت الريح توقفت .
وإن أراد أحد أن يحصى نعم الله سبحانه وتعالى على خلقه فلن يستطيع
وإن أجهد نفسه بالعد والحساب ، إلا أنها قد عمت الخلائق كلهم .

(١) المصدر السابق ص ٩٥ .

فاعلم أيها الانسان أن من ضَبَطَ الأمر وحسن الرأى تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه لأن في ذلك الرشاد والسير على الطريق السوى فخير الأمور عاقبة تقوى الله سبحانه وتعالى فعاقبتها المغفرة والعفو منه جل وعلا .

أما الفاجر الكافر فليس له حزم ولا معرفة بالأمر الصالحة فلو كان عنده مسحة من عقل يفكر به تفكيرا سليما لأقلع عما هو سادر فيه من غي وكفره ففسر الأمور عاقبة المعاصي والآثام فالله سبحانه وتعالى محاسب الناس على أعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وهذا عمير بن الحصين النجرائى ^(١) يوصى أهل نجران بالتمسك بهدى الله سبحانه وتعالى لأن ذلك من تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه ويحذره من الشك والردة يقول ^(٢) :

أَهْلَ نَجْرَانَ أَمْسِكُوا بِهَيْدَى اللَّهِ
— وَكُونُوا يَدًا عَلَى الْكُفَّارِ
لَا تَكُونُوا بَعْدَ الْيَقِينِ إِلَى الْغَى
شَكٌّ وَتَعْنَدَ الرَّضَا إِلَى الْإِنْكَارِ
وَاسْتَقِيمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ فِيهِ
وَكُونُوا كَهَيْئَتِهِ الْإِنْصَارِ
...

فيا أهل نجران تمسكوا بالهدى ودين الحق وكونوا يدا واحدة على أعدائكم

(١) هو عمير بن الحصين النجرائى ذكره ابن حجر وقال عنه : ثبت يوم الردة ودعى قومه أهل نجران الى التمسك بالاسلام والثبات عليه ولم يُقْبَلْ له صحبة انظر الإصابة ج ٥ ص ١٦٠ .

(٢) الإصابة ج ٥ ص ١٦٠ .

من الكفار فلا تتردوا عن الدين الحنيف ه فكيف ترجعون إلى الهك بعد أن أبغتم وأمنتم، وإلى الإنكار بعد أن رضيتم بالإسلام دينا ه فذلك خزي وعار في الدنيا والآخرة ه ولكن استقيموا على الطريق السوي وتمسكوا بالدين الحنيف وكونوا كالأنصار في تمسكهم بالإسلام وثباتهم عليه ومناصرتهم له .

أما طريح بن اسماعيل الثقفي فإنه يوصي المرء بأن يجعل التقوى دثاره يقول (١) :

فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ وَاجْعَلْ أَمْرَهَا
دُثْرًا وَدُونَ شِعَارِكَ الْمُسْتَفْعِرَ

فيا أيها المسلم اتق الله سبحانه وتعالى ولتكن التقوى السمة الغالبة عليك في كل شئونك فاجعلها غطاء لك والبسها تحت لباسك الظاهر .

أما أبو العتاهية فإنه يحث المسلم بأن يتمسك بتقوى الله حتى يتوفاه الله ويوصي المسلم بتجنب الأخلاق القبيحة لأن ذلك من تقوى الإله يقول (٢) :

تَمَسَّكَ بِالتَّقَى حَتَّى تَمُوتَ نَا
وَلَا تَدْعِ الْكَلَامِ أَوْ السُّكُوتَ نَا
وَقُلْ حَسَنًا وَأَمْسِكْ عَنْ قَبِيحٍ
وَلَا تَنْفَكْ عَنْ سُوءِ صَمُوتَ نَا
لَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا كَمَالًا
إِذَا عُوْهِتَ ثُمَّ أَصْبَتْ قُوْتَا
إِذَا لَمْ تَحْتَفِظْ بِالنَّفْسِ يَوْمًا
فَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفُوتَ نَا

(١) شعره ص ٨٩ .

(٢) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٦٦ .

فالشاعر يقول : تمسك أيها المرء بتقوى الله سبحانه وتعالى ما دمت فسي
هذه الحياة الدنيا ، فإن في التقوى الغفران والرحمة ، واجعل تقوى الله سبحانه
وتعالى شعارك في كل أمورك فلا تتحدث إلا بالخير والقول الحسن ، والسر
الصمت عن ذكر المعاييب وعن كلام الفحش والسوء ، فإن الإنسان إذا عوفى في بدنه
وأصاب قوت يومه فكأنما ظفر بالدنيا أجمعها ، واعلم أنك إن لم تحافظ على
أموالك وحاجاتك فانت عليك وذهبت غك ، ولكن انفق منها في وجوه الخير فالانفاق
في سبيل الله من أجل القربات ومن الأماكن الآمنة التي لا يضيع فيها شيء .

فاجعل أيها الإنسان تقوى الله سبحانه وتعالى في كل شيء من أمرك فسي
سكوتك وفي كلامك وفي انفاقك وفي اسماكك .

وقد ضمن الشاعر قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من أصبح منكس
آمناً في سره معافى في جسده غده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .^(١)

وبعد .. مضينا مع شعراء الوصايا الدينية في جانب الحث على تقوى
الله سبحانه وتعالى والخوف من عقابه ، نرى أن الشعراء قد أوصوا بذلك لأن
تقوى الله والخوف منه رأس كل أمر وخير زاد يتزود به المسلم من هذه الحياة
الدنيا .

وقد صور بعضهم أهوال يوم القيامة والعذاب والنار لكي يتق المسلمون
الله ويخافوه ويرجوا ثوابه فهو المستحق لذلك وحده . وبعضهم عدد بعض
النعم التي أنعم الله بها على عباده لكي يذكر المسلمون بها ويحبسون لهم

(١) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ج ٤ ص ٥٧٤ تحقيق إبراهيم عطوة نشر دار
أحياء التراث العربي وسنن ابن ماجه كتاب الزهد حديث رقم ٤١٤١ ج ٢
ص ٣٨٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار أحياء التراث العربي .

أن صاحب هذه النعم هو الذى يجب أن يتقيه المسلم ويرجوه ويخافه ، وقد
بين الشعراء ذلك أن تقوى الله سبحانه وتعالى هى الحزم والبرأى
الحسن وفيها الخير والنجاح للمسلم فى الحياة الدنيا والآخرة .



٢ - التزهد فى الدنيا والتذكير بالموت :

لقد حث الشعراء على الزهد فى الدنيا والابتعاد عن ملذاتها وشهواتها والإقبال على العمل الصالح وذلك لأن الدنيا دار مرر وليست بدار مقر ، وقد ربط الشعراء بين الزهد فى الدنيا والتذكير بالموت لأن الموت سبيل كل من فى الداعى للتكالب على الدنيا والإنسان سيموت ويترك كل ما جمعه فى هذه الحياة ولن يأخذ معه شيئاً إلا العمل الصالح ، إن كان عمله فى الدنيا .

فأسامة بن زهد (بجلى) يوصى المرء بأن يتذكر الموت ويجعله نصب عينيه فيعمل الخير ويتجنب الشهوات والمعاصى والذنوب يقول (١) :

لَا تَصْبَحَنَّ وَلَا تَبْتَغِ لَهْلَةً
وَالْمَوْتُ يَصْبِحُ غَادِيًا وَهَوًى
إِلَّا كَأَنَّكَ قَدْ دَعَاكَ وَإِنَّمَا
طَرَفُ الْحَيَاةِ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ
إِنَّ النَّفْسَ رَهَائِينَ تُنَكِّسُ بِهَا
فَاعْمَلْ فَبِإِنْ فَكَأَكْهَنَ دَوًى وَبُ

...

فاعلم أيها الإنسان أن الموت غاد ورائع بين الناس فمن تركه فى هذا اليوم سيعود إليه فى يوم آخر لا محالة ، فلا تنزل أيها المرء ذاكرا الموت فى صباحك ومساءلك ، فإن طرف الحياة قريب من الممات ، واعلم أن نفوسنا رهائن قد كسبنا إياها وسيفك الرهن وتؤخذ الأرواح ، فاعمل الأعمال الصالحة التى تفريك من الله ، وابتعد عن مباحج الدنيا وبهارجها الزائلة .

(١) الحماسة للبحتري ص ١٣٧ .

وحميد بن ثور السهلاي (١) يوصي الإنسان أن لا يأمن الموت فيلهو في
هذه الدنيا بل عليه أن يأخذ حذره منه يقول (٢) :

فَلَا تَأْمَنَنَّ بِيَّاتِ النَّوْنِ
وَكُنْ حَذِرًا حَذًّا أَظْفَارَهَا
فَإِنَّ النِّبَةَ مَا أَسَارَتْ
مِنَ الْقَوْمِ عَادَتْ لِإِثَارَهَا (٣)
...

فالشاعر يقول : فلا تلهك الدنيا ولمذاتها أيها المسلم ولا تنسك الموت
فإن النية قريبة للمرء . فاحذر حد أظفارها وقوتها فإنها شديدة ، واتق الله
واعمل ما أمرت به لكي تستعين به على أخراك ، واعلم أن النية إن أبقت أحدا
من الناس في هذا اليوم ستعود مرة أخرى لما أبقتة وستأخذه مثل سلفه .

وهذا كرز بن عبيدة (٤) يوصي الإنسان بالاجتهاد في عمل البر والخير
وأن لا يؤمل طول البقاء بل عليه أن يعد نفسه مع الأموات في أي لحظة من اللحظات
يقول (٥) :

(١) هو حميد بن ثور بن عبد الله من بني عامر بن صعصعة شاعر مخضرم عاش في
الجاهلية والإسلام وأسلم ، كان أحد الشعراء الفصحاء وكان كل من هاجاه
غلبه وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وعاش إلى خلافة عثمان ، عده
ابن سلام في الطبقة الرابعة من الإسلاميين .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ٢ ص ٥٨٣ والشعر والشعراء ج ١
ص ٣١٧ والأغاني ج ٤ ص ٣٥٦ .

(٢) ديوانه ص ٩٦ صنعة الاستاذ عبد العزيز اليميني ، نسخة مصورة عن طبعة
دار الكتب سنة ١٣٧١ هـ نشر دار القومية للطباعة ، القاهرة .

(٣) أسارت : أبقت .

(٤) هو كرز بن عبيدة شاعر إسلامي يبدو ذلك من استلهامه وتضمينه لمعنى الآية
(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) في شعره لم أجد سوى
هذه الترجمة في كتاب شعر طي* في الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٦٢٠ .

(٥) شعر طي* وأخبارها في الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٦٢٠ .

اعْمَلْ لِنَفْسِكَ مَا اسْتَطَقْتَ وَعَدَّهَا
 مَا عِشْتَ مُبْتَدِئًا مَعَ الْأَمْوَاتِ
 وَالْمَوْتُ فَاعْلَمْ غَائِبٌ لَا يَبْدَأُ أَنْ
 يَأْتِيَ وَإِتَيْنَاهُ إِلَى مِيقَاتِ
 فِي سَاعَةٍ مَا بَعْدَهَا مُتَرَتِّبٌ
 يَرْجَى وَلَا مُتَقَدِّمٌ لَوْفَاةٍ

...

فالشاعر يقول موصيا المرء المسلم : اجتهد في عمل البر والطاعات قدر
 استطاعتك أيها الانسان ، فإنك لا تدري متى ستموت ، فاعمل عمل إنسان مودع ، وعد
 نفسك ميتا مع الأموات طوال حياتك ، فلا تغفل عن ذلك ، فهاتيك الموت وأنت
 سادر في غيبك آمن من الموت ، واعلم أن الموت غائب عن المرء لا يدري متى يصيبه
 ولكنه لا بد أن يأتي وإذا جاء فلا ينفع المرء شيء في تلك اللحظة فلا يقدم أجله ولو
 ساعة واحدة ولا يؤخر .

أما سابق البربري فإنه يوصي المسلم بترك ملذات الدنيا وعدم الاقبال عليها
 لأن الموت له بالمرصاد يقول (١) :

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَافٍ
 وَاللَّهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنٌ
 تَعْنَى بِمَا تَكْفَى وَتَتْرِكُ مَا بِهِ
 تَعْنَى كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنٌ
 أَوْ مَا تَرَى الدُّنْيَا وَخَرَعَ أَهْلُهَا
 فَاعْمَلْ لِيَوْمِ فِرَاقِهَا يَا حَافِئٌ

(١) شعره ص ١٣٠ .

واعلم بِأَنَّكَ لَا أَبَا لَكَ فِي السَّيِّ
 أَصْبَحْتَ تَجْمَعُهُ لِغَيْرِكَ خَازِنُ
 يَا عَامِرَ الدُّنْيَا اتَّعَمَّرْ مَنْزِلًا
 لَمْ يَبْنِ فِيهِ مَعَ النَّيَّةِ مَآكِنُ
 الْمَوْتُ هُوَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنََّّهُ
 حَقٌّ وَأَنْتَ بِذِكْرِهِ مُتَهَيِّئُونَ
 إِنَّ النَّيَّةَ لَا تُؤَمِّرُ مَنْ أَنْتَ
 فِي نَفْسِهِ يَوْمًا وَلَا تَمُتَانِ
 ...

فقضاء الله سبحانه وتعالى سبق بما هو كائن في هذه الحياة الدنيا حتى
 يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى ضامن أرزاق الناس جميعا ، فكيف تنهات أيتها
 المرأة على جمع المال وتشتغل بذلك والله سيكفيك رزقك .

وما أمرك الله القيام به من عبادته وطاعته تنهون به كأنك آمن من
 حوادث هذه الدنيا وغوائلها ، أفلا تتعظ بتقلب أحوالها ، وموت أهلها .
 فاعمل الأعمال الصالحة استعدادا ليوم الفراق يا أيها الانسان الميت فإن
 أجلك حائن .

واعلم أيها الانسان أن الذي اتعبت نفسك في جمعه ، وأقمت عمرك في كسبه
 سيصبح لغيرك من بعدك ، وليس لك منه الا ما أنفقت في سبيل الله ، وأراك أيها
 الإنسان تعمّر المنازل الفسيحة ، وأنت ستموت وتغارق ذلك ، فالموت حقيق
 سيصيب كل انسان وأنت عالم بذلك ولكك بذكره متهاون " واعلم أن الموت لا يستأذن
 من أحد إذا أتى فهو واقع لا محالة ، فاستعد له الاستعداد الحسن .

والامام عبد الله بن المبارك يحذر الناس من الموت ويوصيهم بالغسل الصالح والاجتهاد فيه يقول (١) :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ عُقُوبٌ • يَحْصُدُ الْمَوْتُ كُلَّمَا طَلَعَا
لَا يَحْصُدُ الْمَرَّةَ عِنْدَ فَاغْتِيهِ • إِلَّا الَّذِي فِي حَيَاتِهِ زَرْعًا

...

فيا أيها الناس هبوا من غفلتكم واعملوا ليوم معادكم فإن الموت لكم بالمرصاد وسياخذكم على حين غفلة من أمركم • واعلموا أنكم موقوفون بين يدي ربكم للجزاء والحساب وستعرض عليكم أعمالكم وتجاوزون عليها • فازرعوا الخير في حياتكم لتحصدوا ثمرتها يوم حسابكم فلن يجد الانسان هناك إلا ما قدمت يداه •

أما الامام الشافعي فانه يوصي المسلم بترك التعلق بالدنيا والاقبال على الآخرة لكي يضمن الخلود بالجنة يقول (٢) :

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَاً لَا بَقَاءَ لَهَا
يُمَيِّسُ وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَارًا
هَلَّا تَرَكْتَ لَدَى الدُّنْيَا مُعَانِقَةً
حَتَّى تُعَانِقَ فِي الْفُرْدُوسِ أَبْكَارًا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّاتِ الْخُلْدِ تَسْكُنُهَا
فَتَبْغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمِنَ النَّارَا

...

يقول يا أيها العاشق لهذه الدنيا الهائم بها الذي يضييع وقته في جمع الأموال ويكثر الترحال لذلك • هلا تركت التعلق بالدنيا • وأقبلت على الله

(١) ديوانه ص ٥٥ •

(٢) ديوانه ص ٤٢ •

وعملت ليوم الحساب لكي تعانق الأبتكار من الحور العين في جنة الفردوس ، فإن
كنت تهتد الخلود أيها المسلم في جنات الخلد فخف من النار ، واترك ملذات
الدنيا .

وأبو العتاهية يوصي المرء المسلم بتجنب الشهوات والملذات والعمل للدار
الآخرة ويحثه على التواضع وعدم التكبر يقول (١) :

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بَدَارٌ بَقَاءٍ
كَفَاكَ بَسِدارِ السَّوْتِ دَارَ قَنَاءٍ
فَلَا تَعْدُقِ الدُّنْيَا أَخَى فَإِنَّمَا
تَرَى عَاقِبَ الدُّنْيَا يَجْهَدُ بِهَا
حَلَاوَتَهَا مَزُوجَةً بِمَرَارَةٍ
وَرَا حَتْبَهَا مَزُوجَةً بِعَنَاءٍ
فَلَا تَمْنِ يَوْمًا فِي ثِيَابٍ مَخِيلَةٍ
فَإِنَّكَ مِنْ طِينٍ خُلِقْتَ وَمَاءٍ
لَقَلَّ امْرُؤٌ تَلْقَاهُ لِلَّهِ شَاكِرًا
وَقَلَّ امْرُؤٌ يَرْضَى لَهُ بِقَفَاءٍ

...

فالشاعر يقول : اعلم يا أخي أن هذه الحياة الدنيا ليست بدار إقامة فلماذا
تعمل جاهدا لمبارتها وتضع عمرك في إحيائها والتهافت على ملذاتها وشهواتها ،
وتترك ما أمرك الله به من الواجبات والطاعات ، مع أن الدار الآخرة هي دار البقاء
والإقامة .

فلا تعدق يا أخي هذه الدنيا فإن عاشقها دائم السقام ، واعلم أن حلاوة

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٢ .

هذه الدنيا مزوجة بالمرارة فهي ليست خالصة نقية وكذلك الراحة فيها مزوجة بالتعب والجهد على العكس تماما من حلاوة الجنة وراحتها فلا ضغفات ولا أحزان .

واحذر الكبر والخيلاء لا يكن من أخلاقك فإنما أنت مخلوق من ماء وطين واشكر ربك على ما أنعم به عليك وارضى بقضائه وقدره تغز برضاه وجنته إذ قلما تجد انسانا شاكرا لله على ما أعطاه وراضيا بما قضى الله عليه .

وللشاعر أبيات أخرى يحذر فيها من الموت والتهافت على الدنيا ويحث المرء على العمل قبل الممات وعلى محاسبة النفس يقول (١) :

أَفَنَى مَتَابِكَ كَرَّ الطَّرْفِ وَالنَّفْسِ
فَالْمَوْتُ مُقْتَرِبٌ وَالذَّهْرُ ذُو خُلَاسِ
لَا تَأْمِنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ
وَإِنْ تَنَعَّتْ بِالْحِجَابِ وَالْحَرَسِ
فَمَا تَزَالُ سِيَهَامُ الْمَوْتَ نَافِذَةً
فِي جَنْبٍ مُدْرَجٍ مِنْهَا وَمُسْتَرِيسٍ
أَرَاكَ لَسْتَ بِسَوَافٍ وَلَا حَذِيرٍ
كَالْحَاطِطِ الْخَاطِطِ الْأَعْوَادِ فِي الْغَلَسِ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَعْلَمْ مَسَالِكَهَا
إِنْ الشُّفِينَةُ لَا تَجْرِي عَلَى الْهَبَسِ
أَنْ لَكَ الصَّخْرُ مِنْ سُكْرِ وَأَنْتَ مَسْقٍ
تَصِحُّ مِنْ مَكْرَةٍ تَفْهَكَ فِي نَكْسِ
مَا بَالُ دِينِكَ تَرَفَّسٍ أَنْ تُدْثَسَهُ
وَتُوْبِكَ الذَّهْرُ مَفْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١١٣ .

لَا تَأْمَنِ الْحَتَفَ فِيهَا تَسْتَلِذُّ وَإِنْ
لَأَنْتَ مَلَاهِسُهُ فِي كَفِّ مُلْتَمِسِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ مُكْرَأٌ لَا مَسِيرَكَ لَهُ
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ مِنَ الْأَهْلِينَ مُخْتَلِسِ
...

فالشاعر يقول : أيها الإنسان ذهب عمرك من مرور الليالي والأيام ، وتعاقب
أنفاسك فالموت قد اقترب منك فلا تأمن النون في أي لحظة وإن تشمت عنه
بالحجاب والخزائن فسهام الموت نافذة إلى كل انسان ولو كان لابسا الدروع والتروس
ومع ذلك أراك لا هيا في حياتك غير محاذر من الموت كأنك حاطب ليل يجمع ما
صادفه وإن كان ضاراً ، وكيف ترجو النجاة من النار أيها الانسان وأنت لم تسلك
السبل المودعة إليها ، إن ذلك لمستحيل استحالة جريان السفينة على اليابسة .
وأراك أيها المرء سادراً في غيبك مستمراً في ملذاتك متى ما صحت من واحد
تغشى غيرها فمتى تصحو من ذلك ؟ وما بالك ترضى بأن يدنس دينك ولا تغضب من
أجل ذلك ، وثوبك أبد الدهر مغسول منقى من الموالق والأوساخ . فكيف ترجو
النجاة من عقاب الله وأنت على تلك الحال ..

فلا تأمن أيها الانسان الموت في حالة مرحك وسرورك فلربما اختلسك وأنت
غارق فيها فكم من حبيب لنا قد اختلسته يد النون على الرغم منا ، فالحمد لله
الواحد الأحد ، الذي لا يشكر على مكروه سواء سبحانه وتعالى .

وهذا أبو تمام يوصي المرء المسلم بأن لا يفتر بالدنيا وأن لا يأمسها على
نفسه فإنها تدبر عن المرء من غير رجعة ، ويحثه على الإسراع في التوبة النصوح
قبل ماته فحيل العمر قصير يقول (١) :

(١) ديوان أبي تمام ج ٤ ص ٥٩٥ .

فلا تأمن الدنيا إذا هي أقبلت
 عليك فما زالت تخون وتدير
 فما تم فيها الصفو يوماً لأخليه
 ولا الرفق إلا ريثما يتغير
 وما لاح نجم لا ولا ذر سارق
 على الخلق إلا حبل عتوك يقصر
 تطهر والحق ذنبك اليوم توبه
 لعلك منه إن تطهرت تطهر
 وممّ فقد أبدى لك الموت وجهه
 وليس ينال الفوز إلا المشير
 فهدي الليالي مؤننا بك باليل
 تنوح وأيامك بذلك تكبر
 وأخلص بدا لله صدراً ونبيّة
 فإن الذي تخفيه يوماً سيظهر
 وقد يستتر الإنسان باللفظ فعله
 فظهر منه الطرف ما كان مستتر
 تذكر وفكر في الذي أنت صائر
 إليه غداً إن كنت من مفكر
 فلا بد يوماً أن تصير لحفرة
 بأثناها تطوى إلى يوم تنفر
 ...

فأبو تمام يقول : لا تأمن الدنيا أيها الإنسان إذا ما أقبلت وانفتحت أبوابها
 عليك ، ولا تغتر بذلك فإنها خائفة تدبر عن المرء فجأة ومن غير إنذار له ، فما دام
 الصفو والسعد فيها لأحد بل صفوها لا بد أن يكدّر .

وكيف تتعلق بالدنيا أيها المرء وعمرك ينقص في كل يوم يمر عليك فما طلع نجم ولا برزت شمس على هذه البسيطة إلا وهي نقص من حياتك ، فسارع إلى التوبة وتطهر واستغفر لذنبك لعلك تتخلص منها ، وشمر عن ساعد الجد في عمل الطاعات والواجبات فقد كثر الموت عن أنبياءه ، ولمن يفوز بالسعادة والمغفرة من الله إلا المجتهد في العبادة ، فتجدد الليل والنهار مؤذن بزوال الإنسان

وأخلص عملك لله وحده فإنه عالم لما في الصدور ويعلم ما تخفيه نفس صدرك إن خيرا أو شرا ، فقد يستر الإنسان أفعاله بأقواله ، ولكن جوارحه تظهر ما كان يستره ويخفيه فتذكر أيها الإنسان معادك وفكر فيما ستصير إليه واعلم أنك ذاهب ، وستصير إلى حفرة تطوى فيها إلى يوم النشور والحساب ، فاترك اللهو بالدنيا وأقبل على الله بعبادته والإكثار من أفعال الخير وعمل وجوه البر فهي التي تبقى للإنسان بعد مماته .

ومن خلال ما سبق نرى أن الشعراء قد حثوا على ترك مباحج الدنيا وعدم التلهي بها وأوصوا بالأقبال على الله وعبادته وفعل الخير لأن الموت للإنسان بالمرصاد ولن يستفيد المرء من أي عمل عمله في الدنيا إلا أعمال الطاعات التي تشفع للإنسان عند ربه ، وقد ركز الشعراء على ذكر التوهد بالدنيا وحثوا على عدم الغفلة وعلى تذكر الموت فإنه واقع لا محالة ، ولا مفر منه ، كما بينوا أن هذه الحياة الدنيا إنما هي دار مير فلا تحتاج إلى كبير اهتمام من المرء ولكن الدار الآخرة هي دار المير وتتطلب العمل الكثير من المرء لكي يسعد فيها وينعم بجنات الخلد التي وعد الله بها عباده المتقين ، ويسلم من عذاب الله الذي توعد به الكافرين .

ونلاحظ تركيز الشعراء على ترك ملذات الدنيا والبعد عن بهارجها الزائفة منذ بداية العصر الإسلامي ، ولكن هذا الأمر بلغ ذروته في العصر

العباسي حيث نرى أبا العتاهية وقف جل شعره في الزهد والنصائح ، والوصايا
فما سبب هذا التركيز من شعراء العصر العباسي وما السر في ذلك ؟

والجواب عن هذا السؤال ليس بالأمر الميسر لأن الدوافع التي تدفع
الشاعر على التزهد في الدنيا تختلف من شاعر إلى آخر .

ولكن السبب الرئيس هو أن هذا التيار من الشعر نفاً لمواجهة تيار
المجون الذي نشط في هذا العصر والذي كان من أقطابه مسلم بن الوليد
وأبونواس ووالهة بن الحباب وغيرهم من الشعراء ، فحاول شعراء الزهد أن
يلفتوا أنظار المجتمع إلى واقعهم الذي يعيشون فيه (١) .

وهناك شعراء لم يكن اتجاههم التزهد في الدنيا لسبب ديني ولكنهم قوم
يئسوا من الثراء ولم يستطيعوا الحصول عليه فلجأوا إلى التزهد في الدنيا .

وهناك فئة منهم عزفت نفوسهم عما رأت من شهوات وملذات ورأوا أن
وراء تتبع الشهوات الكثيرة متاعب ومصاعب فقمعوا نفوسهم عن ذلك (٢) .

(١) انظر شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث ص ٤١ د / على نجيب المعطوي
ط الأولى سنة ١٤٠١ هـ نشر المكتب الاسلامي بيروت .

(٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ١٣٦ وما بعدها ، أحمد أمين ط العاشرة نشر
دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

٣ - الحث على عمل الطاعات واجتناب المحرمات :

وان أعمال البر والطاعات واجتناب المحرمات هي التي تقرب المرء من الله سبحانه وتعالى وتنبهه المغفرة والرضوان منه جل وعلا ، وتدخله الجنة وتقيه من العذاب ، لذلك فقد أوصى الشعراء غيرهم من المسلمين بوجوب عمل الطاعات واجتناب المنهيات والمحرمات فالصلصال بن الدلهيس ^(١) يوصي المسلم بأن يحسن العمل لله وألا ينشغل إلا بما يرضى الله سبحانه وتعالى يقول ^(٢) :

تَجَنَّبَ خَلِيطًا مِنْ مَقَالِكَ إِنَّمَا
قَرِينُ الْفَقِي فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ ^(٣)
وَلَا بُدَّ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَنْ تَعُدَّهُ
لِيَوْمٍ يُنَادَى الْمَرْءُ فِيهِ فَيُقْبَلُ
وَأِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ فَلَا تُكُنْ
بِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ تَفَعَّلُ
وَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ
وَمِنْ بَعْدِهِ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَفْعَلُ
أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ فَيْسَفُ لِأَهْلِيهِ
يُقِيمُ قَلِيلًا بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَرْحَلُ
...

فاجتنب أيها الانسان المسلم الخلط في مقالك بين الحسن والقيبح ،
واعمد إلى القول الحسن والذكر لله من غير إشراك أحد معه ، واعمل الأعمال

-
- (١) هو الصلصال بن الدلهيس التميمي شاعر صحابي وفد مع بني تميم إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم .
انظر الاصابة ح ٣ ص ٤٤٥ .
(٢) الاصابة ح ٣ ص ٤٤٦ .
(٣) الخلط - الشريك .

الصالحه ه وأخلص النية لله وحده فإن المرء إذا مات ووضعت في قبره رجع عنه كل شيء ويبقى معه في القبر عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

واستعد أيها الانسان أيضا لما بعد الموت وهو يوم الحشر والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ه فإن كنت مشغلا في هذه الدنيا فاحرص على الاشتغال بما يرضى الاله وتجنب ما يغضبه ه فعليك بعمل الأعمال الصالحة الكثيرة للاشتغال بها فإنه لن يصحبك من هذه الدنيا بعد موتك سوى عملك وهو الذي عليه تجازى ه واعلم أن المرء في هذه الدنيا ضيف يملك قليلا ثم يرحل إلى منزله الدائم .

أما سابق البربري فإنه بحث على عمل المعروف وبذل الندي ويوصي المرء كذلك على اجتنب الشهوات التي تهلك للإنسان يقول (١) :

يَا مُبْتَنِي السِّدَارِ الَّذِي هُوَ مُسْرَعٌ عَنْهَا الرَّجِيلَا
إِنْ لَمْ تُتَيْلْ خَيْرًا أَخَا ه كَ فَكُنْ لَهُ عَبْدًا ذَلِيلَا
وَتَجَنَّبِ الشَّهَوَاتِ وَاحِدَا ه حَذَّرَ أَنْ تَكُونَ لَهَا قَتِيلَا
فَلَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَتِي ه قَدْ أَوْرَثَتْ حَزْناً طَوِيلَا

...

فأحسن أيها الانسان إلى إخوانك وأقربائك وأنلهم من عطايك وبذلِكَ ه وتعذر على الضعيف منهم ه وإن لم تستطع بذل ذلك فتواضع وألن جانبك لهم ه واحذر من الشهوات لا تكن من طبعك ولا تغلب على حياتك ه فسيان الإنزلاق في الشهوات خطر على المرء فقد تهوى به إلى المهالك ه فلرب شهوة ساعة من الزمن أورثت الحسرة والندامة فاجتنب هذه الخصال السيئة واعمل الحسنات وانفق مما أعطاك الله وأنعم به عليك واستعد لما سترحل إليه فإن الدنيا

(١) شعره ص ١١٦ .

فانية وسيغادرها الإنسان عاجلاً إلى الدار الآخرة .

وأبو العتاهية يوصي المعلم بتجنب الذنوب والمعاصي مثل البغى والفكر
والبهتان يقول (١) :

إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ وَالْبَهْتَانَ وَالْغِيْبَةَ
وَالْقَلْبَ وَالْفَرْكَ وَالطُّفْيَانَ وَالرَّيْبَةَ
مَا زَادَكَ السِّنُّ مِنْ مِثْقَالٍ خَرَدَ لَكَ
إِلَّا تَقَرَّبَ مِنْكَ الْمَوْتُ تَقَرُّبَةً
فَمَا بَقَاؤُكَ وَالْأَيَّامُ مُسْرَعَةٌ
تَصْغِيْدَةٌ فِيكَ أَخْبَانًا وَتَعْوِيْبَةً
وَإِنَّ لِلدَّهْرِ لَوْ يَخْصِي تَقْلُبُهُ
فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ مِنْكَ تَقْلِيْبُهُ
...

فابتعد أيها الإنسان عن الذنوب والخصال التي تودي بمصاحبها إلى الهلاك
واجتنب البغى فإن مصرعه وخيم . وابتعد عن البهتان والغيبة فإنهما من المعاصي
القبیحة التي تذهب الحسنات . واحذر من الفكر والفكر بالله . وأخلص العبادة
له وحده . فلن يدخل الجنة مفكر . وكذلك الطفیان والريبة لا يكونان من عانك .
فتلك المعاصي كلها مجتمعة أو متفرقة تودي إلى الهلاك وتذهب بالحسنات وتثقل
السيئات .

واعلم أنه ما تقدم بك العمر لحظة إلا تقرب الموت منك مقدار ذلك . فكيف
ترجو الخلود في الدنيا وهذه الأيام تجري مسرعة عليك . واعلم أن الدهر ذو غير

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ٥١ .

وتقلب ولو أحصيت تقلباته لكنت في كل طرفة من طرف عينيك له تقليبه ، فاحذر ذلك وابتنع عن السيئات واعمل الحسنات حتى تنجو من الهلاك .

ويوصي الشاعر في بيتهين آخرين أصحاب الأموال بالعدل والانفاق في سبيل الله يقول (١) :

يا جَامِعَ الْمَالِ في الدُّنْيَا لِوَارِثِهِ
هل أَنْتَ بِالْمَالِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْتَفِعُ
لا تَمْسِكِ الْمَالَ واسْتَرْفِي الْإِلَهَ بِهِ
فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرَّيُّ وَالْقَبَسُ
...

فالشاعر يوجه الوصية إلى صاحب المال قائلا : يا أيها المتجهد في جمع المال واللاهى بتميمته وكنزه هل أنت ستنتفع به بعد موتك ؟

اعلم أن ما كنزته من أموال لن يفيدك بعد مماتك وسيتحول لورثتك ، والذي يفيدك من مالك هو ما قدمته في وجوه الخير والانفاق في سبيل الله فابذل من أموالك وتصدق منها لتكسب من وراء ذلك الحسنات والرحمة والغفران من العزيز الحكيم .

أما ابن المعتز فإنه يوصي المسلم باجتنب الذنوب الصغير منها والكبير يقول (٢) :

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ۞ وَكَبِيرَهَا فَهَوَ التَّقَاسُ
كُنْ مِثْلَ مَا فِي فَوْقِ أَرْ ۞ فِي الشُّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لا تَخْفِرَنَّ صَغِيرَةً ۞ إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

(١) المصدر السابق ص ٢٢٦ .

(٢) ديوانه ج ٢ ص ٣٧٦ .

يقول اجتنب أيها المسلم المعاصي والآثام الصغيرة منها والكبير فلا تقربها لأن ذلك من تقوى الله والخوف منه فاحذرها واحتط لنفسك حتى لا تقع فيها وكن مثل من يمشي في أرض مليئة بالشوك يحاذر أن يظاء فهو يتجنب ذلك قدر استطاعه • ولا تحقر أيها المسلم الذنوب الصغيرة وتتساهل بها فإن الجبال الرواسي الكبيرة من الحصى الصغيرة فاحذر ذلك وطهر قلبك وجسدك ممن أبداوان المعاصي والآثام •

وقد اقتبس الشاعر معاني هذه الأبيات من سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بن كعب عن التقوى فقال له أبي " هل أخذت طريقا ذا هوك^(١) قال نعم • قال : فما عملت فيه • قال : تشمرت وحذرت • قال فذاك التقوى "

وبعد • فقد رأينا الشعراء قد أوصوا المسلم بوصايا عديدة يحثونه فيها على عمل الطاعات واجتناب المعاصي وكثرة الاشتغال بما يرضى الله والحمد عن الاشتغال بما يسخطه وحثوا على عمل الخيرات من إنفاق وبذل • لأن المرء إذا مات لم ينتفع من ماله إلا ما قدم في حياته في وجوه البر والخير • وكذلك حذروا من ارتكاب المعاصي والآثام وأوصوا باجتنب الذنوب كبرها وصغيرها وأوصوا كذلك بترك الغيبة والشك والشرك والبهتان •



(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٦١ ط الثانية • نشر دار إحياء التراث العربي بيروت • لبنان •

٤ - الحث على القناعة والرضا بما قسم الله :

القناعة أمر معنوي ترجع إلى نفس المرء وذاته فالنفس القانعة هي التي ترضى بالشئ اليسير وتقتنع به ، أما النفس الجشعة فهي التي لا تقنع ولو جمعت لها الدنيا بأسرها ، والجشع من أقبح الصفات التي تنقص من قدر الإنسان .

والإنسان الذي يتصف بالقناعة هو في الحقيقة راض بما قسم الله سبحانه وتعالى له وسلم للمشقة الإلهية .

ولقد أوصى الشعراء غيرهم من المسلمين بالقناعة والرضا بما قسم الله للمرء من رزق وعدم الجزع من ضيق المعيش ومظففة .

فالخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي المسلم بالصبر على قضاء الله وعطاءه من الرزق ويحثه على القناعة وعدم الظن بالله ظن سوء يقول (١) :

أَلَا فَاضْبِرْ عَلَى الْحَدَثِ الْجَلِيلِ
وَدَاوِ جَسَّاءَكَ بِالصَّبْرِ الْجَبِيلِ
وَلَا تَجَنَّزْ فَإِنْ أَعْسَرَتْ يَوْمًا
فَقَدْ أَسْهَرَتْ فِي الدَّهْرِ الطُّوَيْلِ
وَلَا تَظَنَّ بِرَيْكَ ظَنًّا سَوْماً
فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَبِيلِ
فَإِنَّ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسَارٌ
وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ
فَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمًا
سَيَّرُوا مِنْ رَحِمِ التَّلَاسِيلِ

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ص ٥٣١ .

يقول اصبر أيها المسلم على ما أحدث الدهر عليك من حدث مادي أو غيره
وداؤ مصيبتك بالصبر فإن الصبر مفتاح الفرج ونفوس الكرب هـ ولا تجزع ان
أصابتك فاقة في يوم من الأيام هـ وتذكر نعم الله عليك طوال حياتك وتهمسـه
معيشتك .

وظن بالله الظن الحسن ولا تظن به ظن سوء فالله أعلم بحالك وهو أولى
بالجميل من غيره فسيكشف عنك هذه الكربة إن توجهت إليه فان اليسر مع العسر
وقد بين الله ذلك في كتابه العزيز حيث يقول : " فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ
الْعُسْرِ يُسْرًا " (١) !

وكم مؤمن قد افتقر وبات جائعا لا زاد عنده وصبر هـ وجزاء الصبر الجنة
والتمتع بملذاتها وطيباتها .

أما عمران بن حطان (٢) فهو يوصي الفرزدق بأن لا يتوجه إلى الخلق في
طلب الرزق ولكن عليه أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى الرازي للجميع يقول (٣) :

أيها المادح العباد ليعطس
إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم
وانح فقل أنفسهم العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه
وتنق البخل باسم الجواد
...

فالشاعر يقول : يا أيها الشاعر المادح البشر ليحصل على عطاء منهم

-
- (١) سورة الشرح آيتان رقم ٦٥ هـ .
(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان ينتس نسبه إلى بكر بن وائل شاعر فصيح من
شعراء الغرارة ودعاتهم والمتقدمين في مذهبهم ولكن لم يشترك في الحروب
(٣) الأغاني ح ١٨ ص ١١٩ .

توجه إلى خالق البشر ورسمهم فهو المعطى لهم ، فبدلاً من طلبك هو لا العباد
أعطوك أم منعوك اطلب رزقك من الرزاق العليم الذي لا يرد طالباً .

ويا أيها الشاعر لا تصف الرجل بغير صفاته فلا ترفع من شأن الجواد
وتصوره بصورة الواهب المعطى ، ولا تمدح البخيل الممسك بالكرم فإن ذلك كذب
وعدوان .

فاطلب جميع حاجاتك من الواهب الذي لا يمن على أحد في رزقه له
وعطائه ، واقع بما حباك الله إياه فإنه خيرٌ من استجداء البشر .

أما عبد الله بن المبارك فإنه يوجه نصيده إلى بعض أصحابه يوصيه فيها
بالفناعة والتبليغ بالرزق الحلال ولو كان قليلاً وينهاه عن استجداء أحد أو الوقوف
على أبواب الأمراء يقول (١) :

كُلْ مِنَ الْجَارِوَيْسِ وَالرُّزْزِ * زَيْمٍ خُبِرَ السَّعِيرِ
وَاجْعَلَنَّ ذَاكَ حَسَلاً * تَنَجَّ مِنْ نَارِ السَّعِيرِ
وَالْتَمِسْ رِزْقَكَ مِنْ ذِيَالِ * عَرَشِ الرَّبِّ الْقَدِيرِ
وَأَنَا مَا اسْطَغْتْ هَذَاكَ الـ * لَهُ عَنْ دَارِ الْأَمِيرِ
لَا تَزْرَهَا وَاجْتَنِبَهَا * إِنَّهَا قَرْمَزُورُ
تُوهِنُ الدِّينَ وَتُذْنِبُ * سَكَّ مِنَ الْحُوبِ الْكَبِيرِ
قَبْلَ أَنْ تَسْقُطَ بِهَا مَفْ * رُورٌ فِي خُفَرِ بِيرِ
وَأَرْضُهَا وَنَحْكُ مِنْ دُنْ * سَيَاكَ بِالْقُوَّةِ الْهَسِيرِ

لضعفه وكبر منه ولكن اقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه ، أصله من البصرة
فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك
ابن مروان فهرب إلى عُمان وكان يمتقل في البلاد ويتوارى حتى مات .
انظر الأغاني ح ١٨ ص ١٠٩ وخزانة الأدب ح ٥ ص ٣٥٠ .

(١) ديوانه ص ٤٨ .

فالتمس يا أخى الرزق الحلال ولو صرت تأكل من ردىء الطعام وتبتعد عن
ملذاته لكى تنجو من عذاب السمير يوم القيامة ٥ وتوجه إلى الله فى طلب الرزق فهو
الرزاق الوهاب وابتنع عن دور الأمراء والوقوف على أعتابهم وزيارتهم طلبا للبهات
والأعطيات فان زيارتها غير زبارة ٥ تقوى الدين وتنقصه ٥ وتدنى المرء من الآثام
فاحذر ذلك ٥ قبل أن تموت ٥ وترك هذه الدنيا ، وارضى بالقوت اليسير من المكسب
الحلال وتحمل شظف العيش فى سبيل ذلك ٥

وعبد الله بن أيوب النخعي (١) يوصى المرء المسلم أن لا يخضع لمخلوق وأن
يفتح بما أعطاه الله سبحانه وتعالى وأن يتوجه إليه وحده فى طلبه الرزق يقول (٢) :

لَا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
فَإِنَّ ذَاكَ مُهْرٌ بِكَ بِالْدِّينِ
وَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
فَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ
أَمَّا تَرَى كُلَّ مَنْ تَرَجَّوْا وَتَأَمَّلُوهُ
مِنَ الْخَلَائِقِ مَسْكِينُ ابْنِ مَسْكِينِ

...

٤ يقول الشاعر : لا تطلب نوالا من أحد غير الله سبحانه وتعالى ولا تخضع
لمخلوق وتتذلل له لهجود عليك فإن ذلك مما ينقص الدين ، ولكن ارجب إلى الله
سبحانه وتعالى واطلب منه العطاء والنوال فهو المعطى لذلك وأمره للشئ ٥ كن
فيكون ٥ فكل الخلائق مساكين وفقراء إليه فلا تخضع لأحد منهم وتضرع إلى

(١) هو عبد الله بن أيوب مولى نهم شاعر عباسى أحد الخلفاء المجان اتصل
بالبرامكة ومدحهم واتصل بيزيد بن يزيد فلم يزل منقطعا إليه حتى مات بيزيد
انظر الاغانى ج ٢٠ ص ٤٤ .

(٢) الاغانى ج ٢٠ ص ٥٩ .

المولى ليغنيك عنهم كما اغناهم .

وأبو العتاهية يوصي الإنسان باليأس مما في أيدي الناس والرجاء فيما عند الله سبحانه وتعالى وحده يقول (١) :

يَإْيَاسَ مِنَ النَّاسِ وَانْجِ الْوَاحِدَ الصَّدَّادَ
فَإِنَّهُ هُوَ أَعْلَى مِثَّةٍ وَيَدَا

فلا تنتظر عطاء من أحد ولا ترجوهم واليأس من الناس جميعاً وتوجه إلى الله الواحد الصمد الذي يعطي الخلق جميعاً ولا يضره شيء وهو أكرم مِثَّةٍ من الخلق وأكرم منهم .

أما عبد الله بن المعتز فإنه يتساءل لماذا الحرص على الدنيا والتهاافت عليها واللهث وراءها والله هو الرازق يقول (٢) :

أَيَا بَنِي الدَّهْرِ كَمْ ذَا الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ
اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ لَا الْحِرْصُ وَالتَّعَبُ
أَمَّا حَيَاءٌ أَمَّا دِينٌ أَمَّا رِغْبَةٌ
أَمَّا تَفَكُّرٌ مَعْقُولٌ أَمَّا أَدَبٌ
...

لماذا هذا الجهد والتعب وراء الدنيا والحرص على جمعها ، والله هو الرازق الوهاب وليس الحرص والتعب والنصب من أجلها ، وكيف ينصب فسي طلبها المسلم . . أما يستحي من الله ويكل أمر الرزق إليه أما دين يردعه عن ذلك التهاافت والاقبال على الدنيا ، أما سكون يلهجاً إليه وينتهي عن الحرص ، أما يفكر بتدبير فيرى أن كل شيء بيده سبحانه وتعالى فيلهجاً إليه ويترك الحرص ، أما

(١) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ص ١٢١ .

(٢) ديوانه ج ٢ ص ٣٨١ .

يتأدب المرء مع الله فيتوجه إليه بالدعاء لطلب الرزق بدلا من الحرص والتعب .

وفي الختام نرى أن الشعراء قد أوصوا المسلم بالقناعة وترك الطمع ،
والتهافت على الدنيا وعدم الجزع في حالة العسر لأن العسر يتبعه اليسر ،
وكذلك أوصوا بعدم الاستجداء من أحد أو طلب الرزق من المخلوق والتوجه إلى
الخالق فإنه الرازق للعباد كلهم ، والعباد أجمع فقراء إليه الغني منهم
والفقير ، وأوصوا بالبعد عن دور الأمراء وعدم الوقوف على أعتاب بيوتهم ، طلبا
للرزق والتوجه إلى الله ، وأوصوا بالحرص على الرزق الحلال ولو كان يسيرا .



الفصل السابع
من الوصايا الحربية

١. الحرس على نفوس المعركة.
٢. الحرس على الأغذية والنار.
٣. الابتعاد عن انقلاب العدو والحرس على الكسوف والمعرفة.

الوصايا الحربية

لقد احتل الشعر الحربى المكان الفسيح فى ديوان الشعر العربى ، وبعد هذا الشعر من أروع وأجمل الشعر العربى لما يحتويه من معان جليلة مثل القسوة والشجاعة ولما فيه من إباء للضميم وعدم الذل والهوان ؛ وللصدق الفنى الذى يكسبه الشاعر شعره لتفاعل عاطفته ووجدانه مع الموقف الذى يذكره فى قصيدته الحربية التى لونها بخياله الواسع فيجسد المعركة أمام القارئ أو السامع فيتمعه بنقله إلى جو المعركة وسماع صهيل الخيل ووقع الرماح وضرب السيوف .

وقد كانت الحروب منتشرة فى الجزيرة العربية بين القبائل العربية أو بين العرب والفرس ومن أهم وقائعهم مع الفرس (يوم ذى قار) الذى انتصر فيه العرب على الفرس .

وهذه الحروب كانت من أسباب كثرة الشعر العربى يقول ابن سلام :
(...) وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم^(١) .

وبعد هبوط الروح وبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهجرته إلى المدينة النبوية قامت المعارك والغزوات بين الإسلام والكفر ، وإذا كان سبب الحروب فى الجاهلية العصبية القبلية فى الغالب فإن سبب هذه الحروب فى الإسلام سبب دينى هدفه إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وتتابع الحروب فى عصر الخلفاء الراشدين مثل قتال المرتدين والفتوحات الإسلامية التى امتد زمنها

(١) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٥٩ محمد بن سلام الجمحى قرأه وشرحه محمود شاكر .

حتى الدولة الأموية ، وفي العصر العباسي اشتعلت الحروب مع الروم وكل هذه المعارك أنتجت الشعر الحربي الغزير ولكن الذي سأتناوله في هذا البحث هو " شعر الوصايا الحربية " .

وأقصد بالوصايا الحربية الشعر الذي يوجهه أحد الشعراء إلى أفراد الجيش أو أفراد المجتمع يحثهم فيه على الشجاعة والاستبسال في القتال أو أخذ الحذر والاستعداد للمعركة ، وكذلك الوصية بأخذ الثأر وعدم قبول الدية وسأبين ذلك بالتفصيل ان شاء الله .



١ - الحث على خوض المعارك :

لقد حث الشعراء على خوض المعارك والاصطلاح بنارها لأن في ذلك النصر والظفر والعز أو الموت ميتة شهيدة لا يلحق صاحبها عار أبداً بهروبه من المعركة أو جبنه بل يعد ذلك مفخرة له وعزا وشرفا .

فبشامة بن عمرو^(١) يوصي قومه بخوض غمار الحروب وعدم الرضا بالدنيئة والذل يقول^(٢) :

وَحُبِّرْتُ قَوْمِي وَلَمْ أَلْقَهُمْ
أَجْدُوا عَلَى ذِي شَوَيْحٍ حُلُولاً
فَإِذَا هَلَكْتُ وَلَمْ يَأْتِيَنِي
فَأَبْلُغْ أَمَائِلَ سَهْمٍ رَمُولاً
بِأَنْ قَوْمُكُمْ خَيْرٌ وَأَخْلَتَنِي
مِنْ كَلَنَاهُمَا جَعَلُوهَا عُدُولاً
خَزَى الْحَيَاةِ وَحَرَبُ الصَّدِيقِ
وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَاماً وَبَيْلاً
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ أَحَدَاهُمَا
فَسِيرُوا إِلَى الْحَرْبِ سَبِيلاً

- (١) هو بشامة بن عمرو بن هلال بن سهم بن مرة الغطفاني ، شاعر جاهلي محسن مقدم ، خال زهير بن أبي سلمى ، ولد مقعدا ولا ولد له وكان مكثر من المال ، كان من أحزم الناس رأيا فكانت غطفان تستشيرُه إذا أرادت الغزوه وقد عده ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين ولعل هذا وهم منه ، فقد أورد أخبارا له تدل على أنه جاهلي ومات في الجاهلية .
انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ٢ ص ٢١٨ والمفضليات ص ٥٥ .
والاعلام ج ٢ ص ٥٣ .
المفضليات ص ٥١ .
- (٢)

وَلَا تَقْعُدُوا وَيَكُفُّ مَنَّةُ
كَفَى بِالْحَوَادِثِ لِلْمَرْءِ غَوْلًا
وَحُشُّوا الْحَرْوبَ إِذَا أُوقِدَتْ
رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا فُحُولًا
وَمِنْ نَسِجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٍ
تَرَى لِلْقَوَاضِي فِيهَا صَلِيلًا

...

فالشاعر يقول : أتانى خبر أن قومى قد أحدثوا حدثا جديدا فرحلوا
إلى ندى شوميس فيها أيها الرسول إن هلكت ولم ألقهم فأبلغ أعقل بنى سهم هذه
الرسالة وقل لهم : اعلّموا أن قومكم خيروا طريقين إما محاربة غطفان وهم أصدقاء
لهم ، أو اكتساء العار أبد الدهر بنقضهم الحلف الذى بينهم وبين الحرقة من جبهة
وكلا الأمرين سوء فى سوء العاقبة ، ولكن إذا كان لابد من أحدهما فاركبوا إلى
الموت غير خائفين ولا وجلين واستمعينوا بالصبر حتى تنتصروا أو تقتلوا قتلة شريفة ،
وإياكم والقعود عن القتال وتركه وأنتم قادرون على خوض غماره خوف القتل والموت
فإن النايما ستغتيال الأحياء فى أى وقت وعلى أى طريقة ، وحضوا على إيقاد الحرب
وزيدوا فى إشعالها باستعانتكم بالرماح الطوال التى تقتلون بها الأعداء ، والخيول
العناق السريعة التى تمهينكم على الكر والفر ، واستمعينوا أيضا بالدروع المنسوجة
حلفتين حلفتين التى تنسج السيوف القواطع عنها فلا تؤثر فيها ولا يسمع إلا
صليلها .

وهند بنت النعمان ^(١) تحض عمرو بن ثعلبة الشيباني فى يوم ندى قار

(١) هى هند بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمية نبيلة فصيحة
ولدت ونشأت فى بيت الملك بالحيرة ، تزوجها عدى بن زيد فلما قتل
ترهبت ولبست المسوح وأقامت فى دير بنته عرف باسمها بين الحيرة والكوفة

على القتال وتحسه لذلك تقول (١) :

حَافِظُ عَلَى الْحَسَبِ النَّفْسِ الْأَرْقَعَ
يَمْدُ جَجِينٍ مَعَ الرِّمَاحِ الشُّرْعِ
وَصَوَارِمِ هِنْدِيَّةٍ مَقُولَةٍ
بِمَوَاعِدِ مَوْصُولَةٍ لَمْ تَنْفَعِ
وَسَلَاهِبٍ مِنْ خَيْلِكُمْ مَعْرُوفَةٍ
بِالسَّبْقِ عَادِيَةٍ بِكُلِّ سَهْدَعٍ (٢)
وَالْيَوْمَ يَوْمَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَمِنْهُمْ
فَاصْبِرْ لِكُلِّ شِدِيدَةٍ لَمْ تَدْفَعْ
يَا عَمْرُو يَا عَمْرُو الْكَفَاحَ لَدَى الْوَعَى
يَا لَيْتَ غَافٍ فِي اجْتِمَاعِ الْمَجْبَعِ
أَظْهَرَ وَفَاءً يَا فَتَى وَعَزِيمَةً
أَتَضِيْعُ مَجْدًا كَانَ غَيْرَ مُضِيْعٍ
...

فالشاعرة تقول موجهة الخطاب لعمرو بن ثعلبة الغيباني حافظ على الحسب الزاكي الرفيع وصنه ، ولا تفرح لأحد أن يدنسه ، فلا تخضع للفرس وتستسلم لهم فيدنسوا الشرف بل قاتلهم بكل رجل شاكى السلاح شارب الرمح ، واضربهم بكل سيف هندي باتر قد حمله رجل شجاع يضرب به يمينه ويسرة ، فلا ينب السيف من

ولما دالت دولة اللخمين ودخل خالد بن الوليد رضى الله عنه الحيرة زارها في دبرها وعرض عليها الاسلام فأبت واعتذرت عن ذلك بكبر سننها ، وزارها كذلك المغيرة بن شعبه وعبيد الله بن زياد وهاني بن قبيصة ثم الحجاج لما قدم الكوفة ، عمرت طويلا وعيت ، ماتت في دبرها حوالي سنة ٢٤هـ انظر الأغاني ج ٢ ص ١٢٨ والأعلام ج ١ ص ١٨ وشاعرات العرب ص ٦٥

(١) شاعرات العرب ص ٦٢ تحقيق عبد البديع صقر ط الأولى سنة ١٣٨٢هـ نشر المكتب الاسلامي دمشق .

(٢) السهدع : الرجل الكريم الشرف الشجاع .

بده . واستمن بالخيال العتاق سرهجة الجرى التى ركبها الرجال الأقوياء .
 الفجمان . واعلم أن اليوم هو يوم الفصل بينك وبين عدوك . فاصبر عند الشدائد
 فأنت فتاها وتافع الأعداء فى أرض المعركة فأنت اللبث عاديا على الأعداء ، وأظهر
 عزيمة قوية لحرب هؤلاء الفرس الغزاة ووفاء عظيم لآبائك وأجدادك بحفاظك
 على المجد الذى أورثوك إياه فكيف تضع مجدا حقه الرفعة وقد حافظ عليه من
 سبقك " وكان غير مضيع " .

والنمر بن تولب المكلب يوصى المرء بالشجاعة ويحثه على الإقدام فى يوم
 الوغى لأن الموت سيصادف المرء أينما كان يقول (١) :

فَأَوْصِيَ الْفَتَى بِابْتِيَاءِ الْعُلَى
 وَأَنْ لَا يَخُونَ وَلَا يَأْتِمَا
 وَيَلْبِسُ لِلدَّهْرِ أَجْلَالَهٗ
 فَلَنْ يَبْنِي النَّاسُ مَا هَذَا مَا
 وَإِنْ أَنْتَ لَأَقْبِتَ فَمَنْ نَجَّدَ
 فَلَا يَنْهَيْتُكَ أَنْ تَقْدِمَا
 فَإِنَّ الْمَيِّتَةَ مِنْ بَعْضِهَا
 فَسَوْفَ تَصَادِفُهُ أَيْنَمَا
 وَأَنْ تَتَخَطَّأَكَ أَسْبَابُهَا
 فَإِنَّ قُصَارَاكَ أَنْ تَهْرَمَا
 ...

فأوصيك أيها الفتى أن تبني لك مجدا وعزا وابتنع عن الخيانة والآثام التى
 تنقل من شأن المرء وتحط من قدره . واستعد لكل حال من حالات الدهر بما

(١) شعراء إسلاميون ص ٣٧٨ .

ينبغي أن يُستعد له، وحافظ على شرفك ومجدك فإنك إن ضيعته فلن تجد من يردّه عليك وما هدمت بيدك فلن يبنيه الناس لك .

واعلم أن من تمام العز والشرف الشجاعة والإقدام ، فإن أنت لاقيت قتالا فلا تنهيب خوفاً غيابه وتقدم في الحرب ولا تخش المنية ، فإن الموت نازل بكل حي وسيأخذه في أي مكان كان سواء في حرب أم سلم ، وكيف تجبن وتخاف الموت لك بالمرصاد فإن تخطت أسبابه فالهزم بانتظارك وينتهي بك إلى الموت ، فعليك أيها الإنسان أن تكون رابط الجأش قوى العزيمة ذا بأس شديد في المعارك والحروب .

أما ضرار بن الأزور (١) فإنه يحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله لكسب مرضاته سبحانه وتعالى وفي ذلك يقول (٢) :

أَلَا قَاخِطُوا نَحْوَ اللَّثَامِ الْكَوَاذِبِ
لِيُتْرَكُوا سَيُوفًا مِنْ دِمَائِ الْكَثَائِبِ
وَرَدُّوا عَنِ الدِّينِ الْمُعَظَّمِ فِي السَّوَرِ
وَأَرْضُوا إِلَهَ الْعَرْشِ رَبَّ الْمَوَاهِبِ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَتَنَفَّسُ عِنَقَ رَسْمٍ
مِنَ النَّارِ فِي يَوْمِ الْجَزَا وَالْكَارِبِ

(١) هو ضرار بن مالك (الأزور) بن أوس بن خزيمة الأسدي أحد الأبطال فـسـ الجاهلية والاسلام له صحبة فكان شاعرا - وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد ، وقد أبلى بلاء حسنا يوم اليمامة ، اختلف في موته فقيل استشهد باليمامة وقيل بأجناد بن وقيل إنه نزل بحران لمات بها .
انظر ترجمته في الإصابة ج ٣ ص ٤٨١ ، وخزانة الأدب ج ٣ ص ٣٢٥ ، والاعلام ج ٣ ص ٢١٥ .

(٢) فتوح الشام للوافدي ص ٢٦٨ قدم له عمر أبو النصر ط الأولى سنة ١٩٦٦م
نشر المكتبة الاهلية بيروت لبنان .

فَيَحْمِلُ هَذَا الْهَوْمَ حَمْلَةً ضَمَنْ
وَيُرْفِئُ رَسُولاً فِي الْوَرَى غَيْرَ كَاذِبٍ

...

فشدوا أيها المسلمون على هؤلاء الكفار الذين كذبوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لتفضوا عليهم وترووا سيوفكم من دمائهم ، وذودوا عن الدين الحنيف الذي نعظمه جميعاً فإن قتال الكفار من أعظم القربات التي تقرب الإنسان من الله وترضيه عنه ، فمن أراد منكم أيها المحاربون مغفرة الله سبحانه وتعالى وعتقه من النار في يوم الجزاء والحساب فليقاتل هؤلاء الكفار بقوة ورباطة جأش وليحمل عليهم بشجاعة كأنه أسد ضار يهدد المفتك بهم .

وخالد بن الوليد رضي الله عنه قائد الجيوش الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يهيب بالمحاربين لبذل أرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى يقول (١) :

هَبُّوا جَمِيعاً إِخْوَتِي أَرْوَاحَا
نَحْوَ الْمَدُونِ تَبْتَغِي الْكَفَا
نَرْجُو بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالنَّجَا
إِذَا بَدَأْنَا دُونَهُ أَرْوَاحَا
وَيَرْزُقُ اللَّهُ لَنَا صَلاَحَا
فِي نَصْرِنَا الْغُدُوَّ وَالرَّوَا

...

فخالد بن الوليد يوجه رجاله ويحثهم على القتال فيقول لهم : هيا يا إخوتي نهب أرواحنا في سبيل الله فنشد على الكفار ونقاتلهم ، ونخوض غمار الحروب بغية الفوز إما بالشهادة في سبيل الله ودخول الجنة ، أو النصر على

(١) فتح الشام ص ١٥٢ .

للعداء الاسلام ه وكلا الأمرين لن يحصل إلا اذا بذلنا دونهما أرواحنا وهي أغلى ما نملك واحتسبناها في سبيل الله ه والله سبحانه وتعالى سيثيبنا على قتالنا للأعداء وسيجعل الدائرة لنا والنصر حليفنا في غدونا ورواحنا .

ونلاحظ الفرق في الحث على الشجاعة والقتال بين العصرين الجاهلي والاسلام ه ففي الجاهلية نرى أن نتيجة الشجاعة إما النصر والسيطرة على العدو أو الموت ميتة شريفة في ساحة المعركة .

أما في المصور الإسلامية فإن المجاهد سيفوز بأحد أمرين كل منهما غاية كل مسلم وهما الاستشهاد في سبيل الله ومغفرته ومرضاته ودخول الجنة أو الانتصار على القفار ونشر الاسلام وبيان للناس .

ويقول أحد أبناء الخنساء الشاعرة (١) يحث المجاهدين على خوض القتال للفوز بأحد الحسينين (٢) :

فبَادِرُوا الْحَرْبَ كَأَنَّ فِي الْعُدَّةِ
إِمَّا بِفَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبِدِ
أَوْ مَيْتَةٍ تُورِثُكُمْ غَنَمَ الْأَبَدِ
فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرَّغْدِ

...

أسرعوا أيها الأخوة إلى قتال الأعداء الكفرة في شجاعة ورباطة جأش ه بعد أن تستعدوا بلبس عدة الحرب لكي تفوزوا بإحدى الحسينين ه الانتصار على الأعداء انتصاراً يَبْهِجُ النفس ويسرى عنهما الغموم ه أو الاستشهاد تحت ظلال

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة ص ١٧٠ .

السيوف في أرض المعركة فتغنموا الغنيمة الأبدية التي لا تزول؟ غفران الله لكم ودخولكم الجنة الفردوس التي وعد الله بها عباده المتقين ، فنهاية المعركة فسي صالحكم إما الفوز والنصر وإما الاستشهاد وكل منهما أمر يرغب فيه كل مقاتل مسلم .

ويقول شبرمة بن الطفيل ^(١) في الحث على القتال وعدم الخوف من الموت : ^(٢)

لعمري ليرمى عد باب ابن مخسر
أغنّ عليه البارقان مفوف
أحب إليكم من بيوت عيادها
سيوف وأرماع لهنّ حفيف
أقول لفتيان ضرار أبوهم
ونحن بصحراء الطمان وقوف
أقيموا صدور الخيل إن نفوسكم
لمفاتي يوم ما لهنّ خلوف
...

فالشاعر يعزّز في أول أبياته بأناش فعدوا عن الحرب وتركوا الأخذ بالنار فيقول ساخرا منهم : لعمري إن مكوثكم عند نساء كأنهنّ من طيبة ابن محرز صوتها أغنّ محلاة بالأساور والذهب أحب إليكم من خوض المعارك وترك البيوت العامرة بالنساء الجميلات إلى بيوت الحرب التي عاها السيوف والرماع تسمع من خلالها أصوات الريح اذا مرت بها .

(١) لم أجد له ترجمة الا ما نقله محقق الحماسة عن كتاب الجرح والتعديل أنه روى عن علي وعبد الله بن مسعود وهذا يفيد أنه كان من التابعين .
انظر الحماسة ج ١ ص ٣٥٧ .
(٢) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٣٥٧ .

ولكن دعك من هؤلاء الكسالى وانظر إلى هؤلاء الفتيان الذين وقفوا في
ساحة المعركة للطعان والقتال وأبلغهم وصيتى هذه ، أثبتوا أيها الأبطال في
ساحة القتال وأظهروا الصبر والجلد ولا تتلاعب فيكم أهواؤكم فتجنبون وتغرون من
المعركة خوف الموت ، فإن لكل نفس كتابا مؤجلا لا تتقدمه ولا تتأخر عنه .

وأبو هلال العسكري^(١) بحث المرء على الشجاعة والإقدام ويزجره عن الجبن
خوف الموت يقول (٢) :

لَا تَجْبَتَنَّ فَكَمْ جَبَانٍ مَخْجِمٍ
قَدْ مَاتَ مَوْتَ الْبَاسِلِ الْمَتَوِّبِ
وَلَيْسَ فِي الْأَعْدَاءِ صُلْبًا صُلْبًا
وَلَيْسَ لِلْجَلَسِيِّ بِقَلْبٍ قُلُوبِ
وَلَيْسَ فِي تَعَبٍ يَرُوحُ فِي رَاحَةٍ
إِنَّ الْأُمُورَ مُرِيحًا فِي الْمَتَعَبِ
...

فلا تتهيب أيها الانسان خوفا الممارك وتجنب خوفا من الموت أو القتل
فكم جبان هرب من أرض المعركة خوف الموت ولكنه له بالمرواد فمات مثل الرجل
الذى البطل ، وليلق منك الأعداء كل قتال شديد ، فاضربهم بالسيف الصقل
الذى قد شحذ حتى صار نافذا صارما .

واسم أيها الانسان للمعالي بقلب بصير بتدبير الأمور وتقليبها ، واغد
إلى الأمور الجليلة التى لا تنال إلا بالتعب والمشقة لكى تصل إلى ذرى المجد
وتذوق طعم الراحة هناك فإن المريح من الأمور لا ينال إلا بالتعب والجهد .

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، عالم أديب شاعر صاحب التصانيف
المشهورة منها كتاب الصناعات ، الأوائل ، ديوان المعاني ، وله ديوان شعر مطبوع
توفي حوالي سنة ٤٠٠ هـ . انظر ترجمته في : معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، ص ٢٥٨
وخزانة الأدب ، ص ١ ص ٢٣٠ .

(٢) ديوان أبي هلال العسكري ، ص ٧١ ، جمعه وحققه جورج قنانه ، المطبعة التعاونية
دمشق سنة ١٤٠٠ هـ .

وبعد هذه المسيرة مع شعر الوصايا الحربية في جانب الحث على خوض المعارك مع الشجاعة والإقدام والبهمة عن الجبن والاحجام نرى أن الشعراء قد أوصوا المقاتلين بخوض الحروب دفاعاً عن النفس والعرض والشرف والسمعة وأوصوهم بالاستعانة بأدوات الحرب مثل الدروع والسيوف الصلبة والخيول السريعة .

وأوصوا المرء الذي يصادف معركة أن يخوض غمارها ولا يجبن ويهرب عنها خوف الموت لأن النية له بالمصايد في أي زمان ومكان كان .

ولقد أوضح الشعراء الجاهليون للمحاربين أن نتيجة الشجاعة والإقدام هي الظفر أو الموت مهنة عزيزة في ساحة المعركة .

أما في المصور الإسلامية ^{فقط} تغيرت النظرة فبعد أن كانت غاية الحروب دينوية فقط ونتيجتها إما النصر والاستيلاء أو الموت بعيداً عن الذل والعار أصبحت غاية الحرب دينية ونتيجتها إما الفوز والظفر ونشر الإسلام وإما الاستشهاد في سبيل الله .

وقد أوصى الشعراء المجاهدين ببذل الأرواح في سبيل الله لإرضاء الله والدود عن الدين الحنيف .

وقد بين الشعراء للمقاتلين أن الموت لا يخطئ الجبان ويذهب إلى الشجاع بل الجميع سيوتون عندما تحين آجالهم لا يستأخرون عنها ساعة ولا يستقدمون .

قتال ونزال يحس في نهاية الأمر أنه ولد من جديد ولم يطر من عمره شيء .

وكبشة أخت عمرو بن معدى كرب (١) توصى قومها وتحثهم على أخذ ثأرهم من قتلة أخيها عبد الله وتنهاهم عن قبول الدية تقول (٢) :

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا حَانَ يَوْمُهُ
إِلَى قَوْمِهِ لَا تَغْلُوا لَهُمْ دِي
وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَارًا
وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مُظْلِمٍ
وَدَعَا عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مَسَالِيمُ
وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شَيْءٍ لِمَطْعَمٍ
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَأَلَوْا وَاتَّذَبْتُمْ
فَمَشُّوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمُسْلَمِ
وَلَا تَكْرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نَسَائِكُمْ
إِذَا ارْتَمَلْتَ أَغَابَهُنَّ مِنَ اللَّهِ

...

فالشاعرة توجه الخطاب لقومها على لسان أخيها عبد الله فتقول : لما دنا أجل عبد الله وقرب أرسل إلى قومه رسالة يوصيهم فيها بقوله : إياكم أن تأخذوا بدل دى دية وغلا فإن ذلك عار عليكم ، فكيف تأخذون دية وضبعة من صفار الابل والأبكار تبغون الغنى منها وأترك أنا في قبر مظلم ، فإن أخذكم بالثأر ينسبر قبرى ويضيئه (٣) .

(١) كبشة بنت معدى كرب الزبيدي ، شاعرة صحابية وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم مع ابنها معاوية بن حديج ، وأبياتها هذه التي تحض فيها أخيها عمرو فالتها في الجاهلية .

انظر الإصابة ج ٨ ص ٩٢ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢١٨ .

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج ١ ص ٢١٧ تحقيق أحمد أمين ، وبعد السلام هارون الطبعة الثانية ، طبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ

(٣) هذا من اعتقاد انهم في الجاهلية . انظر شرح الحماسة للمرزوقي ج ١ ص ٢١٧

ودعوا عنكم أخى عمرا • فإنه سيرضى بالدية • ليستريح من الحرب والقتال
وأخذ الثار وما أدرى كيف يقبل الدية ويأخذ تلك الإبل وبطنه لا يهزى عن شبر
يحتلى • بالنزر اليسير من الطعام •

وإن أنتم أيها القوم لم تقتلوا قاتلى وتقيده بدمى • فامشوا أذلاء مهانين
بآذان مجدوعة كآذان النعام • ولا تردوا المياه إلا بعد ورود نسائكم لـ
واغتسالهن به من وضر الحيف والادى وذلك نكابة بكم فليست بأهل للمكارم والرفعة
بل أنتم أهل للذلة والمهانة • وقد رضيت بها بقبولكم الدية •

ويقول • جعفر السبيعي ^(١) مخاطبا أحد ملوك اليمن وهو القيل زود
ابن يوسف يحثه على أخذ الثار من قبيلة حرب بن ود لقتلها قتيلين منهم ^(٢) :

فلا وأبيكم سيف بن عمرو
كريم الخميم عمرو ذى كُبار
وعفكم يزهى أخى المعالى
إذا عدَّ المكارم للفخار
لئن يترك بنو حرب بن ود
على قتل المزهى والمرار
لنبتغين بحرب يوم غد
نرى فيه الكواكب بالنهار
فلا تقعد على ذل لملك
فإن الذل أكبر كل عار

(١) جعفر بن عرار بن مر بن السبيع الهمداني • لم أجد له سوى هذه الترجمة •
انظر شعر همدان فى الجاهلية والإسلام ص ٢٤٦ •

(٢) شعر همدان فى الجاهلية والإسلام ص ٢٤٦ جمع وتحقيق د / حسن عيسى
أبو ياسين • الطبعة الأولى • نشر دار العلوم بالرياض سنة ١٤٠٣ هـ •

فَمَلِكٌ قَبْلَ مُلْكِكَ قَدْ تَوَلَّى
كَمَلِكِ الْقَبْلِ يَحْمَدُ ذِي مَقَارِ
...

فالشاعر يوجه وصيته إلى الملك فيقول له : إن آباءك ملوك كرام ذوو سجايا عظيمة يغيثون الملهوف ويأخذون بالثأر ، وكذلك عليك يزيد صاحب المعالي والفكر الرفيع ، وأنت أيها الملك سر على خطاهم ، واخذ بثأر هذين القتيلين ، المزيّن وعرار .

فتريد حرباً ضروساً نوّدها على بنى حرب بن ود الذين قتلوهما ، يختلط فيها الليل بالنهار فيرون النجوم في الظهيرة من كثرة تطاير الغبار في السماء فيحجب نور الشمس ، وإياك والتواني أيها الملك عن أخذ الثأر فإن ذلك عار وذل لا يذهب أبداً .

واعلم أيها الملك أن سلطانك سينتهي ويؤول في يوم من الأيام مثل ما ذهب غيره ولن يبقى لك منه سوى المفاخر ، فلا تدنس ملكك بعار الجبن والعجز عن أخذ الثأر فيصير ذلك وصمة في جبينك إلى الأبد .

هذه النصوص السابقة جميعها من العصر الجاهلي أما في عهد صدر الإسلام فإننا نرى أن الشعراء قد أقلموا عن هذا الأمر في الغالب ... ولعل ذلك راجع إلى التمسك المتين بالكتاب والسنة والابتعاد عن العصبية القبلية التي تذكى الحروب في غالب الأحيان ، والرضا بما يراه الوالي أو القاضي من قصاص أو عقاب .

ولكن لما قامت العصبية القبلية وأثيرت مرة أخرى رجع الشعراء إلى الحث على أخذ الثأر وعدم القناعة بالدية .

فهذا الفرزدق^(١) يحث بنى تميم لأخذ الثأر من بنى أمية الذين قتلوا

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ابن دارم التميمي ، عده ابن سلام في الطبقة الأولى من الإسلاميين في طبقاته ، وقد نسب الهجاء بينه وبين معاصره وابن قبيلته جرير بن عطية ، واختلف الناس في تقديم أحدهما على الآخر . مات سنة ١٦٠ هـ ويقال : إن سبب موته مرضه بسذات

أحد أفراد القبيلة يقول (١) :

يَا لَ تَيْبٍ إِلَّا لِلَّهِ أَمَّكُمْ
لَقَدْ رُمِيتُمْ بِإِجْدَى الْمُصِثَّاتِ (٢)
فَاسْتَشْعِرُوا بِثِيَابِ اللُّؤْمِ وَاعْتَرِفُوا
إِنْ لَمْ تَرَوْعُوا بَنِي أَنْصَى بِخَارَاتِ
وَتَقْتُلُوا بِفِتْنَى الْفِتْيَانِ قَاتِلَهُ
أَوْ تُقْتَلُونَ جَمِيعاً غَيْرَ أَفْئَاتِ
لِلَّهِ دَرٌّ قَتْنَى مَسْرُوءٍ بِأَمْسَلَا
مَهْقَمَ الْوَجْهِ مَكْسُورَ الثَّنَاتِ
رَاخُوا بِأَيْبَى مِثْلِ الْبَسْدِ بِحُلَّةِ
غَنَمِ الْعُلُوجِ بِأَقْبَادِ مُذَلَّاتِ
...

فالشاعر يقول : يا بني تميم هُتُّوا من رقدتكم فقد رمتكم بنو أنصى بداهية
دهباء فقتلت أحد أفراد قبيلتكم ، ظلما وبغيا ، فوجدوا صغوفكم ، وشنوا الغارات
على بني أنصى وروعوهم لكي تأخذوا بثأركم وتقتلوا واتركم ، أو تهلكوا جميعا
فتسلموا من العار والذلة .

وإن لم تأخذوا ثأركم وركنتم إلى الكسل ورضيتم بالدية ، فالبسوا ثياب اللؤم
واعترفوا بعجزكم عن أخذ الثأر .

ويحرض الشاعر في أبيات أخرى ، بني تميم على أخذ الثأر ويحضهم على
قتال باهلة حتى يتم لهم ذلك ويحذرهم من قبول الدية لأنها رمز للذلة والمهانة

= الجنب .

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ، ج ١ ص ٢٩٨ ، الشعر والشعراء ، ج ١ ص ٢٧٨
والأغاني ، ج ١ ص ٣٢٤ .

(١) ديوانه ، ج ١ ص ١٨٠ ضبطه وشرحه إيليا حاوي ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م ، دار
الكتاب اللبناني بيروت ، لبنان .

(٢) المصطلات : الدواهي .

يقول (١) :

أَجِيبُوا صَدَى جَلْدٍ إِذَا مَا دَعَاكُمْ
 بِجِدِّ تَسَائِلِ التَّلَاجِمِينَ فُحُولُهَا
 عَلَيْهَا حِمَاةٌ مِنْ نُمُورٍ بَيْنَ عَامِرٍ
 تَعَادَى بِهَا مَسْبَانُهَا وَكُحُولُهَا
 أَتَقْتُلُكُمْ فَيُغَيِّرُ جَرِمَ عَيْبِدُكُمْ
 وَفِيكُمْ رَوَابِ عَامِرٍ وَفُحُولُهَا
 فَإِنَّ الَّتِي بِأَبْنَى الْأَسِيرِ عَلَيْكُمْ
 لِقَاصِدَةٌ لِلْحَقِّ ضَاحٍ سَبِيلُهَا
 فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُ أَبَاعِرَ تَفْشَرِي
 بَوَكِيٍّ وَلَا سُودًا تَصِيحُ فُحُولُهَا (٢)
 وَإِنْ تَقْتُلُوا بِالْفَأْسِ يَحَى قَتِيلُكُمْ
 وَإِلَّا فَإِنَّ الْفَأْسَ عَارٌ قَتِيلُهَا

...

فالفرزدق يوجه هذه الوصية إلى بني نمير فيقول لهم : من الواجب عليكم أن تجيبوا صدى فتاك جلدك الذي قتلت به أهله ، فأشعلوا الحرب عليهم ، وتواثبوا على الجرد المسومة لكي تأخذوا ثاركم وتقيدوا من وانركم فهاى حتى تقتلكم بأهله وهى فى مكانة المعبد بالمقابلة لمزكم وهرقكم .

واعلموا أن هناك أسبابا كثيرة واضحة تمنعكم من قبول الدية وأهمها عزكم وفضائلكم وإبادوكم للضميم ، ومن صور إباء الضيم أخذ الثأر ، فإياكم والرضى بالدية . فإنكم لستم بحاجة إلى ابل تشتري منكم بثمن بخس أو مال كثير يوتى به إليكم وبعضه

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٦٦ .
 (٢) السود : المال الكثير .

رائف • ولكن اقتلوا القاتل بالقتل واستخدموا الأداة التي قتل بها فتاكم فإن
تقتلوه بالفأس يحيا فتيلكم ويسكت صدى هامته •• وان لم تفعلوا ذاك فإن قتل
الفأس عار وخزي عليكم •

ويتواصل الحث على أخذ النار فعبد الرحمن بن مسافع^(١) يوصي بني عكل
على أخذ ثأرهم من بني أسد لقتلهم أحد أفراد قبيلتهم وكان المقتول نديما
للشاعر يقول^(٢) :

ويا راكباً إما عَرَفْتَ فَبَلِّغْ
على نَائِبِهِمْ يَتَى الْقَبَائِلَ مِنْ عُكْلٍ
بِأَنَّ الدِّيَّ أَمَتَتْ تُجَبِّجُ فَقَمَمَ
إِسَارُ بِلا أَسِرْ وَقَتْلُ بِلا قَتْلٍ
وَكَيْفَ تَنَامُ اللَّيْلَ عُكْلٌ وَلَمْ تَقُلْ
رَضَى قَوْدٌ بِالسَّهْرِى وَلَا عَقْلٍ
فَلَا صُلَحَ حَتَّى تَنْحِطَ الْخَيْلُ فِي الْقَنَا
وَتَوْفِدَ نَارُ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ
وَجُرْدِ تَعَادَى بِالْكَفَا كَانَتْهَا
تُلاحِظُ مِنْ غَظٍّ بِأَعْيُنِهَا الْقُبُلَ
عَلَيْهَا رِجَالُ جَالِدٍ يَوْمَ مَنَيجٍ
ذَوَى الثَّاجِ فَزَابُو الْمُلُوكِ عَلَى الْوَهْلِ

(١) هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة شاعر إسلامي كان نديما للسهمري المعلى
الليث فلما قبض عليه وقتل بعد طول حبس أخذ يحرق عكلا على بني أسد
لأنها هي التي أخذته وبعثت به إلى السلطان ومنها الأبيات السابقة •
انظر الأغاني ح ٢١ ص ٢٣٠ •

(٢) الأغاني ح ٢١ ص ٢٣٢ •

بضربٍ يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ
وطمينٍ كَأَنَّهُ الْفَرْجَةُ الْهَذِلُ
...

فأخبر أيها الغادي إن مررت بنى عكل وصيني هذه وقل لهم : اعلموا أن
قتل فقمس للسهرى ظلم وبغى فهي أسرته من غير مسوغ للأسر وقتلته من غير
جرم اقترفه ، فكيف تتامون هاتى البال قهرى الأيمن وإنتم لم تأخذوا بثأر فتاكم .

وأيامكم وأخذ الدية ولا يكن بينكم وبينهم صلح بل أوقدوا نار الحرب
وأذكوها بالحطب الجزل ، وبالخيل السريعة التى قد وثب عليها الكماة الأبطال
ذوى الخبرة الطويلة فى الكر والفر ، فأضربوهم بالسيوف على رقابهم ، واطمنوهم
بالرماح لتصيبوا المقاتل ويتصبب الدم من جراحهم كأفواه القرب المهدلة .

ثم يواصل الشاعر وصيته هذه الى بنى عكل ويسألهم لماذا يطيل دم
قتيلهم ، ويحذرهم من مغبة الكسل والتواني فى أخذ الثأر يقول (١) :

عَلَامَ تُمَقِّسُ فَقَمَسَ يَدِمَايْكُمْ
وَمَا هِيَ بِالْفَرَعِ الْخَيْفِ وَلَا الْأَصْلِ
وَكُنَّا حَسِبْنَا فَقَمَسًا قَبْلَ هَذِهِ
أَذَلَّ عَلَى وَقَعَ الْهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
فَقَدْ نَظَرْتُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَسَلَّمْتُ
عَلَى النَّاسِ وَانْخَافَتِ بِخَيْبٍ مِنَ الْمَحْلِ
رَمَى اللَّهُ فِي أَكْبَادِكُمْ أَنْ نَجْتَ بِهَا
شِعَابُ الْفِتَانِ مِنْ ضَعِيفٍ وَمِنْ وَغِلٍ

(١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

وإن أنتم لم تشارُوا بأخيكُم
فكونوا نساءً للخلق وللکفیل
وبیعوا الردينياتِ بالحلی واقعدوا
على الذلِّ وابتاعوا المغارِلَ بالنبلِ
...

فما الأمر الذى سوغ لفقمس أن تذهب بدم قتلکم بلا قود ، وأنتم قبيلة
مهيبة وهى قبيلة وضیعة ضئيلة لا تعد شيئاً بين القبائل .

وقد افتخرت عليكم حين وترتكم، وكانت قبل ذاك ذليلة مهينة، فهي أول
على وقع الهوان من النهل * وصار لها سمعة بين الناس وذكر خصيب بعد أن كانت
محلة مقفرة من المفاجر •

فهبوا جميعا يا بنى عكل وخذوا نار صاحبكم فشدوا الحرب عليهم ولا تجعلوهم يفترون منكم ويتحصنون بأعلى الجبال والحصون النعمة فمجزونكم .

وإن لم تستطيعوا أن تأخذوا بشاركم فلسنم برجال ولا تستحقون صفات
الابطال وعليكم أن تصيروا حينئذ كالنساء اللاتي لا يصلحن للحرب والقتال
وإنما للكحل والطبيب • واستبدلوا برماحكم الردية حتى تلبسونها على أخاقتكم
تشبهها بالنساء لضعفكم • واصبروا على الذل وأبدلوا سهامكم بمغازل تعملون بها
مثل نساءكم •

وقصد الشاعر من وراء ذلك تنقيح أخذ الدية وبها نزلتها ومهانتها ،
 وأنه لا يرضى بالدية بدل الثأر إلا الضعيف الجبان .

وبعد.. هذا ما استطعت جمعه من شعر الوصايا الحربية في جانب
الحث على أخذ النار ونرى أن الشعراء قد حثوا قبائلهم أو من يوصونهم على

قتال وانتهى بهم ليقنطادوا منهم ويأخذوا بشار مقتولهم • ونرى الصمراء يشتمون
على من يقبل الدية فيرونهم بأقبح الصفات التي تنبئ عن ذلتهم ومهانتهم •
وانهم ليسوا أهلا للفخار والمعالى •

وقد بين الصمراء كذلك أن الدية مهما كثرت فهي قليلة حقيرة
لأن المال ينفى وذكر العار يبقى أبد الدهر •

٣ - الانذار من اقتراب العدو والحث على الاستعداد للمعركة :

حث الشعراء قبائلهم على الاستعداد لمواجهة العدو وأخذ الحذر منه ، وأنذروهم من اقتراب عدوهم لكن يجمعوا أمرهم لمحاربتة واتخاذ كافة السبل التي تفتح الطريق على العدو وبعض الشعراء قدم نصائح قيمة لقومه تعينهم على قتال العدو والانتصار عليه فلقيط بن يعمر الإيادي ^(١) يحذر قومه إيراد من كسرى ويخبرهم أن كسرى قد جمع لهم جيشا عظيما يقول ^(٢) :

سلامٌ في الصَّحِيفَةِ من لَقِيطِ
إلى من بالجزيرة من إيرادِ
يَا أَيُّهَا اللَّيْثُ كَسْرَى قَدْ آتَاكُمْ
فَلَا يَسْهُلُكُمْ سَوَى النِّقَادِ
أَتَاكُمْ مِنْهُمْ سِتُونَ أَلْفًا
يَزْجُونَ الْكَاتِبَ كَالْجَرَادِ
عَلَى حَنْقٍ أَتَيْنَاكُمْ فَهَذَا
أَوَانُ هَلَاكِكُمْ كَهَلَاكِ عَادِ

...

فالشاعر يقول : إننى أفرغكم السلام يا إيراد وأحذركم من كسرى فقد أعد لكم العدة فلا تتشاغلوا عن حربه بجمع الماشية والمال ، فإنه قد جمع لكم جيشا عظيما تعدادة ستون ألفا كالجراد لا يقع على شيء إلا أهلكه ، وقد عزم كسرى

(١) هو لقيط بن يعمر بن خارجة الإيادي شاعر جاهلي قديم مقل لا يعرف له شعر إلا قصيدته التي مطلعها : " يا دار عمرة من محتلتها الجرعا " وقطع أخرى من الشعر قليلة ، كان يحسن الفارسية فاتصل بكسرى فصار من كتابه ومترجميه المطلعين على أسرار دولته فلما أرسل بقصيدته السابقة إلى قومه قطع كسرى لسانه ثم قتله .
انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٠٥ والاغانى ج ٢٢ ص ٣٥٥ والمؤتلف والمختلف ص ١٢٥ .

(٢) ديوان لقيط بن يعمر ص ٣٥ تحقيق د / عبد المعين خان .

على إهلاككم فهو حائق عليكم حنفاً شديداً فخذوا حذركم منه حتى لا يبيدكم
عن بكرة أبيكم فتهلكوا كما هلك عاد .

وللشاعر قصيدة طويلة أرسلها إلى قومه يوصيهم فيها بأخذ الحذر من
كسرى ويحضهم على قتاله ، وهي تعد من عيون الشعر العربي وقد ضمنها معاني
عديدة من أهمها بيانه صفات القائد الذي يجب أن يولى قيادة الجيش .

ويفتح الشاعر قصيدته هذه بقوله (١) :

يا دار عمرة من مُخْتَلِّهَا الْجَرَعَا
هَاجَتْ لِي الْهَمَّ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجَعَا

ويعد مقدمة القصيدة يوجه الخطاب لقبيلة إباد فيقول :

بَلْ أَيْهَا الرَّكَبُ الْمَرْجِسُ عَلَى عَجَلٍ
نَحْوَ الْجَنْهَرَةِ مُرْتَادَاً وَتُتَجَمَعَا
أَبْلِغْ إِيَادَاً وَخَلَّلْ فِي سَرَاتِهِمْ
أَنْتَ أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أُغْرِقْ نَعَمَا (٢)
يَا لَهْفَ نَفْسِي أَنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ
قَشَى وَأُخِمْ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالِكُكُمْ
أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدَّيْنِ سُرْعَا (٣)
أَبْنَاءَ قَوْمٍ تَأْوُذُكُمْ عَلَى حَنِي
لَا يَفْقَهُونَ أَفَرَّ اللَّهُ أَمْ نَفَعَا

(١) ديوانه ص ٣٦ .

(٢) خلل : خصص .

(٣) الدين : صغار الجراد .

أحرارُ فارسَ أبناءُ الملوكِ لهم
 من الجُمُوعِ جُمُوعٌ تَزِدُهِى القَلَمَا
 فهم سِرَاعٌ إِلَيْكُمْ بِسِينٍ مُلْتَفِيطٍ
 شوكاً وَآخِرَ بَحْنِي الصَّابِ وَالسَّلَمَا
 لو أن جَمَعَهُمُ راموا يَهْدَتِيهِ
 قُتِمَ الشَّامِيخِ من قَهْلَانٍ لَانَصَدَا
 فى كُلِّ يَوْمٍ يَسُنُّونَ الحِرَابَ لَكُمْ
 لا يَهْتَجِعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَمَا
 لا الحَرثُ يَشْغَلُهُمْ بَلْ لا يَرَوْنَ لَهُمْ
 من دُونِ بَيْتِكُمْ رَأً ولا سِبَعَا

...

فالشاعر يقول : فيها أيها الراحل بإبله ناحية الجزيرة تطلب الكلاء أبلغ
 أياداً هذه الوصاة وخص بها أشرافهم ؛ فإنى أوصيكم بما قوس بأن تأخذوا
 حذركم فإنى أرى شراً قد اقترب منكم فاجمعوا أمركم ولا تتفرقوا ؛ فإن الفرس قد
 اجتمعت لقتالكم ؛ وكيف تختلفون وكسرى وقومه قد جمعوا لكم جموعاً عظيمة كأنها
 الدبى فى كثرتها . . . وقد عزموا على قتالكم لا مثلاً قلوبهم حنفاً وغيظاً عليكم
 واعلموا أنهم قوم لا دين لهم فلا يراقبون الله ولا يخافون منه ؛ وجموعهم
 تستخف بالصخور المعظام على ضخامتها لكثرة عددهم وقوة بأسهم ؛ واعلموا
 أنهم قد أكلوا استعدادهم لقتالكم فهم بين رجل شاكى السلاح مستعد للنزال
 وبين آخر بعد السم ؛ فهذا الجمع مصر على إهلاككم ؛ فلو أرادوا بجمعهم هذا
 أن يهدوا شهلاً لا نصدع فكيف بكم أنتم ؟

وزيادة على ذلك فهم يسنون حرايبهم ويحدونها فى كل يوم لينتموا
 استعدادهم لكم ولا ينامون إذا نام الغافل فلا هى يلهيهم عن حركم لاحت
 ولا تجارة ؛ بل إنهم يرون رزقهم فى اجتثاث أصلكم من أساسه .

وبعد أن صور الشاعر لقومه قوة جيوش كسرى واستعدادهم لقتالهم أخذ يلفت أنظارهم الى ما هم فيه من غلة يقول (١) :

وَأَنْتُمْ تَحْرُثُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفْعٍ
فِي كُلِّ مَعْتَلٍ تَبْغُونَ مَزْدَرًا
وَتُلْقِيهِمْ حِمَالِ الشُّوْلِ أَوْسَةً
وَتُنْجِسُونَ بَدَارِ الْقَلْعَةِ الرَّيْحَا
وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً
لَا تَفْرَعُونَ وَهَذَا اللَّيْثُ قَدْ جَمَعَ (٢)
أَنْتُمْ فَرِيقَانِ هَذَا لَا يَقُومُ لَهُ
هَضْرُ اللَّيْثِ وَهَذَا هَالِكُ صَقْعَا
وَقَدْ أَظْلَكَكُمْ مِنْ سَطْرِ ثَغْرِكُمْ
هَوْلٌ لَهُ ظِلْمٌ تَغْفَاكُمْ قِطْمَا
مَالِي أَرَاكُمْ نِيَامًا فَسِ بُلْهِنِيغِ
وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الْحَرْبِ قَدْ سَطَمَا

...

يقول : ومع أن كسرى وقومه قد جمعوا لكم تلك الجيوع ولم يشغلهم شغل
عن حربكم أراكم في سفاهة وضلال من أمركم فتحثرون الأرض في كل مكان يصلح
للعمل ، تهددون موضعا للزرع ، وتلقحون إناث الإبل تهددون نتاجها ، وتظهرون
الامتن فلكانكم لستم خائفين من حرب أو عدو ، وكسرى قد جمع الجيوش لقتالكم ،
وزيادة على ذلك قد افترقتم إلى فرقتين فرقة لا تستطيع القيام بمقارعة الأبطال ،
وفرقة أخرى ساكنة لا تعمل شيئا من هول الصدمة تنتظر الموت وكان صاعقة

(١) ديوانه ص ٤٢ .

(٢) هذا البيت ليس في الديوان وهو موجود في مختارات ابن الشجري ص ١١

أصابتها فلا تستطيع بعدها حراكا ، فيها سراة إيراد انتبهوا لأنكم فقد اقترب منكم هول عظيم يخشاكم على فترات عديدة متقطعة ، وإنى أراكم غافلين عما يدبر لكم ويحاك ضدكم ، سادرين في رخاء العيش ولهنه وكأنكم لم تسمعوا بكسرى وقومه .

ثم بحث الشاعر قومه على الاستعداد للعدو بحشد الجيوش وجميع السلاح واصلاحه بقول (١) :

فاسفوا غلبلى برأى منكم حبيب
يصبح قوادى له ريان قد نَقَمَا
ولا تكونوا كمن قد بات مُكْتَنِعَا
إذا يُقَالُ له افرج غمَّ كَمَا (٢)
يَسْمَى وَيَحْسِبُ أَنَّ الْمَالَ مُخْلِدَةٌ
إذا استفاد طريفاً زادهُ جَعَمَا (٣)
فاقنوا جِيَادَكُمْ واحموا دِمَارَكُمْ
واستفمروا الصبر لا تستفمروا الجزعا
صونوا جِيَادَكُمْ واجلوا سُوءَكُمْ
وَجَدُّوا لِلْفَيْسِ النَّيْلَ وَالْقُرْعَا
واغثوا تِلَادَكُمْ فى حِرْزِ أَنْفُسِكُمْ
وحِرْزِ نِسْوَتِكُمْ لا تَهْلِكُوا هَلَمَا
ولا يَدْعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِئَانْفُسِهِمْ
كما تَرَكْتُمْ بَاعِلَى بِهَيْسَةِ النَّظَمَا

...

-
- (١) ديوان لقيط ص ٤٤ .
(٢) مكتنع مختنع ذليل ، وكع انقبض .
(٣) هذا البيت والذي بعده ليسا في الديوان وهما في مختارات شعراء العرب لابن الشجرى ص ١٣ .

فها بنى قوم اطفثوا ما بجوفى من حرارة الغيظ والحزن لما سميبيكم من كسرى برأى محكم تسيرون فى ظلاله وتجمعون أمركم لمحاربة كسرى وقومه ه وإياكم واستشعار الذل والهوان فإن ذلك مما يقوض عزائمكم ه فلا تكونوا كمن صارذلهـلا مختصما لا يدفع الظلم عن نفسه فهو راض بذلك وإذا دعى إلى أمر عظيم ليخرج عنه أو يدفع مصيبة كبح وانقبض ذلا وجبنا همه فى هذه الحياة جمع المال فمضى ما حصل على مال طريف ازداد شحنا وطمعا بحسب أنه سيخلده ه ولكن استعدوا لهذا العدو الغاشم قدربوا خيلكم على الحرب وخوضى المعارك واحموا شرفكم وأموالكم وأرضكم وما يجب عليكم حفظه وليكن الصبر هو الغالب عليكم واحذروا من الجوع فلا يكن من طبيعكم ه وصونوا جهادكم وحدوا سيوفكم وأصلحوا قسيكم بتجديد النبل والأوتار لها لكى تساعدكم على حرب كسرى فتكثروا القتل فيهم ه وصونوا أموالكم وإرثكم القديم ونساءكم فى قلوبكم وضنوا بها على الأعداء وابذلوا دونها النفوس ولا تهلكوا جزعا وخوفا من الأعداء .

ويستمر الشاعر فى نصحه ووصيته لقومه بالاستعداد لكسرى وجميعه ويحثهم على أخذ الحذر والبعد عن اللهو والطمع يقول (١) :

أَذْكُوا الصُّيُونَ وَرَاءَ السَّرْحِ (٢) وَأَخْتَرِسُوا
حَتَّى تَرَى الْخَيْلُ مِنْ تَعْدَائِهَا رُجْعًا (٣)

- (١) ديوانه ص ٤٦ .
(٢) فى الديوان " السرج " والتصحيح " من مختارات شعراء العرب ص ١٥
(٣) وزيد بعد هذا البيت فى مختارات شعراء العرب لابن الشجرى ص ١٥
فإن غلبتم على حسن بداركم * فقد لقيتم بأمر الحازم الفزعاء
لا تلهيكم إبل ليست لكم إبل * إن العدو يحطم منكم قسرا
لا تشمروا المال للأعداء إنهم * إن يظهرأ بجنتوكم والتلاد معا
هيهلت لا مال من زرع ولا إبل * يرجى لغايركم إن أنفكم جدعا
والله ما انفكت الأموال مذ أهد * لأهلها إن أصيبوا مرة تبعا
يا قوم إن لكم من إرث أولكم * مجد اقد اغفقت أن يفتى وينقطعا
ماذا يرد عليكم عز أولكم * إن ضاع آخره أو ذل واتصعا

فلا تَفَرَّنَكُم دُنْيَا وَلَا طَمَعٌ
لَنْ تَتَعَفَّوْا بِزِمَامِ ذَلِكَ الطَّمَعِ
يَا قَوْمَ بِيْضَتُكُمْ لَا تُفْجَعَنَّ بِهَا
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا الْإِلْمَ الْجَدْعَا
يَا قَوْمَ لَا تَأْمَنُوا إِنْ كُنْتُمْ غُرًّا
عَلَى نَسَائِكُمْ كَيْسَرَى وَمَا جَمَعَا
هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي يَجْتَثُّ أَصْلَكُمْ
فَمَنْ رَأَى مِثْلَ ذَا رَأَاهَا وَمَنْ سَمِعَا
...

فالشاعر يقول : فخذوا حذرکم من کسرى وأرسلوا الميون والطلائع
لاستكشاف العدو ومعرفة قوته وجهته حتى تؤوب الخيل من مهمتها رجعة فامرة
لسرعة عدوها • وإياكم أن تلهيكم الدنيا والأموال وتصرفكم عن التهيؤ للحرب فإن
الطمع لن ينفمكم فحافظوا على أصلكم لا تفجعوا به فإنى أخاف عليكم من الدهر
وغدره • واحفظوا نساءكم من كسرى وجهته فإنه قد أعد المدة لاجتثاث أصلكم
من أسسه إن استطاع أو وجد ثغرة ينفذ منها لكم • فخذوا حذرکم منه • فهل
أجد أحدا يرى مثل رأى أو يسمعه فيعمل به ؟ ليتنى أجد ..

ثم يعطى الشاعر لقومه صفات الرجل الذى يفقد هم فى الحروب ويرجعون
إليه فى أمورهم يقول (١) :

فَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرْكُكُمْ
رَحَبَ الذَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُفْطَلِعَا
لَا مَتَرَفًا إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ
وَلَا إِذَا عَنَى مَكْرُوهُ بِهِ خَفَعَا (٢)

(١) ديوانه ص ٤٧ •

(٢) فى الديوان (لا مشرقا) •

- لا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يَبْعَثُهُ
 هَمْ يَكَادُ سَنَاهُ يَقْسِمُ الْقَلَمَا (١)
 مَسَّهَدَ النَّوْمِ تَعْنِيهِ تُغَوِّرُكُمْ
 يَرُدُّ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلَعَا
 مَا أَنْفَكَ يَخْلُبُ هَذَا الدَّهْرُ أَفْطَرَهُ
 يَكُونُ مُتَبِعًا طَوْرًا وَمُتَّبَعًا
 حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرٍ مَرِيرَتُهُ
 مُسْتَحْكِمِ السَّنِ لَاقِحًا وَلَا فَرَعًا (٢)
 وَلَيْسَ بِشَفْلَةٍ مَالٌ يُمَثِّرُهُ
 عَنكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَبْنِي لَهُ الرُّفْعَا
 كَمَا لِكَ مِنْ قَنَانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ
 زَيْدِ الْقَنَا يَوْمَ لَاقَى الْحَارِثِيْنَ مَعَا
 إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ
 دَثْتُ لِيَجْنِبَكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُنْطَجِمَا (٣)
 فَسَاوَرُوهُ قَالَفَوَهُ أَخَا عَلِيٍّ
 فِي الْحَرْبِ يَحْتِيلُ الرَّثْبَالُ وَالسَّبْعَا
 عِبَلُ الذَّرَاعِ أَبِيئَا ذَا مُرَابِنَةٍ
 فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا يَكْمَأُ وَلَا وَرَعَا
 مُسْتَجِدًّا يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ
 لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرَعَا
 لَقَدْ بَدَلْتُ لَكُمْ نَعْمَى بِلا دَخَلٍ
 فَاسْتَيْقِظُوا إِنْ خَوَّرَ الْعِلْمُ مَا نَفَعَا

- (١) هذا البيت ليس في الديوان — مختارات الشعراء العرب ص ١٩ .
 (٢) في الديوان مؤخر عن ما بعده .
 (٣) في الأصل فقلت لموا التصحيح من الهامش رقم ٦ في الديوان ص ٤٩ .
 ومختارات شعراء العرب ص ٢١ .

هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ
لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا

...

فالشاعر يقول : فولوا أمركم رجلا شجاعا عظيم القوة عند الشدائد عالما بأسرار الحرب يحسن الكر في موضعه ويجيد الفر في وقته ، لم يعرف الترف والكسل إليه سبيلا حتى في حال يسره ولم يجد الخوف والخضوع إلى قلبه سبيلا حتى مع نزول الشدائد عليه وعلى الزمان له ، قليل الرقاد لم يذق للنوم العميق طعما لاهتمامه بأمركم واشتغاله بشأن ثغوركم يبحث عن فرجة في أحد ثغور العدو ، ليباغتهم من خلالها .

ولیکن هذا القائد رجلا خبيرا مجربا قد عرسته السنون ومرت عليه ضروب من الخير والشر فاستحكم أمره وقويت شكيمته وحسن رأيه فليس برأى شيخ مهتر ولا رجل ضعيف جبان ، وليس له مال يلهيه ويشتغله عن أمركم أو ولد يطلب له العز والرفعة .

ولیکن هذا القائد مثل مالك بن قنان الرجل الشجاع صاحب الرأي والفتك معا فقد انتقمه بعض الرجال فرد عليه بقوله أحسن الاستعداد للأمر قبل الوقوع فيه ، فواثبوه فوجدوه رجلا خبيرا بالحروب أخوا ورد في الحرب مرة بعد مرة ، شجاعا مقداما يصيد السباع والأسود قوى الساعد ذامدا فاعة وعراك وذا إباء للضمير والذل غير عاجز عن القتال ولا جبانا يخاف الموت .

هذا .. واعلموا أني قد بذلت لكم نصحي جهدا طاقتي وأخلصت لكم فيه فانتبهوا لأمركم واستيقظوا من نومكم واعملوا بما أعلمتكم به فان خير العلم ما نفع صاحبه .

وهذا فہس بن مسعود الشیبانی ^(١) یوجہ وصیۃ الی قومہ عند ما قبض علیہ
کسری یحذرہم منہ ویقول ^(٢) :

ألا لیتنی أرشؤ سِلاحی وبَغْلَیَی
لَمَن یُخْبِرُ الأَبْنَاءَ بِکَرِ بنِ وائِلِ
فأوصیہمُ باللہ والصَّلَاحِ بَیْنَهُمُ
لِیَنْصَأَ مَعْرُوفٌ وَیُزْجَرَ جَاهِلٌ ^(٣)
وصَاةَ امْرِئٍ ۚ لو کان فیکم أَعَانُکُمْ
عَلَى الدَّهْرِ وَالْأَیَّامِ فِیہَا الْفَوَائِلُ
فإِیَّاکُمْ وَالطَّفَّ لَا تَقْرُبْنَنَّهُ
وَلَا الْبَحْرَ إِنْ المَاءَ لِلْبَحْرِ وَاصِلٌ ^(٤)
وَلَا أَحْسَنَکُمْ عَنِ بَغَا الْخَوَرِ إِنِّی
سَقَطْتُ عَلَى فِرْعَاوْنَ فِہُو أَکِلُ

...

فالشاعر یقول : لیتنی أقدر علی مکافاة من یبلغ وصیتی ہذہ قوم ابناء
بکر بن وائل فأوصیکم بتقوی اللہ وإصلاح أمرکم وأجمعوا کلماتکم واتحدوا حتی تتمکوا
من الأخذ بناصیة المعروف وزجر الجاہل ۚ ولو کنت فیکم لأعتکم علی صروف الدھر
وتقلباتہ ۚ وخذوا حذرکم من کسری فلا تقربوا الحدود المتاخمة لہلادہ ولا البحر

(١) هو فہس بن مسعود بن فہس بن خالد بن عبد اللہ ذی الجذین شریف
فاصل ۚ کان عاملاً لکسری علی الطف وقد ضمن لہ أحداث بکر بن وائل
فتعبث بکر بأصحاب کسری فحبسہ حتی مات .
انظر الأغانی ح ٢٤ ص ٥٤ ۚ ومعجم الشعراء ص ٣٢٤ والأعلام ح ٥ ص
٢٠٨ .

(٢) الأغانی ح ٢٤ ص ٥٨ .

(٣) ينصأ : أخذ بناصيته .

(٤) الطف : ما أشرف من أرض العرب علی ريف العراق .

لأنه سهل إليكم إن علم بكم • ولا يشغلكم شأني وصيري عن شئون حياتكم
وابتغائكم الرزق فأني وقعت بين برائته فهو أكلني لا محالة •

والأسفع الأرحبي (١) يحذر قومه من حيمر وأحلافها فقد يقدرون بهم
لويقتلونهم يقول (٢) :

لا تترككم ذو رعين وسكك
ولا من سكون بيت سعد بن عامر
ولا ذو الكلاع الطالبون بئارهم
إذا أمكنتهم وقبسة المتفاصر
ولا يافع تغضى ولا هي ترخم
ومن ذي نوايس كل أبلج وأغبر
...

فالشاعر يقول : إن قبيلة حيمر ومن حالفها من كدة لن يدعوكم أو يغفلوا
عنكم فهم يترصون بكم ويتحينون غلة منكم ليثبوا عليكم وثبة تهلككم • وقد جمعوا
لقتالكم الجيوش العظيمة فخذوا حذرهم واحموا أهلهم وذماركم • ولا تغفلوا فيفسد
بكم •

والفرزدق يوجه وصية إلى الخليفة الأموي وآل بيته من آل مروان يبين
لهم فيها ضياع الثغور واقتراب العدو من تلك الجهة ويحثهم على صيانة الثغور
وتعزيز جيوشها وأخذ الحذر من العدو المترص يقول (٣) :

-
- (١) الأسفع بن الأوبر بن عوذ بن علوي الأرحبي البكيلي سيد شريف شاعر وفارس
انظر شعرهم في الجاهلية والاسلام ص ٢٣٤ •
- (٢) شعرهم في الجاهلية والاسلام ص ٢٣٦ •
- (٣) ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٥٥ •

يا قَاتِلَ اللهَ لَيْلًا كَتَّ أَحْرُسُهُ
لدى الْخُوبَيْتَةِ مَا يَمْضِي فَيَنْحَسِرُ
يا آلَ مَرْوَانَ إِنِ الثَّغَرَ فَاثْتَبَهُوا
قَدْ ضَاعَ إِن لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ لَهُ غَيْرُ
لا يَصْلِحُ الثَّغَرَ الْاَكْلُ مُحْتَنِكُ
ضَخَمَ الدَّسِيعَةُ أَوْ صَمَامَةُ ذَكَرُ
...

فالشاعر يقول : ما أطول هذا الليل الذي يشه في هذا المكان الخريبه
فقد أبى أن يذهب فكلما توهمت أنه مضى رجع مرة أخرى لشدة خوفى ورهبتى
فهو موضع غير آمن .

فانتبهوا يا آل مروان لهذه الثغور فإنها قد ضاعت وضعفت شوكتها
وستفقدونها إن لم تهبوا لنجدتها وتغاروا عليها وتوجهوا إلى هذه الثغور
فإنها شجاعا يصلح شأنها ويحافظ عليها من الأعداء إن هتؤا بالإغارة عليها
ولتعدوا للجنود العدة اللازمة للقتال فالثغور لا يصلحها إلا البطل الكسب
المغوار ، والسيف القاطع الباتر .

وبعد هذا ما توصلت إلى جمعه من الوصايا التي وجهها الشعراء في
جانب الإنذار من اقتراب العدو والاستعداد للمعركة ، فنرى أن الشعراء قد
حذروا أقوامهم من دنو الأعداء لبلادهم وحثوهم على أخذ الحذر والاستعداد
لمواجهتهم ومحاربتهم ، وترك اللهو وجمع المال وزرع الأرض ، كما بين بعضهم
صفات القائد التي يجب أن يتصف بها من يلى أمورهم ويقودهم في الحروب كما
حذر بعضهم الخلفاء من ضياع الثغور الإسلامية وأوصاهم بإصلاحها واستناد أمرها
إلى رجل شجاع ليصد عنها الأعداء ، واعداد العدة الحربية للجنود من سيوف
ودروع وغيرها .

الفصل الثاني
سر الوصايا اللبغوية

١. الحق على الصفاء اللبغون وسر اختيارهم
٢. الحق على سر معاملة اللبغون وسر علاقتهم والاختفاء عندهم كفن السج
٣. وصايا العلاقات للجمعية الخاصة.

الوصايا الإخوانية

للسداقة والأخوة منزلة عظيمة في نفوس العرب فلذلك كثر حديثهم عنها
وقد ألفت كتب تتحدث عن السداقة والصديق ومعاملة الإخوان واصطفائهم وأهمها
وأعظمها شهرة كتاب " السداقة والصديق " لأبي حيان التوحيدي .

وقد مر بنا في الفصل الأول من هذا البحث حديث عن السداقة وذلك
عندما حث الشعراء على اصطحاب الأخيار واجتناب اللثام ، وكذلك في الفصل
الثاني عندما أوصى بعض الشعراء أبناءهم بمعاشرة الفضلاء والبعد عن السفهاء
وفي هذا الفصل سأفرد الحديث عن شعر الإخوانيات .

وأقصد بالوصايا الإخوانية الشعر الذي يوصى به الشاعر المرء على اتخاذ
الإخوان واصطفائهم والحرص على موافاة الأخيار والبعد عن اللثام ، وكذلك
يوجهه إلى المعاملة المثلى للأخوان والأصدقاء وعدم إدامة العتاب لهم ، لكى
يدوم ما بينهم من ود ومحبة .

ويدخل تحت هذا القسم أيضا الوصايا التى يوجهها الشاعر إلى أحد
إخوانه أو أصدقائه قاصدا من ذلك نصحه وتوجيهه أو عتابه .

١ - الحث على اصطفاة الإخوان وحسن اختيارهم :

لقد حث الشعراء على اتخاذ الإخوان ومعاشرتهم سواء كانوا من الأقرباء في النسب أو البعداء لأن الأخوة الصادقة عطف للمرء وساعد له يقويه على مواجهة ما يعترضه من مصائب ومشكلات في هذه الحياة وقد بين الشعراء من الرجل الذي يستحق الأخوة ويكون سنداً وعضداً لأخيه في وقت الشدائد ويطابق فعله قول الشبل العري " رب أخ لك لم تلده أمك " (١) .

فمسكن الدارسي (٢) يوصي الإنسان باتخاذ الإخوان ، ويرى أن حاجة المرء للأخ مثل حاجة الطائر للجناح يقول (٣) :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنِّ مِنْ لَا أَخَا لَهُ
كَسَّاعٍ إِلَى الْهَنْجَا بَغِيرِ سَلَاخٍ
وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَأَغْلَمَ جَنَاحَهُ
وَهَلْ يَنْتَهِي الْبَازِي بَغِيرِ جَنَاحٍ
...

أى عليك أيها الإنسان أن تحرص على مواعاة إخوانك وملازمتهم ولا تكن فرداً واحداً لا أخ لك لأن الإنسان الذي لا صاحب له ولا صديق كالمرء الذي يشد الخطأ إلى أرض المعركة وهو أعزل السلاح .

(١) مجمع الأمثال للميداني ح ٢ ص ٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر مكتبة عيسى البابي الحلبي .

(٢) هو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارسي ومسكن لقب غلب عليه ، شاعر أموي شريف ، سجد من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كف عنه ، وكان صديقا ليزيد بن معاوية ، وكان يزيد يوثقه .

انظر الشعر والشعراء ح ١ ص ٥٥١ ، الأغاني ح ٢٠ ص ٢٠٥ وما بعدها .
(٣) خزانة الأدب ح ٣ ص ٦٧ لعبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون ، ط الثانية نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٦٩ م .

واعلم أيها الرجل أن ابن عمك هو ساعدك الأيمن وجناحك الذي تعتمد عليه فهل رأيت بازيا نهض واستطاع أن يطير بغير جناح .

وبعد ذلك يضحك الشاعر برما بالذي ينقلب على صديقه وينكره فيدعو عليه يقول (١) :

لَحَا اللَّهُ مِنْ بَاعِ الصَّدِيقِ بَغِيرَهُ
وَمَا كَسَلُ بَيْعٍ يَغْتَه بِرَبِّهِامِ
كَفُسِدِ أَدْنَاهُ وَمُضْلِمِ غَشْوَرُهُ
وَلَمْ يَأْتَمِرْ فِي ذَاكَ غَيْرُ صَاحِ
...

يقول الشاعر : فَبَيْعَ الله ولعن من أفسد ما بينه وبين صديقه وباعه من أجل شخص لا يستحق الود ولا الأخوة ، واعلم أن هذا البيع ليس برابح بل هو بيع خاسر غادر ، وهذا البائع صديقه مثل الرجل الذي يفسد نفسه ولا يهتم بأمرها ولكنه يصلح من شأن الناس وهو لم يشاور في ذلك رجلا عاقلا ، بل اقتصر على رأيه ومشورة عقله .

والشاعر عبد الله بن معاوية يطلب من المرء أن يحرص على أخوة وصاحبة الثقات والفضلاء يقول (٢) :

عَلَيْكَ يَا خَوَانَ الثَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ
قَلِيلٌ فَصَلِّهُمْ دُونَ مَنْ كُنْتَ تَصَحَّبُ
وَمَا الْخِدْنَ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدُّهُ
وَمَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ وَأَنْتَ مُغَيَّبُ

(١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) شعر عبد الله بن معاوية ص ٣٠ .

فاحرص أيها الانسان على أخوة الثقات وصاحبتهن • واقض حوائجهم
وصيلهم وفضلهم على جميع أصحابك لأن الثقات من الناس قلائل فلا تفرط
فيهم •

وما صاحبك أيها المرء إلا من أصفى لك المودة وأخلص لك فيها ونصح لك
وإن كنت غائبا •

وفي بيتين آخرين يطلب الشاعر من المرء أن لا يصاحب إلا رجلا كريما
مطيعا له يقول (١) :

وَإِذَا صَاحَبْتَ فَاصْحَبْ مَا جِدَّ أ • ذَا عَفَافٍ وَحَيَّاءٍ وَكَسْرَمَ •
قوله للشئ (لا) إِنْ قُلْتَ لَا • وَإِذَا قُلْتَ (نَعَمْ) قَالَ نَعَمْ •

...

فإذا صحبت أحد أ أيها الرجل فاصحب الفاضل ذا العفة والحياء والهدل
والكرم المطيع لك الذي لا يخالف رأيه رأيك تعنتا فإذا قلت في شيء لا أجاب مثلك
وإن قلت نعم قال بها فلا يخالفك ولا يتعنت ويصر على رأيه الذي يراه •

وللشاعر بيتان آخران - أيضا - يطلب فيهما من المرء أن يختبر الرجال قبل
مواعثاتهم يقول (٢) :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدْتَ إِخَانَهُمْ
وَتَوَسَّعَ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدَ
فَإِذَا رَأَيْتَ أَخَا الْعَفَافَةِ وَالنُّشَى
فَبِهِ الْهَدَيْنِ - قَهْرَ عَيْنٍ - فَاقْدُدِ

...

(١) المصدر السابق ص ٧٧ •

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ •

فالشاعر يقول : عليك أيها المرء أن لا تصاحب أى إنسان إلا بعد أن تهلوه
وتختبره • وتتفقد أحواله وأموره • فإن رأيت أنه صاحب عقل راجع ورأى سديد •
وذو غفة • وحياة • فاشدد يدك عليه والزمه فهذا هو الذى تقره عين المرء
ويحسبه على أموره • وما يعتره من حوادث فى هذه الحياة •

وأبو محمد الزهيدى كذلك يطلب من الانسان أن لا يصاحب إلا رجلاً
فاضلاً • وعليه أن يتبين أحواله قبل مواعاته له يقول (١) :

أَلَا إِنَّ إِخْوَانَ الثَّقَاتِ قَلِيلٌ
فَهَلْ لِي إِلَى ذَاكَ الْقَلِيلِ سَبِيلٌ
فِي النَّاسِ تَعْرِفَ غَنَّهُمْ مِنْ سَمِينِهِمْ
فَكُلٌّ عَلَيْهِ شَاهِدٌ وَدَلِيلٌ

...

يقول الشاعر : إن الأخوان الثقات الذين يخلصون لصاحبهم ويصفون له
المودة قليلون فى هذا الزمن • وليت شعرى • هل من سبيل يوصل المرء الى
هؤلاء الثقات القلائل ليقارنهم ويشرف نفسه بصاحبته إياهم •

وعليك أيها الانسان أن لا تصاحب أحداً إلا بعد أن تتحنه وتقيس
أخلاقه بمقاييس فاضلة لكى تعرف الفاضل من الرجال وتميز بينه وبين اللئيم • لأن
كل إنسان عليه شاهد من أخلاقه ودليل على إحسانه أو إساءته • فإذا عرفت
الصالح من الطالح فالزم صاحب الأخلاق الفاضلة وليكن هو أخاك وصدقك •

أما دجيل بن على الخزاعى فإنه يوصى المرء أن لا يوافق إلا الثقة العاقل
يقول (٢) :

(١) شعر الزهيدى ص ٦٤ •

(٢) ديوان دجيل ص ١٠٨ •

ولا تُعْطِ وَدَّكَ إِلَّا النُّفَاسَ
وَصَفَوِ الْمَوَدَّةَ إِلَّا لَبِيبًا

فلا تواءم إلا الرجل الثقة الفاضل وابتمد عن اللئيم الخائن لأنه لن يدوم لك على ود • ولا تصف المودة إلا لعاقل يرى حقوقها ويحافظ على المودة ويبادلك بها •

والبحترى يبين للرجل العاقل طبيعة بعض الأخوان وهى التصنع ففى المودة المبني على النفاق فيحث المرء بالابتعاد عنهم ويأمره بالحرص على أخوة الرجل الصادق صاحب الضجج السوى يقول (١) :

كَمْ مِنْ أَخٍ كَلَسَتْ تَنَكُّرُهُ • مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي بُشْرِ
مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ • يَلْقَاكَ بِالْتَرْخِيبِ وَالْبُشْرِ
يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَلُ • حَى الْغَدَرِ مَجْتَهِدًا وَذَا الْغَدَرِ
فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرِ • دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فَارْتَضَ بِإِجْمَالِ أَخُوَةٍ مَنِ • يَقْلِبُ الْقِلَّةَ وَيَغْفِقُ الْمُنَى
وَعَلَيْكَ مِنْ حَالِهِ وَاحِدَةٌ • فِي الْيُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْعُسْرِ
لَا تَخْلِطَنَّهُمْ بِغَيْرِهِمْ • مَنْ يَخْلُطُ الْعَقِيَانِ بِالصُّفْرِ

...

يقول الشاعر : كثير من الإخوان والأصدقاء يدنو منك أيها المرء إذا كنت صاحب ثروة ومال عظيم • ويتصنع لك المودة • وإذا رآك راحب بك وهش ففس وجهك • وتجد أكثر حديثه عن الوفاء وصاحب الوفاء ويهدى إعجابه بذلك ويبغض الغدر والغادر ويقلبه • ولكن إذا انقلب حالك إلى سوء وغناك إلى فقر انقلب مع الدهر وصار عوناً له عليك وابتمد عنك وهرب • فعليك أيها المرء أن تحذر من

(١) ديوان البحترى ج ٢ ص ١١٠٤ •

هو لا اله الاطماع المادية الذين يودون صاحب المال ويقدرونه ويبغضون
المقل الفقير ويهينونه ، وارضى أخوتهم ومصاحبتهم ، ولكن احرص على موافاة
الرجل الفاضل الذى يسير على منهج واضح وحالة ثابتة فيدنونك إن كنت
صاحب مال أو فقيرا فالأمر عده سببا لأنه لا ينظر إلى المادة والمال ويجعلها
سببا فى القرب والبعد ، ولا تخلط بين هذا الصاحب الصادق وبين ذلك
المنافق صاحب الأطماع فهل رأيت انسانا خلط بين الذهب والنحاس .

وبعد هذه المسيرة مع شعراء الوصايا الاخوانية فى حشهم على اصطفا
الاخوان وحسن اختيارهم ، نرى أن الشعراء حثوا على الأخوة وبينوا أن الأخ
بالنسبة للمرء بمنزلة السلاح للمحارب ، وحثوا على أخوة الرجال الفضلاء الثقات
ذوى الأخلاق الحسنة وأوصوا المرء كذلك على اختبار الرجال قبل موافاتهم لأن
الرجال الثقات قلائل والواجب على المرء أن يحرص على هؤلاء ، وأوصوا المرء
بالابتعاد عن أخوة الرجال المتقليبين مع الدهر ذوى الأطماع المادية وكذلك
أمره بالابتعاد عن أصحاب الأخلاق الدنيئة والمروءات الفاسدة .

٢ - الحث على حسن معاملة الإخوان ومداراةهم والاعضاء عن هفواتهم :

لقد حث الشعراء على حسن معاملة الإخوان ، وأوصوا المرء بذلك وبينوا له أن من الواجب عليه أن يخفض عن هفوات إخوانه وأن لا يدهم العتاب لهم لأن ذلك مدعاة للفرقة والتنازع .

فالشاعر سابق البربري يبين للمرء أن ادامة العتاب للاخوان بسبب تفرقهم عنه ويصير وحيدا لا صديق له يقول (١) :

إِذَا مَا كُنْتَ طَالِبَ كُلِّ ذَنْبٍ
وَلَمْ تَحُلِّ أَخَاكَ مِنَ الْعِتَابِ
تَبَاعَدَ مَنْ تَبَاعَدَ بَعْدَ قُرْبٍ
وَصَارَ بِكَ الزَّيْنَانُ إِلَى اجْتِنَابِ
...

فإن كنت أيها الانسان ستقف عند كل زلة يقع فيها أخوك وتعاتبه عليها وتغضب من أجلها تفرق عنك أصحابك وخلانك وابتعدوا عنك بعد أن كانوا ملتفين حولك ، وأغيبك دوام العتاب حسرة وندامة ، وستفقد في آخر الأمر وحيدا يتحاشى اقترابك الناس لكثرة ما توجهه من لوم وعتاب وكثرة حساب ، فعليك أن تخفض عن أخطاء إخوانك لكي تضمن بقاء ودهم واستمراره .

أما عبد الله بن معاوية بن جعفر فإنه يوصي الإنسان ألا يزهّد في أخيه لمجرد خطأ اقترفه يقول (٢) :

لَا يَزْهِدَنَّكَ فِى أَخٍ • لَكَ أَنْ تَرَاهُ زَلَّ زَلَّةً
مَا مِىْنِ أَخٍ لَكَ لَا تَعِبَ • سَبَّ وَلَوْ حَرَصْتَ عَلَيْهِ خَلَّ سَبَّةً

(١) شعره ص ٩٣ .

(٢) شعره ص ٢٣ .

فلا يزهدك في أخيك أيها الرجل خطأ واحد يخطئه أو زلة غير مقصودة منه ولكن اصفر عنه وسامحه • لأنك لن تجد لك أخا لا يخطئ • أبدا فكل فيه خصلة • غير مرضية فالنقص من طبائع النفوس البشرية لأن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى •

والشاعر المغيرة بن حنناء (١) يوصي المرء كذلك بالصفر عن أخطأ الصديق وعدم إدامة العتاب له يقول (٢) :

خُذْ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوَ وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُ
وَلَا تَكُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تُعَاتِبُهُ
فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُهْدِئاً
وَأَيُّ امْرِئٍ يَنْجُو مِنَ الْعَيْبِ صَاحِبُهُ

اصفر أيها الانسان عن زلات صديقك واغفر خطاياك التي تسيء إليك وتصلك عاقبتها ولا تكن كثير اللجاج والمعاتبة لأخيك • لأن معاتبتك له في كل صغيرة وكبيرة تؤدي إلى فساد الأخوة فمابينكما • واعلم أنك لن تجد أخا مهذباً خالصاً من كل العيوب لأن كل انسان فيه خصلة غير حميدة • ولن ترى انساناً له صديق كامل خالص من العيوب •

أما الشاعر سالم بن وابصة فيرى أن الصفر عن زلات الصديق من المحرم

(١) هو المغيرة بن حنناء وحنناء لقب أمه واسمها ليلى — فهو المغيرة بن عمرو بن ربيعة بن أسيد بن عبد عوف التميمي — ويكنى " أبو عيسى " شاعر أموي أنفذ شعره في مدح المهلب وبنيه وخلد مآثرهم وذكر حروبهم للأزارقة • وكان بينه وبين زهاد الأعجم — مناقضات • مات قتيلاً •
انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٤١٣ • والأغاني ج ١٣ ص ٨٤ • ومعجم الشعراء ص ٣٦٩ •

(٢) الأماشي لأبي علي الفاي ج ٢ ص ٢٥٦ •

الدرام ومن أخلاق الفضلاء فيوصي المرء بأن يتصف بها يقول (١) :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُكْرَمًا
أَدِيبًا ظَرِيفًا عَاقِلًا حُورًا
إِذَا مَا أَنْتَ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ
فَكُنْ أَنْتَ مُخْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُدْرًا

فالشاعر يوصي المرء ويقول له : إن أردت أيها الإنسان أن يشار إليك بالبنان من قبل الناس جميعا ، لحسن أخلاقك وأدبك الجم وعقلك الراجح فاعف عن زلات أخيك ولا تعاقبه عليها، واحتل في إيجاد عذر لزلته لكي تحملها عليه ، فان هذه الخصلة من أهم الصفات التي توهل المرء للعز والمجد .

أما بشار بن برد فإنه يحذر المرء من كثرة العتاب للأصدقاء لأنه سيفقدهم جميعا في هذه الحالة وسيبغضونه لسوء خلقه يقول (٢) :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الذِّى لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ
مَفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى
ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَفَارِقُهُ
...

فإن كنت أيها المرء ستعاتب أخاك في كل أمر يعمله وهو لا يرضيك سواء أكان صغيرا أم كبيرا ، أبغضك أخوانك ، وابتعدوا عنك فتصير فردا لا أخ لك ولا صديق

(١) الحماسة لأبي تمام ح ١ ص ٥٢١ .

(٢) ديوانه ح ١ ص ٣٢٦ .

فارض بهذه النتيجة الحتمية واقع بها ، أو حسن خلقك وصل اخوانك والى جانبك لهم ولا تكثر معاتبتهم ، لأجل أن يكثر حولك الاخوان .

واعلم أن أى صديق لك سيفترف ذنباً فى يوم من الأيام ، وستجده يبتعد عنه فى مرة أخرى فهذه بتلك ولا تؤاخذ من جانب الإساءة وتنسى جانب الإحسان .

وتدبر هذه الحكمة واجعلها نصب عينيك ، وهى إن لم تشرب الماء الكدر مرات عديدة ستظلم فى يوم من الأيام لعدم وجود الماء الصافى النقى دائماً ومن الرجل الذى تصفو مشاريه فى هذه الحياة الدنيا على الدوام ، فعلى ذلك ، أقبل إساءة صديقك بصدر رحب واحتملها منه مرات عديدة فإنك إن لم تقبل ذلك منه تفرق الناس عنك وابتعدوا منك لعدم تحملك لهم .

ومحمود الوراق^(١) يوصى المرء بأن يقبل عشرات صديقه ويصفح عن زلله يقول^(٢) :

لَا يَزْ أَعْظَمُ مِنْ مَّسَاعِدَةٍ * فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَفَا قَالَتْ هَفْوَتُهُ * حَتَّى يَمُودَ أَخَا كَعَادَتِهِ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ * أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ

...

اعلم أيها المرء أن من أعظم وجوه البر مساعدة الصديق صديقه ، فإذا ساعدك أحد أصدقائك فاشكر له هذا العمل النبيل ولا تنسى فضله ومعروفه عليك .

(١) هو محمود بن الحسن الوراق الشاعر ، شاعر عباسى ، أكثر شعره أمثال

وحكم ومواعظ وأدب وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس ،

توفى حوالى سنة ٢٣٠ هـ .

انظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٦٦ . وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٨٧

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٣١٣ .

وإن هفا هفوة أو اخطأ عليك فاصف عنه ، واسترغه حتى يعود إلى أخلاقه الحسنة التي عرفت بها منه فالصفح عن أخطاء صديقك وزلاته وإن شق عليك خير لك من معاندته ومعابته التي قد تؤدي بكما إلى اللجاج والمعاندة فيصير أمركما وودكما إلى الفرقة والتباعد .

وللشاعر سعيد بن حميد ^(١) وجهة نظر في معاملة الإخوان مغايرة لما سبق حيث يقول ^(٢) :

إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ مَنْ خَلِيلٍ
فَقِفْهُ بِسَيْنٍ وَصَلِّ وَاجْتَنِبِ
وَأَنْظِرْهُ ، فَلِلْأَهَامِ حُكْمٌ
بِذَلِكَ كُلِّ مَا ضَى الْعِزُّ نَابِ
وَعَاتِبَهُ ، فَكَمْ أَبْدَى عِتَابُ
جَلِيلَةٍ مُشْكِلٍ بَعْدَ ارْتِهَابِ
وَرَجَّ النَّفْعَ فِي الْإِعْرَافِ عَنْهُ
إِذَا أَخْفَقْتَ مِنْ نَفْعِ الْعِتَابِ
وَرَاجِعُهُ بِتَغْفِكَ حَسَنَ بَشِينِ
عَنَانًا لِلرَّجْوِ أَوْ الْإِهَابِ
فَإِنَّ الْهَفْوَ عَنْ ذِي الْحِزْمِ أَوْلَى
وَإِذَا قَدَرْتَ هَذَاكَ عَلَى الْعِقَابِ
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ لِلْحَيِّ ذَنْبًا
وَتَعْدَمُ ذَنْبٌ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ

(١) سعيد بن حميد بن سعيد بن حميد بن بحر ، يكنى بأبي عثمان ، من أولاد الدهاقين ، أصله من النهروان ، شاعر عباسي ، وكاتب مترسل ، حسن الكلام ، غلب الالفاظ مقدما في صناعته . انظر ترجمته في الأغاني ج ١٨ ص ١٥٥ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٨٠ .

(٢) الصدائفة والصديق ص ١٤٥ شرح وتعليق على متولى صلاح نشر مكتبة الآداب القاهرة مصر .

يقول الشاعر موصيا المرء : إذا كثرت زلات صاحبك وخطاياها ، فلا تتعجل معاقبته وعذله ، وكن وسطا بين وصله وهجره ، وأمهله قليلا حتى ينكشف لك أمره وتبين حقيقته فالأيام قليلة بذلك ، وعاقبه عتابا رفيقا ، فكم أوضح العتاب حقائق كانت خافية أو مشكوكا فيها ، وإن لم ينفع معه العتاب ، وبات محاولتك بالاخفاق فاعرض عنه لعل الإعراض يجدى معه ويجعله يهرب إلى رشده ، فإن رأيت منه ليئا وميلا نحو مودتك ورغبة صادقة في ذلك فقابل ذلك منه بالصفح عما بدر منه تجاهك من إساءة .

واعلم أن العفو والمغفرة عن إساءة الأخ عند القدرة على العقاب أولى وأجدر ولا يصنع ذلك إلا الرجل الفاضل الحليم ، واعلم أيضا أنك ستجد لجميع الأحياء ذنوبا ومساوي ولن يخلو إنسان حي من هذه العيوب والذي يخلو من الذنوب والمعائب إنما هو الميت المدفون في قبره .

أما البحترى فانه يوصي الانسان أن يقبل اعتذار أخيه مهما كانت الحال يقول (١) :

اقْبَلْ مَعَادِيْرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيهَا قَالَ أَوْ فَجَرًا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ
وَقَدْ أَضَلَّكَ مِنْ بَعْضِهِكَ مُسْتَتِرًا
خَيْرُ الْخَلِيلَيْنِ مَنْ أَغْنَى لِسَاحِبِهِ
وَلَوْ أَرَادَ انْتِصَارًا مِنْهُ لَانْتَصَرَ

...

فعليك أيها الانسان أن تقبل اعتذار صديقك إذا ما اعتذر عن خطأ اقترفه في حقك سواء أكان صادقا في اعتذاره أم كاذبا ، فما دام قد أتى اليك معتذرا

(١) ديوانه ج ٢ ص ١١٠٥ .

فاقبل عذره ولا تُدِمْ هجرك وعتابك له ، لأن من أتى يسترضيك ولو في الظاهر فهو مطيع لك وسيدوم وده لك ومن عصاك وأساء اليك في الخفاء فليس بأخ لسك وسيبتعد عنك في لحظة من اللحظات .

واعلم أن خير الخليئين هو الذي يفضى عن زلات صاحبه ويصنع عنها مع قدرته على الانتصار منه ، ولكنه يوتر الصفع على الأخذ بالنار والمعاملة بالمثل لحسن خلقه وتعام فضله .

أما أبو هلال العسكري فانه يوصي المرء أن لا يكثر من ذكر مثالب إخوانه حتى يسلّموا له ولا يبتعدوا عنه يقول (١) :

لَا تَعْتِدْ نَفْسَ الْعَيُوبِ وَبَشَّهَا
يَسْلَمَ لَكَ الْأُخْوَانُ وَالْأَصْحَابُ
وَإَشْدُدْ يَدَيْكَ بِمَا يَقِلُّ مَعَابُهُ
مَا فِيهِمْ مَنْ لَيْسَ فِيهِ مَعَابُ
...

فاجتنب أيها الانسان فضح عيوب إخوانك وبشها بين الناس وإشاعتها لهم لكي يدوم لك الخلان والأصدقاء ويستمروا في اخوتهم لك ، ويبقى الود بينكم .

واشدد يدك على الأخ الفاضل صاحب العيوب القليلة ، فليس هناك أخ أو صديق إلا وفيه عيوب ولكن المرء يحرس على من قلت عيوبه وكثرت مناقبه .

(١) ديوان أبي هلال العسكري ص ٥١ .

وفى أبيات أخرى يطلب الشاعر من الإنسان أن يدارى صاحبه وينفضى
عن بعض أخلاقه السيئة يقول (١) :

أَلَا إِنَّ خِلَانَ الْفَتَى إِنْ عَدَدْتَهُمْ
كَثِيرٌ وَلَكِنْ أَيْنَ خِلٌ مُوَافِقٌ
فَنَظَرُ عَلَى قَبْحِ الْمِرَاةِ مِنْهُمْ
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مِرَاةٌ مُنَافِقٌ
أَلَمْ تَرَنِى صَادَقْتُ كُلَّ مُدَاهِنٍ
فَإِنْ لَمْ أَصَادِقْهُ فَمَنْ ذَا أَصَادِقُ

...

يقول الشاعر : إخوانك أيها الإنسان وخالنك كثيرون ، ولكن لو بحثت بينهم
عن خل يوافق هواه هواك أو أخ ناصح لتعذر عليك وجوده ببسروسهولة ، فعلبك
أن تغض عنك عن قبح مراءاتهم وتتغاضى عن ذلك ، لأن غالب الأصدقاء قد وقع
فى هذه الصفة القبيحة - صفة المراءة والنفاق - ولو اجتنبهم المرء بسبب هذه
الصفة لم يجد من يصاحبه ويصادقه ، وانظر إلى حالى فإنى قد قبلت ورضيت
صحبة كل منافق ومداهن لانعدام الأخ الصادق الناصح الذى يحرم المرء على
مواخاته ولو لم أصاحب هؤلاء لقعدت وحيدا ليس لى صاحب أو خليل ، وهذه
نظرة مليئة بسوء الظن والتشاؤم من الناس وكأن الشاعر يرى أنه الوحيد الخالى
من الميوب والنقائص .

وبعد هذا العرض لشعر الوصايا الإخوانية فى جانب الحث على حسن
معاملة الإخوان ومداراتهم نرى أن الشعراء قد أوصوا المرء باجتنب كثرة العتائب ،
لان ذلك يهدم الأخوة ويفسد الود وأوصوا المرء أن لا يهجر أخاه لمجرد زلة واحدة

(١) المصدر السابق ص ١٦٦ .

وبينوا أن الصفح والعفو عن زلات الصديق من صفات الكرام الفضلاء • كما أنهم
حنوا على مداراة الصديق واحتمال بعض العيوب التي يتصف بها • لانعدام
الرجل الكامل الخالي من العيوب • وأوصوا المرء كذلك بالبعد عن إفشاء عيوب
إخوانه وإشاعتها بين الناس حتى يسلم له الإخوان •

وبعضهم أوصى الإنسان الذي ابتلى بأخ كثير الزلات أن يكون في موقف
وسط بين هجره ووصله • وأن يمهل بعض الوقت حتى تنكشف له حقيقة • وأن
يعاتبه عتاباً رقيقاً لعمل ذلك يجدى معه • فإن لم ينفع فليهجره وليبتعد عنه
فإن أتى يعتذر إليه ورغب في وده فليصفح عن زلته ويغفر عن خطيئته فإن
العفو عند المقدرة من صفات الكرام •

٣ - وصايا العلاقات الاجتماعية الخاصة :

لقد وجه شعراء الوصايا الإخوانية إلى اخوانهم وأصدقائهم بعض النصائح التي تشتمل على معان سامية عديدة مثل الحث على التخلق بالأخلاق الفاضلة والبعد عن إخوان السوء ، وكذلك النهي عن اشغال الفتنة وإثارة الحقد في النفوس والحث على إباء الضيم ، وكذلك الوصية على حسن المعاملة مع أفراد القبيلة وعدم البعد عنهم وغير ذلك من المعاني التي سألينها فيما يأتي .

فالشاعر أوس بن حجر ^(١) يرسل لأحد إخوانه رسالة يحثه فيها على لزوم جماعة القبيلة وترك شتمها وسبابها يقول ^(٢) :

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغْ
يَزِيدُ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ مَا أَنَا قَائِلُ
بِأَمْرِ أَنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَأَنْتَ
سِوَى الْحَقِّ مَهْمَا يَنْطِقُ النَّاسُ بِاطِلُ
فَقَوْمَكَ لَا تَجْهَلْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
لَهُمْ هَرِشًا تَغْتَابُهُمْ وَتُقَاتِلُ ^(٣)
وَمَا يَنْهَضُ الْبَارِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ
وَلَا يَحْمِلُ الْمَاشِيْنَ إِلَّا الْخَوَاصِلُ

(١) هو أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله التميمي ، شاعر جاهلي مقدم ، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من طبقات الشعراء الجاهليين ، قال إنه نظم في الطبقة الأولى ولكنه اقتصر في كل طبقة على أربعة رهط ، وقال عنه أبو عمرو ابن العلاء كان أوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه ، وكان أوس عاقلا في شعره كثير الوصف لمكانم الأخلاق ، وهو من أوصفهم للحمر والسلاح ولا سيما القوس وقد سبق إلى دقيق المعاني وأمثال كثيرة .

انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ص ٩٧ ، الشعراء والشعراء ص ٢٠٨
(٢) ديوانه ص ٩٩ تحقيق محمد يوسف نجم الطبعة الثانية نشر دار صادر بيروت سنة ١٣٨٧ هـ .

(٣) الهرش : المائق الجاني .

ولا سَابِقُ الا بساق سليمة
ولا بَاطِشٌ ما لَمْ تُعْنَهُ الانَامِلُ
إذا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَاءِ
أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

...

فالشاعر يوجه نصيحة إلى أخيه يزيد بن عبد الله ويقول له اعلم أني لم
أخنك حينما نصحتك وأرشدتك وأن جميع ما ينطق الناس به باطل سوى الحق فإنه
غير باطل وقولي الذي سأنصحك به من الحق فافهمه واتبع سبيله ، فلا تستغف
بقومك وتجهل عليهم ولا تكن جافيا لهم تفتابهم في مجالسك وتناصبهم العداء ، فإنك
بأمس الحاجة لهم ، فاقرب منهم وصالحهم فإن بني قومك هم ساعدك الأيمن الذي
يعينك إن أصابتك مصيبة وهم جناحك الذي تخلق فيه والدرع الواقى لك من الأعداء
فالصقر لا يستطيع الطيران من غير جناح ، وكذلك البشر لا يستطيعون السير
بغير أرجل تحملهم ، ولا يكسب الرهان في السباق سوى الجواد السريع صاحب
الساق السليمة ، ولا يستطيع الانسان أن يبطش بيده ما لم تعنه أنامله ، فكل
محتاج إلى مساعد لتحقيق ما يريد ، فأنت محتاج ، إلى قومك لمساعدوك ويسوءوك
فكن فردا منهم لك ما لهم وعليك ما عليهم ، واعلم أنك إن لم تجتنب الجهل
والخنا والأخلاق الرديئة أصبت رجلا حلِيمًا باسألتك إليه أو اعترض لك رجلا
جاهل فأصابك بسوء ، فاحذر من ذلك وابتنع عن الأخلاق الرديئة .

أما أبو ذؤيب الهذلي (١) فإنه يرسل إلى أخيه معقل بن خويلد رسالة

(١) هو خويلد بن خالد بن محرث الهذلي شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلمه
وكان راوية لمساعدة بن جؤيمة ، وكان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر
مثل حسان بن ثابت رضى الله عنه عن أشعر الناس قال حياً أو رجلاً فقيل
حياً قال أشعر الناس حياً هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب ، مات
وهو في الغزو ناحية المغرب مع عبد الله بن الزبير .
انظر طبقات فحول الشعراء ، ص ١٢٣ والشعر والشعراء ، ص ٦٥٧ .

ينهاه فيها عن إشعال الفتنة والبعد عن الكلام الذى يثير الأحقاد يقول (١) :

أَبْلَيْتُمْ لَدَيْكُمْ مَعْقِلَ بْنَ خُوَيْلِدٍ
مَلَايِكُ يُهْدِيهَا إِلَيْكُمْ هُدَاتُهَا (٢)
عَلَى إِثْرِ أُخْرَى قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ أَنْتَ
إِلَيْكُمْ فَجَاءَتْ مُقْسِعِرًا هَوَاتُهَا
وَقَدْ عِلْمَ الْأَقْوَامِ أَنَّكَ سَيِّدٌ
وَأَنْتَ مِنْ دَارٍ هَدِيدٍ حَصَاتُهَا
فَلَا تُتَّبِعِ الْأَقْعَى إِلَيْكَ تَنُوشُهَا
وَدَعَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا
وَأَطْفَى وَلَا تُوقِدْ وَلَا تَكُ مُحْضِيًا
لِنَارِ الْعَدَاةِ أَنْ تَطِيرَ شَكَاتُهَا
فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا قُوَى لَهَا
إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللَّسَانِ انْفِلَاحُهَا
وَمَوْفَعُهَا ضَخْمٌ إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ
وَلَوْ كُتِبَتْ كَانَتْ بِسِيرًا كُفَاتُهَا (٣)
وَلَمَّا تَطَبَّ نَفْسُ بَارِسَالِهَا لَكُمْ
وَهَلْ يَنْفَعُنْ نَفْسِي إِلَيْكُمْ أَنْتُهَا

...

فالشاعر يقول : يا أيها الفادى إلى صديقى وأخى معقل بن خويلد
أبلغه هذه الرسالة التى أهديتها له ، وهذه الرسالة أيها الأخ ليست الأولى التى
أرسلتها لك إنما هى تالية لأخرى أرسلتها إليك ، ولكك لم تتقبلها قبولا حسنا ولم
تقع منك موقعا طيبا ، وليس بخاف على أحد عزك وشرفك وأنت رجل عزيز شريف سيد

(١) ديوان شعر الهذليين ج ١ ص ١٦٦ نسخة صورة من طبعة دار الكتب ١٩٦٤م

نشر دار القومية - القاهرة .

(٢) ملائكة : رسائل .

(٣) كفت : حبست .

فالشاعر يقول : أبلغ أيها الراكب إلى منازل أبي سلى رسالة تفزعه وتنبيهه إلى ما هو غافل عنه ، على ما بيننا من بعد الأمانة وهذه الرسالة أيها صاحب من رجل ناصح لك يبتغي لك الخير والصلاح ، فإن أراد هؤلاء القوم الذين حللت بينهم أن يهينوك أو يدنسوا عرضك فلا تطعمهم ، وابلخل بعرضك وصنعهم ولا تقترب مما يحضونك على غشيانه من الأمور التي تدنس العرض ، وإن أنزلوك منزلاً غير لائق بك غليظاً غير وطني ، يد من ركب الأبل إن بركت به يهدون أذالك فلا تنزل به وتحول عنه وإن أجهدك ذلك ، واحذر مما يقدمون اليك من طعام وشراب فلا تأكل أو تشرب منه ، فإنهم وإن كانوا مظهرين لك القرابة والنصح يطعمونك السم المثل الذي خلط به ما يهيجه ويقويه لكن يسرع في هلاكك .

وبعد ذلك يقدم الشاعر لصاحبه دليلاً واضحاً على عداوتهم له ثم يبين له أنه إن لم ياب الضيم بعد هذه الدلائل فهو كالبحير الذي يستقى عليه يقول (١) :

أَبْعَدَ الْإِزَارِ مَجَسَّدًا لَكَ شَاهِدًا
أُنْتِ بِه فِي الدَّارِ لَمْ يَنْزِلْ (٢)
أَرَاكَ إِذَا قَدْ صِرْتَ لِلْقَوْمِ نَاصِحًا
يُقَالُ لَهُ بِالْغَرَبِ أَدْبَرٌ وَأَقْبَلُ (٣)
فَخُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَرِيْزِ بِخَطِيئَةٍ
وَفِيهَا مَقَالٌ لَا مَرِيءٌ مُتَذَلِّلٌ

...

فهل تريد شاهداً على مكرهم وغشهم بعد ظهور أمرهم وانكشاف حقيقتهم عند ما أنت بقميص ابن عمك مخضبا بالدم قد يبس عليه فهذا أكبر شاهد وأعظم دليل على مكرهم ، فاحذرهم ولا تخالطهم وإن لم تسمع نصيحتي وتتخذ وصيتي فقد

-
- (١) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٢٤٤ .
(٢) مجسداً : المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران وقصد الشاعر هنا الثوب الملطخ بالدم .
(٣) الناصح : البحير الذي يستقى الماء من البئر .

صرت مثل البعير الذى يستغى عليه فَيَأْمُرُ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وهو مطيع ينفذ ما ينأط به • فهم يسمونك العذاب والهوان وأنت تتحملة وتتقبله •

وبعد • فإنى قد اعدت منك ووكلتك إلى نفسك فارضى بما يكاد لك واعلم أن ذلك مما يجعل الرجل الذليل بطبعه يهيب على من اتصف بذلك فكيف بالرجل العزيز •

وأبو الأسود الدؤلى يوجه وصية إلى أخيه حوثره بن حكيم يحثه فيها على اجتناب مواخاة اللئام وعلى التخلق بالأخلاق الفاضلة يقول (١)

لَيْتَ سَمْعِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي
غَالَسَهُ فِي الْحُبِّ حَتَّى وَدَّعَهُ
لَا تَوَاحِ الدَّهْرَ جِسًّا رَاضِعًا
مُلْهَبَ الشَّدِّ سَرِيعَ الْمَرْعَةِ
مَا يَنْلُ مِنْكَ فَأَخْلَى مَنِّمٍ
وَهَرَى ظَرْفًا بِهِ أَنْ يَنْعَمَ
يَسْأَلُ النَّاسَ وَلَا يُعْطِيهِمْ
هَبْلَتُهُ أُمَّةً مَا أَجْفَعَهُ

...

فعليك يا أخى أن تتبعد عن مواخاة اللئيم الخائن س • الخلق الجبان الذى لا يصبر على أقل زلاتك • فإذا ما بدر منك خطأ أسرع بالتهجم واللوم عليك فيوقعك فى جدال لا فائدة منه • وهذا الرجل اللئيم يحاول جاهدا أن يهيب منك أى مال ويعد ذلك من الذ وأطيب المغانم وإذا جثته تطلب حقوقك منه منع ذلك وأبى • وهى أن يمنعه منك نظرفا منه ود مائة خلق • ومقصده من وراء ذلك الطمع

(١) ديوانه ص ٦٣ •

فليس فيه فائدة مرجوة ، لأن في الحق لدى الحق سعة ، والزم الصمت ما دام الصمت أولى ولم تكن هناك حاجة للحديث فإن الصمت راحة للعاقل ، ومن سمعك عن سماع الفواحش والخنا ، قرب إنسان يهذر بحديث لا فائدة منه ، لا يضر المرء عدم سماعه بل ذلك خير لك وأصلح .

وللشاعر أبيات أخرى وجهها إلى أحد إخوانه بعد أن تقلد شئون إمارة إحدى الجهات يوصيه فيها بحسن معاملة الناس والحفاظ على الأخوة والصدائقة يقول (١) :

إِذَا نِلْتَ الْإِمَارَةَ فَاسْمُ فِيهَا
إِلَى الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرِ الْوَثِيقِ
وَلَا تَنْكَ عِنْدَهَا حُلُومًا فَتَحَسَّ
وَلَا تُرَا فَتَنْفَسَ فِي الْحُلُوقِ
فَكُلْ إِمَارَةً إِلَّا قَلِيلًا
مُفَسِّرَةَ الصَّدِيقِ عَلَى الصَّدِيقِ
...

فإذا وليت الإمارة يا أخي فارفع من شأنها واسم فيها إلى العلماء بالجد والإخلاص في العمل ، وعامل الناس معاملة حسنة وكن وسطا في شدتك ولينك فلا تكن شديدا قويا فيتأذى منك الناس ويعملون على إبعادك لسوء معاملتك لهم ، ولا تكن ضعيفا متسامحا في جميع الأمور فيستخف بك الناس وتضيع هيبة الإمارة فلا تستطيع أن تمسك بزمام الأمور مرة أخرى ، بل كن حليما متسامحا في بعض الأمور ولكن نفس ساعة الجد كن أسدا كاسرا .

وحافظ على صداقتك لإخوانك ولا تفرط فيها بعد أن تلى الإمارة ولا تتسك

(١) ديوانه ص ١٦٠ .

إياهم فإن الامارة في أغلب الأوقات تغير الاخوان على بعض .

وعبيد الله بن قيس الرقيات ^(١) بوجه وصية إلى ابن هرمة يحثه فيها على حسن معاملة بني قومه وعلى لزوم معشر قبيلته وهذه الوصية مشابهة لما سبق أن رأيناه في قصيدة أوس بن حجر يقول ^(٢) :

وقومك لا تَجْهَلْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
بِهِمْ هَرِماً تَغْتَابُهُمْ وَتُقَاتِلُ ^(٣)
فَإِنَّ امْرَأً فِي مَعْشَرٍ غَيْرِ قَوْمِيهِ
ضَعِيفُ الْكَلَامِ شَخْصُهُ مُتَضَائِلُ
إِذَا شَاءَ لَمْ يَبْسُطْ لِسَاناً وَلَا يَدَا
وَلَمْ تَنْبُ عَنْ ذِي صَفْحَتَيْكَ الْمَعَابِلِ ^(٤)

...

فعليك يا أخي أن تحسن معاملتك مع بني قومك ولا تكن رجلاً ماثفا خائفاً تغتابهم وتناصبهم العداء . فإنك في أمس الحاجة إليهم فالإنسان في غير بني قومه مستضعف ذليل لا يستطيع أن يقوم بشئ عميل . فليس بمقدوره أن يتحدث بشئ أو يهدي رأياً لا يستخفاف القوم له واحتقارهم إياه . ولا يستطيع أن يبسط لسانه ولا يده بشئ . ولم تخطئه الرياح المشرقة نحوه لعدم وجود المدافع عنه والمانع له من الضيم والذل والهوان .

(١) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة لقب بالرقيات لأنه كان يشب بثلاث نسوة يقال لهن جميعاً رقية والجمع يقول إنما نسب إلى الرقيات لأن جدات له توالين يسمين رقية شاعر أموي كان زهير الهوي خرج مع مصعب ابن الزبير على عبد الملك فلما قتل مصعب وقتل أخوه عبد الله رضي الله عنهما هرب ولجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فسأل عبد الملك في أمره فأمنه وكان يعد شاعر قريش في الاسلام وعده ابن سلام في الطبقة السادسة من طبقات الاسلامين . انظر ترجمته في طبقات فحول الشعراء ج ٢ ص ٦٤٧ والشعر والشعراء ج ١ ص ٥٤٦ والأغانى ج ٥ ص ٧٣ .

(٢) ديوانه ص ٥١ تحقيق د / يوسف نجم نشر دار صادر بيروت سنة ١٣٧٨ هـ .

(٣) نسب إلى أوس بن حجر وأثبت في ديوانه ونسب أيضاً إلى عبيد الله الرقيات .

(٤) المعابل : المعبل النصل العريض الطويل .

وبعد . . هذا ما حصلت عليه من شعر الوصايا الإخوانية في جانب
العلاقات الاجتماعية الخاصة ، ونجد أن الشعراء قد أوصوا إخوانهم بوصايا تضمنت
معاني عديدة ، فأوصى بعضهم أخاه بحسن معاملة أفراد القبيلة وعدم التفرد
والانقطاع عنهم ، وحثه على لزومهم ومخالطتهم ، وكذلك أوصوهم بالابتعاد عن
الكلام الفاحش الذى يشمل الحروب ويحز في النفوس ، وأوصوهم بإيلاء الضيم ،
والنفور من الذل والهوان وكذلك أوصوهم بالصدق في الحديث والبعد عن
الكذب وعدم مخالطة اللئام والخونة . وحثوهم على الوفاء بالعهود ولزوم الصمت
في غير الحق ، وكذلك تضمنت الحث على السمو بالإمارة والحفاظ على الصداقة .

الوصايا الزوجية

من الاتجاهات التي اتجه اليها شعر الوصايا " الوصايا الزوجية " وهي تلك الأفعار أو المقطوعات التي وجهها الشعراء لأزواجهم يوصونهم فيها بالكرم وقرى الضيف أو عدم الاقتران بعد وفاتهم - إن أردن الزواج - الأبرجل سهم كريم أو يوصونهم بالقناعة والكف عن طلب الزهادة في النفقة .

وهذا الاتجاه في شعر الوصايا قليل جدا ولم أعثر إلا على مقطوعات يسيرة سأعرضها فيما يلي إن شاء الله .

١ - الوصايا الزوجية في جانب الكرم :

لقد أوصى بعض الشعراء أزواجهم على الكرم وقرى الضيف وسرعة الاتيان به
إليه وذلك راجع إلى سجيتهن في الكرم .

وتعد وصيتهن لأزواجهن بذلك حرصا منهم على الكرم ومبالغة فيه ومفخرة
لهم .

فعمارة بن عوف العدواني ^(١) يوصي زوجه بالكرم وبذل القرى للضيف ورعاية
الجار والقيام بحقوقه يقول ^(٢) :

تقولُ لى عَمْرَةَ ما الَّذِي
تَهْدِي بِهِ وَالسَّرَّ وَالْجَهْرَ
قُلْتُ لَهَا وَالْجُودُ مِنْ شَيْمَتِي
أَمْزَكُمْ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
يُضَيِّفُكُمْ إِنَّا لَهُ حُرْمَةٌ
فَاغْتَرُوا ضُيُوفِي فَحَدَّ الْجَزْرُ
وَارْعُوا لِجَارِ الْبَيْتِ مَا قَدْ رَعَى
قَبْلَكُمْ ذَاكَ بَنُو عَمْرِو
قَوْمُوا لِضَيْفٍ جَاءَكُمْ طَارِقًا
وَجَارِكُمْ بِالنِّسَى وَالْخَمْرِ
وَذَبُّوا مَنْ رَامَ جِيرَانَكُمْ
بِالسُّوءِ بِالْبُئْرِ وَالسُّمْرِ

(١) هو عمارة بن عوف العدواني ، ثم أحد بني وابلش ، كان كاهنا أدرك عمر بن
الخطاب رضي الله عنه أول ما ولي ، وهو شيخ قد ذهب بصره وخرف وأولع
بالهذيان يقول أغفروا ضيفكم .

انظر المعمرون والوصايا ص ٣٨ .

(٢) المعمرون والوصايا ص ٣٨ .

وَاخْشَوْهُمُونَا فِي الْحَرْبِ إِنْ أَوْقَدَتْ
بِكُلِّ خَطِّئِي وَذِي أَثَرٍ
وَلَا تَهَيَّؤُوا الْمَوْتَ إِنْ أَقْبَلَتْ
خَيْلٌ تَعَادَى سَكَنَ الدَّبْرِ
...

فالشاعر يقول لزوجته : أوصيك في حالة عسركم ومسيركم بالقيام بحق الضيف وأداء واجبه فإن له حرمة وواجبا ، فمجلوا بتقديم القرى له ، وليكن قراء الجزر السينة العظيمة .

وارعوا جاركم فإن للجوار حقوقا كذلك ، وقدموا للضيف الطارق والجار الكريم اللحم غير النضيج من الإبل السينة - مبادرة له بالأكرام - (١) والشراب المعتق من الخمرة ، ومن رام جاركم بسوء فامنعوه من ذلك ولو بالسيوف والرماح ، وإن أوقدت حرب فاركبوا أهوالها واخشوها لها ، ولا تخافوا من الموت إن أقبلت خيل نحوكم بل قاتلوا أهلها واقضوا عليها .

وواضح أن الشاعر لا يوصي زوجته فقط ، بل أنه يوصي أولاده كذلك ، وذلك من وصيته لأهمهم ، لأن ركوب الخيل والحرب والقتال وحماية الجار من أعمال الرجال وليست من أمور النساء .

أما قيس بن عاصم فإنه يوصي زوجته بأن لا تقدم الطعام له، إلا بعد أن يجد رجلا صاحبها له في الأكل، إما أحد جيرانه أو أحد الضيفان يقول (١) :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ

(١) من عادة العرب أكل اللحم من غير إنشاج ومن ذلك قول الشاعر عبدة بن الطيب :

وردا وأشقر لم ينهته طابخه ■ ما غير الغلى منه فهو مأكول
المفضليات : ١٤١ .

(٢) رغبة الآمل من كتاب الكامل ج ٥ ص ١٤٥ والأبيات ١ - ٢ - ٣ - ٦ فسي
الغاني مع اختلاف في الألفاظ ج ١٤ ص ٧١ .

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِ لَهُ
 أَكْثَلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي
 قَصِيًّا كَرِيمًا أَوْ قَرِيبًا فَإِنِّي
 أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَخَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَكَيْفَ يَسِيغُ الْمَرْءُ زَادًا وَجَارَهُ
 خَفِيفَ الْمَعْسِ بَادِي الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ
 وَالْمَوْتَ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِيلٍ
 يُمَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكْمَلِ عَلَى عَمْدٍ
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّهِيفِ مَا دَامَ ثَاوِيًّا
 وَمَا مِنْ خِلَالِي غَيْرَهَا شَيْئُهُ الْعَبْدِ
 ...

فالشاعر يقول : إذا ما أردت تقديم الزاد لي فلا تأتيني به وحدي ،
 ولكن ترقبني وصول ضيف طارق أو دعوة جار كريم سواء كان قريباً أم بعيداً ، فإنني
 لست ممن يأكل الزاد وحده بل لابد من مشاركة أحد لي في طعامي فإنني أخاف
 على عرضي من الظم في حياتي وبعد مماتي ، وكيف يأكل المرء طعامه ويستسيغه وله
 جار فقير قد أضر به الجوع ؟ إن ذلك ليس من العروة والشهامة .

واعلم أنني لست ممن يقوم بالنظر إلى مواضع أكل ضيفه ، فهذه الخصلة
 من صفات البخيل ، والموت أهون على الحر من زيارة رجل بخيل يرقب أكل ضيفه .

وإنني أيتها الزوج العزيزة لمن يتدلل لضيفه وكأنني عبد لديه بأمرئسي
 وينهاني ، وهذه هي الخصلة الوحيدة التي اتصف بها من صفات العبيد .

والشاعر عوسجة بن نصر المرهقي ^(١) يوصي زوجه بأن تعجل لضيفه القرى وأن

(١) هو عوسجة بن نصر المرهقي ، من معاوية بن قشير ، شاعر جاهلي مقل اشتهر
 بكرمه ، لم أجد له سوى هذه الترجمة نقلاً عن شعراء بني قشير ح ٣٢

لا تشغل بأمر حتى تقدم الزاد للضيف يقول (١) :

أَعْدَى فِرَى يَا أُمَّ نَصْرٍ فَعَجَلِي
لِمَنْ ضَافَنَا نُسَمِّ افْرِضِي لِعِيَالِكَ
أَلَا إِنَّ جَدِّي كَانَ أَوْصَى بِهَ أَبِي
قَدِيمًا وَأَوْصَانِي أَبِي مِثْلَ ذَلِكَ

...

فإذا حل بنا ضيف فأسرعى يا أم نصر بأعداد القرى له ولا تشغلى بأمر قبل إعداد الطعام له حتى ولو كان ذلك العمل متعلقاً بأولادك ، فالضيف أولى من الأولاد فإذا أتممت صنع الزاد وقدمته له فالتفتى لأولادك وشأنهم ، فإننا قد توأصينا بذلك منذ القدم فجدى أوصى أبى بسرعة تقديم القرى للضيف وأبى أوصانى كذلك فهذه سجيئتنا وهذا طبعنا .

فمن خلال ما سبق نرى أن الشعراء قد أوصوا أزواجهم بسرعة تقديم القرى للضيف والقيام بأمره ، وكذلك حسن المعاملة للجار وأوصوا أزواجهم كذلك بعدم تقديم الطعام إلا بعد حلول ضيف أو إتيان أحد جيرانه لمشاركته أكل الزاد لأنه لا يستسيغ أكل الطعام وحده لتعوده على الكرم .

(١) شعراء بنى قشير فى الجاهلية والاسلام حتى نهاية العصر الاموى ج ١ ص ٢٧٦ ، د / عبد العزيز محمد الفهمل

٢ - الوصايا الزوجية في جانب الحث على القناعة وحسن المعاملة :

من أهم المشكلات الزوجية شراة بعض النساء وطلبهن للنفقة الكثيرة ، وقد لا يكون بمقدور الزوج تقديم كل ما تطلبه منه زوجه ، وكذلك إدامتها العتاب ، وإنكار الجميل للزوج ، ولذلك فقد أوصى بعض الشعراء أزواجهم بالقناعة والرضا بالعيش والكفاف وأوصوهن كذلك بحسن المعاملة لهم وعدم إدامة العتاب .

فعبيد بن الأبرص يوصى زوجه بالقناعة وعدم الشراة ويطلب منها أن تشوب الى رشدها وقد غدت كبيرة في السن وهو لا يحفل بطلاقها من عدمه يقول (١) :

تِلْكَ عِرْسِي غَضِبِي تُرِيدُ زَهَالِي
 أَلَيْسَ بِي تُرِيدُ أَمْ لِدَلَالِ
 إِنْ يَكُنْ طِبُّكَ الْفِرَاقُ فَلَا أَحَدَ
 بَلْ أَنْ تَعْطِفِي صُدُورَ الْجَمَالِ
 أَوْ يَكُنْ طِبُّكَ الدَّلَالُ فَلَوْ فِي
 مَالِ الدَّهْرِ وَاللَّيَالِي الْخَوَالِي
 ذَاكَ إِذْ أَنْتِ كَالْمَهَاةِ وَإِذْ
 أَنْتِ نَفْسَانِ مُرْغِبَا أَذْهَالِي
 قَدَعِي مَطَّ حَاجِبَيْكَ وَيَعْمِي
 مَعَنَا بِالرَّجَاءِ وَالنَّامَالِ
 زَعَمْتَ أَنَّي كَبْرَتْ وَأَنْسَى
 قَلَّ مَالِي وَفَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي
 وَصَحَا بِاطْلِي وَأَصْبَحْتُ قَتِيمًا
 لَا يَوَاتِي أَمْثَالَهَا أَمْثَالِي

(١) ديوانه ص ١٠٦ .

أَنْ رَأَيْتَنِي تَغَيَّرَ اللَّسُونُ مِنِّي
وعلا الشهب مفرقسي وقد ألسي
فَارْفُضِي الْعَادِلِينَ وَاقْنِي حَيَاءً
لَا يَكُونُوا عَلَيْكَ خَطًّا مِثَالِ
وَبِحَظِّ مَا نَعِيشُ فَلَا تَذُ
هَبْ بِكَ التُّرَاهَاتُ فِي الْأَهْوَالِ
...

فالشاعر يوصي زوجه ويقول لها : إن كنت بغضبك على ترهدين فراقسي
فإني لا أحفل بذلك ولا أرتاع له ، فإن شئت فاذهبي واعطقي صدور جمالك ،
وإن كنت مدلة على بطلبك للفراق وترهدين معرفة منزلتك عندي فليس هذا أوانه
لقد فات الوقت المناسب للاختبار فلو كنت في ربحان شبابك وأنت كالمهابة وأنا
فتى جلد لكان لك الحق في ذلك ، ولكنك قد كبرت وتقدمت بك السن فاتركسي
الزراية على ، ودعي هذه النظرة الهازئة لقلة مالي وعيشي معي على الرجاء والأمل .

وقد زعمت أنني قد كبرت وقل مالي وبخل على أصدقائي وجيرانني بالمواساة
والمساعدة ، لأنه قد ذهب ما يستفاد مني وأصبحت كهلا لا يوافق أمثالك مثلي ، فهل
هذا راجع إلى أنك رأيت تغير لون شعري وانقلب المवाद منه إلى بياض . . فاعصني
المذال ولا تلقى بالآ لا أقول لهم ولا تجعلهم مثالا تفقدن بهم ، والزمن حيا لك ،
وصوني عرضك وعيشي معي على الكفاف ولا يأسر عقلك الأباطيل والترهات .

أما أبو الأسود الدؤلي فإنه يوصي زوجه أن لا تغلظ عليه في القول حين
غضبه لكي تكسب مودته ويدوم لها الصفاء يقول (١) :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي
وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوَرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

(١) ديوانه ص ١٤٩ .

فَاتَى وَجَدِيكَ الْحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَدَى
إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ

...

فيها زوجي العزيزة إن أردت أن تدوم مودتي ومحبتى لك ، فاعلى ما يرضيني واجتنبى ما يسخطنى ، وإياك ورفع صوتك فى وجهى حين اشتداد الغضب بسى فإن ذلك ما يسبب البغضاء ، وبغضب الحليم ، واعلى أن الحب والأذى إذا اجتمعا فى صدر امرئ ، وأتى ما يسبب النفرة والفرقة والبغضاء فإن الحب يرحل سريعا ، لاختفاء العاطفة والمقل عند سورة الغضب .

ويزهد بن حنابلة (١) يكتب وصية لزوجته أم عاصم يحثها فيها على ترك لومه لعدم ارساله الهدايا لها لأنه لم يقدر على تحقيق ذلك لانشغاله عن الدينها بالجهاد وترك أخذ المغنم يقول (٢) :

دَعِ اللَّوْمَ إِنَّ الْعَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
وَلَا تَعْجَلِ بِاللَّوْمِ يَا أُمَّ عَاصِمٍ
فَإِنْ عَجَلْتَ مِنْكَ الْمَلَامَةَ فَاسْمَعِ
مَقَالَ مَعْنَى بِحَقِّكَ عَالِمٍ
وَلَا تَعْدِلِينَا فِي الْهَدِيَّةِ إِنَّمَا
تَكُونُ الْهَدَايَا مِنْ فُضُولِ الْمَغْنَمِ
فَلَيْسَ بِمُهْنٍ مَنْ يَكُونُ نَهَارُهُ
جِلَادًا وَيَمْسُ لَيْلُهُ غَيْرَ نَائِمٍ

(١) هو يزهد بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التميمي من شعراء العصر الأموي ، كان من الخوارج ، خارجيا من الأزارقة .
انظر الاعلام ج ٨ ص ١٨٦ .

(٢) ديوان شعر الخوارج ص ٩٩

٣ - الحث على اختيار الزوج الكفء بعد موت الزوج عنها :

أوصى بعض الشعراء أزواجهم عندما أحسوا بالموت أن لا ينكحن بعدهم
إلا الرجال الأفاضل الأكفاء لهم إن أردن أن يتزوجن .
كما أنهم حذروهن من اللثام وأوصوهن بالبعد عنهم وذلك شفقة منهم على
أزواجهن .

فأمرؤ القيس بن مالك^(١) يوصى زوجه هند بأن لا تنكح بعد مماته - إن
أرادت الزواج - الرجل المتشائم ، الأحمق يقول^(٢) :

يَا هِنْدُ لَا تَنْكِحِي بُوْهَةً * عَلَيْهِ عَقِيْقَتُهُ أَحْمَسَهَا
مَرْسَعَةً وَسَطَ أَرْبَاعٍ * بِهِ عَسَمٌ يَنْتَفِيْسُ أَرْبَابَا
لِيَجْعَلَ فِي رِجْلِهِ كَعْبَهَا * حِذَارَ الْمَيْتَةِ أَنْ يَعْطَبَهَا

...

فالشاعر يقول لزوجه : إن أنا هلكت وأردت الزواج بعدى فلا تنكحي رجلا
أحمق لئلا يتشائما بخاف الموت وملاقاة الأبطال ، يبحث عن تهيئة يعلقها على
كعبه رجاء وتفاؤلا ، ولكن اقترنى برجل شجاع كريم صاحب صفات حسنة مغامرة
لصفات ذلك الرجل اللئيم .

أما حسان بن ثابت فهو يوصى زوجه بأن لا تقترن بعد مماته برجل لئيم حقود
يحسد عشيرته ويناصبها العداوة يقول^(٣) :

فَإِذَا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِي * خَذُولَ الْعَمِيرَةِ حَسَادَهَا

(١) هو امرؤ القيس بن مالك الحميري لم أجد له ترجمة سوى هذا الاسم .

انظر الموءتلف والمختلف ص ١٢ .

(٢) الموءتلف والمختلف ص ١٢ .

(٣) ديوانه ص ١٠٣ .

يَرَى مِدْحَةً فَمَنْ أَغْوَاضَهَا ۖ سَفَاهَا وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا
وَأِنْ عَاتَبْتَهُ عَلَى مِرَّتِي ۖ وَنَابَتْ مُبَيَّتَةً زَادَهَا

...

فلا تنكحى يا زوجى بعد مائتى رجلا لئلا سىء الأخلاق حتى مع قومه
وبنى جلدته ۖ يذمهم ويشتم أعراضهم ۖ ويرى ذلك مدحا وفخرا ۖ وإن أتى اليه قومه
يعاتبونه على سوء خلقه لعله يرعوى عن غيه أو نابتهم مصيبة فجأة زادهم مسن
السب والشتن فبدل مساعدتهم يحين عدوهم عليهم ۖ فإياك والافتتان بهذا الرجل
اللئيم ولكن كونى حليلة لرجل كريم صاحب خلق رفيع مناصرا لقومه سندا ودرعا
واقيا لهم من الأعداء ۖ

والشاعر هذبة بن الخشرم المذرى (١) يقدم وصية لزوجته يحثها فيها بالصبر
على المصيبة وأن لا تغترن بعد مقتله برجل حقير بخيل ولكن إن أرادت الزواج فسن
رجل كريم يقول (٢) :

أَقْلَى عَلَى اللَّوَمِ يَا أُمَّ بَوَزَعَا
وَلَا تَجْزَعِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
وَلَا تَنكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا
كَلِيلًا سِوَى مَا كَانَ مِنْ حَدِّ فَرَسِهِ
أَكْبَهْدَ مِطْطَانِ الْمَصِيَّاتِ أَرْوَعَا

(١) هو هذبة بن خشرم بن كرز من بنى عذرة ۖ شاعر أموى أصبح مقدم عند بادية
الحجاز ۖ كان راوية للحطيفة ۖ قتل قصاصا في المدينة المنورة لقتله زهادة
المذرى في قصته المشهورة في أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله
عنه ۖ

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦١٥ والأغانى ج ٢١ ص ٢٥٤ ۖ

(٢) الأغانى ج ٢١ ص ٢٦٩ ۖ

فَصْرُوبًا يَلْحِقَيْنِي عَلَى عَظَمِ زَوْجِي
إِذَا النَّاسُ هَشُّوا لِلْفِعَالِ تَفَنُّعًا
وَهَلَسَى بِذِي أُكْرُومَةٍ وَحَبِيبَةٍ
وَصَبَّرَ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَنِّي فَأَوْجَعَا

...

فالشاعر يقول : أيا زوجتي المعهزة لا تجزعي على ما آل اليه أمري وأصبري وتحملى ذلك ، ولا تنكحى بعد تفريق الموت بيننا وذهابى - ان أردت النكاح - رجلا لثيما جباناً بخيلاً ، لا يطعم أحداً ولا يضيف طارقاً لا يهتم إلا بنفسه فلا ينتفع أحد من ورائه ، وإذا أسرع الناس لفعل الخير والمعروف تغافل وتعامى عن ذلك ولكن حلى بذى أكرومة صاحب حسب ونسب غيور على محاربه تتأجج فى صدره الحمية صبور على الدهر ونوائبه .

وبعد هذا ما استطعت الحصول عليه من شعر فى هذا الجانب ونجد أنى الشعراء ركزوا فى وصاياهم السابقة لأزواجهم على البعد عن الاقتران - بعد سياتهم - بالرجال اللثام الجبناء البخلاء ذوى الأحقاد والضعفنة ولكن عليهن أن يخترن الرجال الكرام ذوى الحسب والنسب الرفيع الذين لا يخافون من المصائب إن حلت بل يقابلونها ويتحملونها ، يحافظون على أزواجهم ويرعسون حقوقهن . . وهذه الوصايا منهم هى من دلائل حبهم لهن ، كأنهم يخشون غدر الحياة والناس بهن من بعدهم فيرسوموا لهن الطريق الذى يجدن فيه الأمن والسلام .

الباب الثاني

الحفاة في القنية في شعر الوصايا

الفصل الأول : الحفاة في القنية في شعر الوصايا في جانب الشغل

الفصل الثاني : الحفاة في القنية في شعر الوصايا في جانب المصنوع

الفصل الأول
الحمد لله الذي جعل الفقه شجرة الحياة في جهنم التي كل

أولاً : في الألفاظ والنكبات .

ثانياً : في الأصول والبيانات .

ثالثاً : في القواعد والصناعات .

رابعاً : في البناء والفن .

الخصائص الفنية لعمى الوصايا فى جانب المسك

أولا : فى الألفاظ والتراكيب :

أ - الألفاظ :

للعمل الأدبى أدوات عديدة ولكن أهم أداة يحتاج إليها الأدبى هى الكلمة ، فالكلمة المفردة هى اللبنة الأولى التى يتكون منها العمل الأدبى فمنها (تكون العبارة وتكون الصورة الأدبية ويخلق أسلوب الأدب الذى يعرف به وينسب إليهم الكلمة تتكون الموسيقى اللفظية) (١) .

فأول ما يقوم به الأدبى اختيار الألفاظ وانتقاؤها فليست كل كلمة بحسن استخدامها ولكن اللفظة المعبرة النصيحة هى التى يجب أن تستخدم فى العمل الأدبى .

وفصاحة الكلمة مشروطة بأمور إذا توافرت فيها فإنها تكون كلمة جميلة - فصيحة فمن جمال الكلمة وفصاحتها أن تكون مألوفة للاستعمال وأن تبتعد عن الغرابة والوحشية حتى (تكون استجابة السامع للشاعر سريعة) (٢) لأن الكلمة السهلة التى لا يحتاج فهم معناها إلى بحث وتنقيب فى معاجم اللغة هى التى تؤثر فى السامع وتجعله يتفاعل مع النص ولا ينقطع عنه ليهبث عن معنى كلمة أو فهم جملة .

(١) فى ميزان النقد الأدبى د / طه أبو كريشة ص ٢١ طبع سنة ١٣٩٦ هـ -

القاهرة .

(٢) أسس النقد الأدبى عند العرب د / أحمد بدوى ص ٤٥٨ نشر دار نهضة مصر ، القاهرة .

فعلى الأديب أن يختار الألفاظ القريبة المأخذ وأن يبتعد عن الوحشى المتوعر ولقد عاب النقاد على - سبيل المثال - بيتا لتأبط شرا لورود كلمة وحشية غريبة فيه وهو قوله :

يظل بموصاة ويمسى بغيرها

جحشا وبعروى ظهور المسالك

فلغظه جحش من الألفاظ المنكرة ومعناها " فريد " وفريد لفظه حسنة راقية ^(١) وليس الوحشى من الكلام هو الذى يكرهه السمع ويثقل به النطق إنما هو الغريب الذى يقل استعماله ^(٢) .

ومن شروط فصاحة الكلمة أن تكون فصيحة غير مبتذلة ولا عامية .
وفصاحتها (أن تكون الكلمة مسبوقة عن العرب الفصحاء مفردة كانت أو مضافة إلى غيرها) ^(٣) وكذلك يجب أن تكون سائرة على (قواعد النحو والصرف والاشتقاق) ^(٤)

أما أنها غير مبتذلة ولا سوقية فإن هناك كلمات ولو أنها فصيحة إلا أنها أصبحت مبتذلة لأن عامة الناس قد أنهكتها في الاستعمال حتى برد معناها وذهب رونقها ^(٥) .

ومن الأمور التى يجب توافرها في الكلمة لكى تصبح فصيحة جميلة خلوها من تناثر الحروف وهو ١ وصف في الكلمة بوجوب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج ^(٦) .

(١) انظر المثل السائر لابن الأثير ج ١ ص ٢٧٠ تحقيق د / أحمد الحوفى ود / بدوى طبانه ط الثانية سنة ١٤٠٣ هـ نشر دار الرفاعى الرياض .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٩ .

(٣) أسس النقد الأدبى عند العرب ص ٤٦٣ . (٤) المرجع السابق ص ٤٦٤ .

(٥) المثل السائر ج ١ ص ٢٩٢ .

(٦) جواهر البلاغة في المعانى والبيان والبدع لأحمد الهاشمى ص ٨ ط الثانية عشرة، نشر دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان .

ولقد عيب على امرئ القيس كلمة " مستشزرات " في بيته :
غداثوه مستشزرات إلى العلا • تَضِلُّ المدارى فوشنى ومرسل

وذلك لثقل النطق بها ^(١) لتقارب مزارج الحروف بعضها من بعض ونفور السمع منها • فلذلك من الواجب على الأديب أن يحسن اختيار الكلمات السهلة الرائقة ذات النغم الموسيقى التي تبعث في نفس السامع أو القارئ الارتياح وتفتح في قلبه أحسن موقع وذلك لأن (للألفاظ نغمة لذيدة كغمة أوتار • وصوتها منكرا كصوت حمار •••••) ^(٢) .

وما يجب أن يراعى في اختيار الكلمة المفردة في العمل الأدبي دقة أدائها للمعنى المراد وذلك (أن يختار الشاعر من الكلمات أدقها في أداء المعنى الذي يجول في نفسه فقد تتقارب الكلمات من حيث المعنى ولكن بعضها أدل على احساس الشاعر من بعض) ^(٣) .

وقدرة الشاعر ومدى ثقافته وحسن اختياره هي التي تهيئه إلى اختيار الكلمات الدقيقة وذلك عمل ليس بالميسور لأن (تمييز الألفاظ شديد) ^(٤) .

ومن فصاحة الكلمة وجمالها أن تكون ملائمة للغرض الذي استخدمها الشاعر فيه غير بعيدة عن روح العمل الأدبي والألفاظ المدح ليست كالألفاظ الرثاء ••• الخوفى ذلك يقول القاضى الجرجاني :

(••••• أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى فلا يكون غزلك

-
- (١) المثل السائر ج ١ ص ٣٠١ .
(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢٥٦ .
(٣) أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٤٥٢ .
(٤) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٦٨ تحقيق على البجاوى • ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط الأولى سنة ١٣٧١ هـ ، دار احياء الكتب العربية القاهرة .

كافتخارك ولا مديحك كوعيدك • ولا هجاؤك كاستبطائك • ولا هزلتك بمنزلة جدك • ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا مرتبته • وتوفيه حقه تتلطف إذا تغزلت • وتفخم إذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقفه فإن الممدح بالشجاعة والبأس يتميز عن الممدح باللباقة والفراسة • • • فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به وطريق لا يشاركه الآخر فيه (١) .

وللنقاد شروط أخرى تتصل بجمال العبارة ولا تقتصر على اللفظة المفردة وذلك بالنظر إلى مجموع الكلمات وقد تلامت مع بعضها وصارت في محيط عمل أدبي واحد .

فما يتصل بجمال العبارة بعدها من المعاطلة اللفظية بحيث تخلو من تكرير حرف أو حرفين في ألفاظ متتالية • لأن التكرير يولد نشازاً في السمع وصعوبة في النطق وذلك مثل قول أبي تمام :

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن * يرضى المومل منك إلا بالرضا (٢)

وتكرار الكلمة الواحدة في البيت مثل تكرار الحرف الواحد ولقد عيب على المتنبي قوله :

فقلقت بالهم الذي قلقل الحشا

قلاقل عيش كلهن قلاقـل (٣)

وسا يجعل العبارة حسنة رائعة خلوها من تكرار حروف الجر من غير فواصل ولذلك عيب على المتنبي قوله :

-
- (١) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ص ٢٤ تفصيصاً لبراهيم واهم بجملي عزادار قلم بيروت
(٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ٩٨ ط الأولى سنة ١٩٨٢ م نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
(٣) في ميزان النقد الأدبي ص ٢٦ .

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة

سيوح لها منها عليها شواهد (١)

وعلى الأديب أن يبعد عباراته عن المعاظلة المعنوية فلا (يكسبون التركيب خفى الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد غاء وتفكير طويل) (٢) .

ومن أجل ذلك عاب النقاد على أبى تمام قوله :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا

عنه فلم يتخون جسمه الكمد (٣)

...

وما يتصل بجمال العبارة ويلاغنها أن تكون متلائمة النسيج متناسبة مع بنية أجزاء العمل الأدبى فلا تكون قلقة نابية بل تكون قارة فى موضعها الذى لو أبعدت عنه لاختل المعنى ولفست الصياغة ، وذلك ما أطلق عليه الإمام عبد القاهر الجرجانى النظم يقول (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعريف مناهجه التى نهجت فلا تزيف عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلا تخل بشئ منها) (٤) .

وما يكمل جمال العبارة وفصاحتها أن لا يسير العمل الأدبى على وتيرة واحدة من حيث التقديم والتأخير والتعريف والتكثير ، والذكر والحذف ، والفصل

(١) المثل السائر ج ١ ص ٤٣٦ .

(٢) جواهر البلاغة للهاشمى ص ٢٤ .

(٣) الموازنة للأمدى ج ١ ص ٢٩٤ تحقيق السيد أحمد صقر ط الثانية سنة ١٣٩٢ هـ نشر دار المعارف القاهرة .

(٤) دلائل الاعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ص ٨١ تحقيق محمود شاكر نشر مكتبة الخانجي - القاهرة .

والوصل ، بل على الأدب أن يغير في الأسلوب فيحذف الخبر أو المبتدأ وغيرهما متى ما كان الحذف أبلغ وينكر إذا كان التكرار أدق في أداء المعنى وأبلغ وهكذا فإن الأدب الجيد يتمكن ببصيرته الثاقبة وثقافته الواسعة هو الذي يستطيع أن يوظف قوانين النحو وأصوله في عمله الأدبي فيختار من الأساليب أدقها وأبلغها في أداء المعنى ، وفي ذلك يقول الامام عبد القاهر الجرجاني في تعليقه على أبيات للبحرئى :

(فإذا رأيتهما قد راقتك وتشرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك فعد فانظر في السبب واستقص في النظر ، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدم وأخر ، وعرف ونكر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف موضع صوابه وأتى ما تى يوجب الفضيلة) (١) .

تلك مقدمة مختصرة عن دراسة الألفاظ في العمل الأدبي عموما ، أما من حيث ألفاظ شعر الوصايا فإنها في الغالب ألفاظ واضحة سهلة لا يحتاج فهم معانيها إلى كد وعناء كبيرين أو بحث وتشقيق في المعاجم فهي ألفاظ سهلة ، واضحة ، يفهم معناها جميع أفراد المجتمع على اختلاف ثقافتهم .

فلو نظرنا في قصيدة عبد قيس بن خفاف في وعيته لابنه لم نجد فيها ألفاظا غريبة أو وحشية بل تمتاز بالسهولة والوضوح مع رقتها يقول (٢) :

أجبهل إن أباك كارب يومه
فإذا دعيت إلى العظام فاعجل

(١) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٢) الفضليات ص ٣٨٤ ومعه الباب الأول ص ١٤٩ ، ١٣٣ ، ١٢٣ .

أوصيك ايها امرئ لك ناصح
طبن بربب الدهر غير مغفل
الله فاتقه وأوف بنذره
وإذا حلفت ماربها فتحلل
والضيف أكرمه فإن مبيته
حق ولاتك لعنة للنزل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله
بمبيت ليلته وإن لم يسأل
ودع القوارص للصديق وغيره
كى لا يروك من اللثام العزل
وصل الموصل ما صفا لك ود
واحذر حبال الخائن المتبذل

...

فالشاعر يوصى ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ويحثه على إكرام الضيف
والبعد عن النجاسة ، ويوصيه كذلك بإيلاء الضيف ، وعفة النفس وغيرها من الأخلاق
والشيم الكريمة ، وقد استخدم الشاعر في وصيته ألفاظا سهلة واضحة تبيح فسس
النفس الارتياح وتتناز بالرفقة والعذوبة والبعد عن الحوشية والغرابية مع البعد عن
الاسفاف والابتدال وذلك مثل الضيف ، الكرم ، المبيت ، الصديق ، اللثام
القوارص ، محل السوء ، دار الهوان ، الفقر ، الخشوع ، الغنى ، الخ .

ولكن ما السبب الذى حدا بالشاعر لأن يختار هذه الألفاظ السهلة
ذات المعانى الواضحة .

لعل موضوع القصيدة ألقى عليه ذلك فهو يريد أن يوصى ابنه لكن بعمل
بما أوصاه به فلذلك لابد أن يختار الكلمات التى يفهمها الابن بسهولة وكذلك حتى

يستطيع حفظها وتمثلها في كل حين .

ونرى سهولة الألفاظ ووضوح معانيها مع رونقها وحسن إيقاعها في قصيدة
مسكين الدارمي في التحذير من الأحمق الذي يقول فيها (١) :

اتقِ الأحمق أن تصحبه
إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقت منه جانباً
حركته الريح وهنا فانخرق
أو كصدع في زجاج فاحش
هل ترى صدع زجاج يتفق
وإذا جالسته في مجلس
أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا نهنته كى برعوى
زاد جهلاً وتنادى في الحمق
وإذا الفاحش لاقى فاحساً
فهنا كم وافق الشن الطبق
إنما الفحش ومن يعتاده
كغراب السوء ما شاء نطق
أو حمار السوء إن أشبعته
رمح الناس وإن جاع نهق
أو غلام السوء إن جوعته
سرق الجار وإن يشبع فسق

...

(١) خزانة الأدب ج ٣ ص ٦٩ .

فالشاعر يوصي المرء بالابتعاد عن الأحق لسوء خلقه وبصوره تصويراً دقيقاً من أجل أن يعرفه الإنسان فيبتعد عنه ، فهو قليل المروءة لا يعرف للمجالس آداب ولا يسمع نصيح أحد إذا نصحه ليرعوى عن غيه فهو كحمار السوء إن شبع ربح ، وإن جاع نهق أو كغراب دائم النعيق ، وقد استخدم الشاعر في وصيته ألفاظاً واضحة المعاني ليست غريبة على آذان الناس ، بل إن الشاعر قد اقتبس الألفاظ من واقع الحياة اليومية لعامة الناس ولكنه ارتفع بها عن الابتذال .

فالألفاظ التي استخدمها الشاعر . . . الأحق ، الثوب الخلق ، الريح ، الوهن ، انخروق ، مجلس ، الفاحش ، الجهل ، الغراب ، الحمار ، الغلام ، . . . الخ الفاظ يعرفها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم ليس فيها غرابة ولا وحشية بل سهولة واضحة المعاني لا تحتاج إلى أعمال الفكر . . . ولعل الشاعر يريد من وراء ذلك تعريف جميع الناس بصفات الأحق لكس يجتنبوه .

ونلاحظ سهولة الألفاظ ووضوح معانيها في أبيات بشار بن برد التي يوصي فيها المرء بحسن معاملة الصديق بقول (١) :

إذا كنت في كل الأمور معانيها
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعمش واحداً أو صل أخاك فإنــــه
مفارق ذنب مرة ومجانــــه

(١) ديوانه ج ٢ ص ٣٢٦ والباب الأول ص ٢٥٨

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربته

...

فالشاعر يوصى المرء بعدم إدامة العتاب للصديق ويحثه على حسن
المعاملة ولين الجانب .

وقد جمع الشاعر في أبياته بين سهولة الألفاظ ووضوح المعنى ، والبعد
عن الغرابة والابتذال .

وكما قلت في أول الموضوع فإن سهولة الألفاظ ووضوح معانيها هي السمة
الغالبة على شعر الوصايا ولعل السرفى ذلك : هو أن الشعراء يقصدون من
أشعارهم التوجيه والإرشاد لجميع فئات الناس على اختلاف مستوياتهم من الفهم
فلذلك استخدموا الألفاظ السهلة التي يفهم معناها جميع الناس .

وكذلك يمكن أن يكون قصدهم أيضا من أشعارهم أن تكون مثالا يحتذى
عليه وأن يمثلها الناس في كثير من شؤونهم ، فلذلك أختاروا من الألفاظ أبسطها
لكي يسهل حفظها ومذاكرتها ، وليست سهولة الألفاظ مقبولة في كل حين فلو تكون
سهلة ولكنها لا تلائم لغة الشعر ذات الإيحاء فيكون النص أقرب إلى النثر منه إلى
الشعر ومثال ذلك قول عبد الله بن معاوية في وصيته على اجتناب المزاح (١) :

خل عنك المزاح مجتنباً * إنه يدنى لك العطباً
رب من كانت منيته * في مزاح هاجه لعباً

فهى ألفاظ سهلة ولكنها بعيدة عن لغة الشعر .

وكذلك قول عبد الله بن المبارك (٢) :

-
- (١) شعره ص ٣٤ والباب الأول ص ١٠٢ .
(٢) ديوانه ص ٤٦ والباب الأول ص ٩٧ .

غاية الصبر لذيق طعمها
وردى الصبر منها كالصبر
إن في الصبر لفضلا بينا
فاحمل النفس عليه تصطبر
...

فالفاظ الشاعر ألفاظ شائعة واضحة المعاني ولكنها بعيدة عن الشعر
وعذوبته قريبة من النثر ، وسهولة الألفاظ الشديدة مع شيوعها جعلتها تنحدر
إلى العامة والابتذال .

ومع أن الألفاظ في شعر الوصايا مأنوسة غالبا إلا أن هناك بعض الألفاظ
الغريبة على الأذن لقلة استخدامها . . ولكن لا تصل إلى حد تعمية المعنى ومن
ذلك قول حميد بن ثور الهلالي (١) :

فلا تأمنن ببيات النسوان
وكن حذرا حد أظفارها
فإن المنه ما أسارت
من القوم عادت لأسارها
...

فإن كلمة (أسارت ، وأسارها) بمعنى أبتت وهي غريبة لا يفهم معناها
كثير من الناس مع ثقلها على السمع فلو استخدم الشاعر كلمة غيرها لكان أبلغ
وأخف على السمع .

ونلمح بعض الألفاظ الغريبة ذات المعاني الصعبة في قصيدة لقيط بن
يعمر الياضى في مثل قوله (٢) :

(١) ديوانه ص ٩٦ والباب الأول ص ١٩٢ .

(٢) ديوانه ص ٤٤ ٤٥ ٤٦ ص ٢٤٠ .

ولا تكونوا كمن قد بات مكتوما

إذا يقال له افرج غمة كما

فمكتنع ، وكنع فى البيت من الألفاظ التى لا يفهم معناها من أول وهلة - فالمكتنع : الدليل وكنع : انقبض - لأنها ليست شائعة فى معجم الشعر الجاهلى . والألفاظ فى شعر الوصايا تتنوع بين القوة والجزالة مع السهولة ووضوح المعنى وبين الرقة والعدوية ، فإن كان الغرض من الشعر الحث على الكرم وإباء الضيم وتقوى الله فإننا نجد الألفاظ الرائقة السهلة التى تتناسب فى الأذن انسياباً .

أما إذا كان القصد من الشعر التحسيس وغرس القوة والشجاعة في نفوس
الابناء أو المجتمع فإننا نجد جزالة الألفاظ وفخامتها .

فدوا الأصبغ العدواني لما أوصى ابنه أسيد على الكرم ومصاحبة الأخيار .
وغيرها من الأخلاق الغاضلة استخدم الألفاظ السهلة العذبة ، فيما قاله :

أأسيد إن مالا ملك — ■ ت فسر به سيرا جيلا
آح الكرام إن استطع — ■ ت إلى إختاهم سيلا
واشرب بكأسهم وإن — ■ شروا به السم الثملا
أهن اللثام ولا تكن — ■ لاخاتهم جملا ذلولا
إن الكرام اذا توا — ■ خيهم وجدت لهم فضولا ... الخ

فالشاعر يوصي ابنه ويحثه على صاحبة الكرام ويرغبه فيهم والبعد عن اللثام ويحذره منهم كما يوصيه على البذل والانفاق والكرم ويبين له بعض آداب

(١) الأغاني ح ٣ ص ٩٩، واللباب الأول ١٢٢، ١٤٨٠.

السفر ويوصيه كذلك بمواصلة الدرام وزهارتهم • وقد استخدم الشاعر في هذه الوصية ألفاظا عذبة سلسلة راققة لا نرى فيها أى لفظة نابية أو غليظة في اللسان أو نابية في السمع •

وفي مقابل هذه الألفاظ السهلة العذبة الرقيقة نرى الألفاظ الجزلة القوية عندما أوصاه بالشجاعة وحثه على خوض المعارك فمن ذلك قوله : (١)

وإذا القسروم تخاطـطـرت • يوما وأرعدت الخصيـلا
فأهصر كهصر الليث • خَضَبَ من فريسته التليـلا
وانزل إلى الهيجا إذا • أبطالها كرهوا النزولا

...

فالألفاظ : أرعدت • الخصيلا • أهصر • خضب • انزل • الهيجا ...
الألفاظ جزلة فخمة تنبئ عن القوة والشجاعة وتتلاءم معها • فالقوة والشجاعة لا تصلح لها إلا مثل هذه الألفاظ •

ولو نظرنا إلى الألفاظ شعر الوصايا من ناحية الخاصة والابتدال لوجدنا أن الألفاظ في أغلب الأحيان ترتفع عن الابتدال وتنمو إلى لغة الشعر مع سهولتها ووضوح معانيها • فسلیمان ذو الدمنة بحث على الكرم ويوصى المجتمع بذلك مستخدما ألفاظا ليست بالصعبة البعيدة النال وليست بالسهلة التي تصل إلى حد الابتدال يقول (٢) :

إذا المرء لم يستر عن الذم عرضه
ببلغـة ضيف أو بحاجة قاصد

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٠٠ والباب الأول ص ١٧٠
(٢) شعر هيدان في الجاهلية والاسلام ص ٢٥١ والباب الأول ص ٤٠

فما المال إلا مظهر لمحبوبه
وداع إليه من عدو وحاسد
وما المرء محمودا على ذى قرابة
كفاه مهمادون نفع الأبعاد
ومن لا يواتيه على الجود وجده
فإن جميل القول احدى المحامد

...

فالشاعر يوصى المرء على الذم والبذل ويخبره أن إمساك المال مظهر
للمحبيب ، ويحثه على نفع الأبعاد فى النسب والأقارب على حد سواء ، ويعطى
الشاعر للإنسان الفقير طريقا آخر للجود وهو الرد الحسن بالقول الجميل وطلاقة
الوجه والبشر .

والفاظ الشاعر التى أوضح بها تلك المعانى ألفاظ سهلة راقية واضحة
المعانى معروفة لدى أفراد المجتمع على اختلاف مداركهم وفهمهم وهى ليست
غريبة عن الأذان أو بعيدة عن الواقع ، فتفهم معانيها من قراءة الأبيات أو سماعها
لأول مرة ، ولكنها مع بساطتها ووضوحها وسهولتها ليست مبتذلة ولا ساقطة
وقد هيا الشاعر لها السمو والارتفاع عن ذلك يبعده عن الألفاظ الركيكة .

وهذا سابق البربرى يزهد الناس فى الدنيا ويذكروهم بالموت ويوصيهم
للعمل لما بعده يقول (١) :

سبق القضاء بكل ما هو كائن
والله يا هذا ليرزقك ضامن

(١) شعره ص ١٣٠ والباب الأول ص ١٩٣ .

تعنى بما تكفى وتترك ما به
تعنى كأنك للحوادث آمن
أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها
فاعمل ليوم فراقها يا حائن
واعلم بأنك - لا أبالك - فى الذى
أصبحت تجمع له لغيرك خازن
يا عامر الدنيا أتعمر منزلا
لم يبق فيه مع النية ساكن
الموت شئ أنت تعلم أنه
حق وأنت بذكره متهاون
إن النية لا توامر من أتت
فى نفسه يوما ولا تستأذن
...

فالشاعر يوصى الإنسان بعدم التكالب على الدنيا وعمرانها واللهث وراء
كسب المال فالله هو الرازق ، ويحث المسلم على العمل ليوم الحساب ويخبره بأن
ما جمعه من أموال ليست له لأنه سيموت ويذهب عنها فالموت للإنسان بالمرصاد .

وقد أفصح الشاعر عن معانيه هذه بالفاظ تتنازع بالرفق والبساطة ووضوح
المعاني فهى من الألفاظ التى يفهمها عامة الناس ولكن مع ذلك فقد سمت عن
الابتذال والاسفاف وعن الألفاظ العامة التى قد أنهكت استخداما حتى ذوت
وبرد معناها وذهب رونقها .

وإذا قلت أن ألفاظ شعر الوصايا بعيدة عن الابتذال والعامة فليس معنى
ذلك خلوهذا الشعر تماما من هذا العيب ، فقد ورد فى شعر الوصايا بعض

الكلمات المبتذلة البعيدة عن روح الشعر وعذوبته ومن ذلك قول عبد الله بن معاوية (١) :

لا تفنى سرا إلى غير اللبيب ولا الـ
سخرى المشيع له يوما إذا غضبا
قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه
حقى يكون إلى توريطه سبيبا

...

فمع أن الألفاظ البيتين غير متلائمة النسيج مع بعدها عن النغم الموسيقى فقد استعمل الشاعر في البيت الثانى كلمة (توريطه) وهى كلمة صحيحة لكنها مبتذلة ، وهذه الكلمة أيضا ليست كلمة شاعرية فهى بعيدة عن الاستخدام فى الشعر فكيف بالشعر !!

ومن الألفاظ المبتذلة ما استعمله عبد الله بن المبارك فى وصيته لأحد أصحابه على الزهد فى الدنيا والبعد عن دور الأمراء يقول (٢) :

كل من الجاروش والسرر * ومن خبز الشعير
واجعلن ذاك حلالا * تتج من نار الشعير
والتمس رزقك من ذى الـ * عرش والرب القدير
وانا ما اسطعت هداك الـ * له عن دار الأمير
لا تزرها واجتنبها * انها شر مزور
توهن الدين وتدنيه * لك من الحوب الكبير
قبل أن تسقط يا مفـ * سرور فى حفرة بـير

...

(١) شعره ص ٣٢ والباب الأول ص ٩١ .
(٢) ديوانه ص ٤٨ والباب الأول ص ٢٠٩ .

فألفاظ البيت الأول (الجاروش) (الرز) (الشعير) من أبعد الألفاظ
عن لغة الشعر فهي كلمات مبتذلة لا تصلح أن تستخدم في الشعر وكذلك قوله في
البيت الأخير (حفرة بير) كذلك من الألفاظ العامة .

أما من حيث تناثر الحروف فألفاظ شعر الوصايا - على العموم - بعيدة
عن التناثر الذي يثقل النطق في الكلمة ، بل أنها ألفاظ سهلة كل حرف فيها
يتلاءم مع ما بعده من غير تصادم ولا تناثر تتساقط في الأذن انسحاباً من غير
توقف أو نشوز في السمع أو تعثر في اللسان فطرفة بن العبد يوصي المرأة باستشارة
العقلاء ويحثه على التمسك بأداب الحديث والمجالس مستخدماً ألفاظاً سهلة غير
متنافرة يقول (١) :

إذا كنت في حاجة مرسلاً
فأرسل حكيماً ولا توصه
وإن ناصح منك يوماً دنا
فلا تأخذه ولا تفحصه
وإن باب أمر عليك التوى
فشاور لبيباً ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقص حقه
فإن القطيعة في نفسه
ولا تذكر الدهر في مجلس
حديثاً إذا أنت لم تحصه
ومن الحديث إلى أهله
فإن الوثيقة في نصه

(١) ديوانه ص ١٦٢ والباب الأول ص ٦٩ و ٧٧ .

ولا تحرصن قرب امرئ

حريص مضاع على حرصه

...

فالشاعر يوصى المرء بالاستعانة بذوى العقول والحكمة وأن لا يشاور إلا
العقلاء والفضلاء كما يقدم الشاعر بعض التوجيهات في آداب المجالسة والحدِيث
وقد استخدم الشاعر في إبراز معانيه تلك الفاظا لينة سهلة ذات جرس موسيقى
متوازن تتحاب في الأذن انسيابا وتجرى في اللسان من غير تعثر .

ونغم الألفاظ الموسيقى وتلاوهم حروفها واضح وذلك لتزاج الحروف
بين الجهر والهمس في أبياته مثل :

إذا كنت في حاجة مرسل

فأرسل حكيمًا ولا توصه

وإن ناصح منك يوما دنا

فلا تنأ عنه ولا تفصمه ... الخ

فحروف الألفاظ متزاوجة بين الجهر والهمس لا نجد كلمة خلت حروفها
من الهمس أو كلمة حروفها مجهورة أو مهموسة فقط .

وهذا التزاوج وعدم تقارب مخارج الحروف تقاربا يصعب معه نطق
الكلمة ببسر وسهولة ، أضف على الألفاظ عذوبة ونغما موسيقيا .

ونلمح رقة الألفاظ وحسن تلاوهم حروفها في أبيات المقنع الكدى الذى
يقول فيها (١) :

(١) شعراء أمويون ص ٢١١ والباب الأول ص ٦٢ و ٤٥ .

وإذا رزقت من النوافل ثروة
فامنح عشيرتك الأداني فضلها
واستبقها لدفاع كل ملمة
وارفق بناشئها وطاوع كهلها
واحلم إذا جهلت عليك غوايتها
حتى ترد بغفل حلمك جهلها
واعلم بأنك لا تكون فتاهم
حتى ترى دمك الخلاق سهلها

...

فالشاعر يطلب من المرء أن يهود على بني قومه وذويه وأن يحسن معاملتهم
وأن يكون دمك الخلق لين الجانب ، وقد استخدم الشاعر في معانيه تلك الفاظا
غريبة ذات حروف متلازمة لم تتراكب على بعض ولم تتقارب مخارج حروفها .

ومع أن ألفاظ شعر الوصايا في الغالب بعيدة عن تناثر الحروف أو تقارب
مخارجها فقد نلاحظ صعوبة النطق في بعض الكلمات وتعثر اللسان بها في مثل
قول أبي تمام (١) :

وطول مقام المرء في الحي مخلوق
لديها جتية فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زهدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

...

فلفظة (لديها جتية) لا تنطق بسهولة متناهية فالقارئ يحس صعوبة في

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٣ والباب الأول ص ١٠٩

نطقها • ولعل ذلك راجع إلى طول الكلمة ولكن هذا نادر في شعر الوصايا حسب ما ظهر لي •

أما الدقة في أداء اللفظ للمعنى المراد فإن ألفاظ شعر الوصايا دقيقة في أدائها للمعنى الذي يبتغيه الشاعر من وصيته فكل كلمة تؤدي معنى — من المعانى أبلغ من غيرها لو حلت محلها •

فلو نظرنا إلى أبيات عبد الملك بن مروان التي يوصي فيها أبناءه باجتماع الكلمة والتواصل والتراحم لوجدنا دقة أداء اللفظ للمعنى يقول (١) :

انفوا الضغائن عنكم وعليكم
عند المغيب وفي حضور المشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم
إن مد فسى عمرى وإن لم يمدد
ولمثل ريب الدهر ألف بينكم
بتراحم وتواصل وتودد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم
لمسود منكم وغير مسود
إن القداح إذا جتمعن فرامها
بالكسر ذو حنق وبطش أهد
عزت فلم تكسر وإن هس بددت
فالوهن والتكسير للمتهدد
...

(١) المعمرون والوصايا ص ١٦١ والباب الأول ص ١٤٦ •

فالشاعر يوصي أبناءه باجتماع الكلمة والتآلف والتراحم ، وقد استخدم
الفاظا دقيقة في أداء المعنى مثل قوله (انفوا) حيث توحى هذه الكلمة للأبناء
بالابتعاد عن الضغائن نهائيا حتى لا تعرف طريقا إلى قلوبهم وكلمة (انفوا)
التي توحى بالأمر الصارم أبلغ وأقوى في الدلالة من لو قال (دعوا) مثلا ...
وكذلك قوله (الضغائن) على صيغة الجمع وذلك أبلغ من الأفراد وهذه كلمة
أدق من كلمة (الأحقاد) في أداء المعنى ، وكلمة (تلين) لها وقع تأثيري في
النفس لأن القلب لا يلين إلا إذا امتلأ حبا ونفى جميع الأحقاد والضغائن ، وكذلك
قوله (ذو حنق) (وبطش) و (أهد) تصوير دقيق لشدة بأس ذلك الذي يريد
كسر الرماح ومدى قوته وجبروته .

وقوله (عزت) تصوير دقيق للامتناع والقوة ولم يقل امتنعت ولكن عزت
وارتفعت وكأن أحدا لم يمسه بشئ ، والشاعر يريد من أبنائه أن يكونوا مثلها فسي
الاجتماع والتآلف وأن يترفعوا عن أرادهم بسوء بالتآلف والتآزر ، فكلمة (عزت)
أدق في أدائها للمعنى وأبلغ من أي كلمة أخرى ...

وكلمة (الوهن) في الشطر الأخير من البيت الأخير تصوير دقيق للضعف
والتهالك وكلمة (وهن) أدق في التعبير من (الضعف) والشاعر يريد أن يبين
لأولاده نتيجة الفرقة وهي شدة الضعف .
ونرى دقة التعبير في كلمة (نبا) في قول البستي (١) :

إذا نبا بكريم موطن فلـه
وراءه في بساط الأرض أوطان
وقوله في البيت الآخر :

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٤١ وص ٤٢ والباب الأول ص ١١٠ و ١١١ .

وإن (نبت) بك أوطان نشأت بها

فأرحل فكل بلاد الله أوطان

فالنبو أدق في التعبير وأقوى في الدلالة في أداء المعنى من (الضيق)
كما أن الكلمة توحى بنفى الوطن له أو عدم رغبة هذه البلدة فيه فلذلك استخدمها
الشاعر وهي أدق من لو قال وإن (ضاق) أو وإن (ضاقت) فالضيق قد يكون
له فرجة أما النبو فإن البلد نفاء وأخرجه ولن يوافقه مرة أخرى فليس هناك فرجة
من هذه الكرة إلا السفر والرحلة .

وذلك نرى دقة الكلمة في أدائها للمعنى في قول عروة بن الورد (١) :

خاطر بنفسك كي تصيب غيمة

إن القعود مع العيال قبيح

المال فيه مهابة وتجلة

والفقر فيه مذلة وفضوح

...

فلاظفة (خاطر) توحى بصعوبة الأمر وبعد مثاله وفيه إهدار للنفس فالمخاطرة
لا تكون إلا بالنفس فاذلك استخدم الشاعر هذه الكلمة وهي أدق من كلمة (جازف)
لو استخدمها لأن المجازفة لا تكون إلا بالمال فحسب ، وقد صدر الشاعر أبياته
بهذه الكلمة لأن كسب الغنيمة ليس بالأمر الميسور .

وكلمة (مهابة) توحى بالجاه والعزة والمنزلة العظيمة للمال وصاحبه ،

وكلمة (مذلة) توحى بالانكسار والذل والضعف والمنزلة الوضيعة للفقير والفقير .

(١) ديوانه ص ٢٠٢ . والباب الأول ص ٢٤٠ .

وأما ملائمة الألفاظ للأغراض العامة فإن الفاظ شعر الوصايا مناسبة للمعنى حسب ما يبتغيه الشاعر من قصيدته أو شعره .

فإذا كان القصد من الشعر التوجيه والإرشاد إلى نواح اجتماعية مثل الوصية بحسن معاملة الأصدقاء أو الحث على البذل والإنفاق وإكرام الضيف أو الحث على اجتناب السفهاء فإننا نجد الألفاظ الخاصة بذلك مثل : الكرم ، الفنى ، البخل ، الاقتار ، الضيف ، الجار ، الود ، اللطام ، البذل ، الخ وغيرها من الألفاظ التى تستخدم فى الحث على كرم الفعال وحسن الخلق واجتناب الأخلاق المشينة .

فترى مثل هذه الألفاظ فى قصيدة يزيد بن الحكم الثقفى التى يوصى بها ابنه والذى منها (١) :

يا بدر والأشبال يضـ * ربها لدى اللب الحكيم
دم للخيل بود * ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقـ * والحق يعرفه الكريم
واعلم بأن الضيف يو * ما سوف يحد أو يـ
والناس مبتهان محمو * د البناية أو ذميم
واعلم ببنى فأنه * بالعلم ينتفع العلم
أن الأمور دقيها * ما يهيج له العظيم

...

فالشاعر يوصى ابنه بدوام الحب لصاحبه والقيام بحقوق الضيف والجار ويوصيه كذلك بالبعد عن الحسد والظلم والبغى كما يحثه على الإنفاق والبذل والكرم .

(١) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦١٢ والباب الأول ص ١٥١ ، ١٢٩ .

والفاظ الشاعر التى استخدمها فى وصيته هذه موافقة للمعانى التى يريد بها .
فألفاظه الخليل ، الود ، الحق ، الجار ، الكريم ، الخ ، تبرز
المعنى الذى أراد الشاعر وتوضح عنه من غير إغراق، وكذلك ألفاظ " ما خير ود
لا يدوم ، والحق يعرفه الكريم ، ويحمد ، ويلوم ، محمود البناية أو ذمهم ، كلها
ألفاظ تبحث فى نفس الابن الاستجابة لما أوصاه به والده وذلك لتحريكها ومشاعره
بشكل مباشر ، فإذا سمع " ما خير ود لا يدوم " سأل نفسه ما خيره ؟ وما فائدة
هذا الود ؟ والجواب ليس هناك فائدة من الود إذا لم يدوم فلذلك يحرص على
إدامة الود للصديق ، وإذا سمع والحق يعرفه الكريم " أثارت هذه الكلمات عنده
مشاعر النخوة والكرم والمروءة فحرص على رعاية الجار ومعرفة حقوقه ، وكذلك
إذا سمع قوله : محمود البناية أو ذمهم " بحثت هذه الألفاظ فى نفسه ومشاعره الحرص
على المجد والذكر الحسن والبناية المحمودة .

أما إن كانت الوصية دينية تزهّد فى الدنيا وبها رجعها الزائفة وتذكّر
بلاخرة وتحث على عمل الواجبات والطاعات فإننا نجد الألفاظ المناسبة لهذه
المعانى فتكثر الألفاظ الإسلامية مثل الصوم ، الصدقة ، الصلاة ، العبادة ،
تقوى الله ، الموت ، الجنة ، التوبة ، الندم ، الطهارة . . . الخ وغيرها من
الألفاظ التى تدور حول هذه المعانى .

ف نجد مثل هذه الألفاظ فى أبيات أبى تمام التى يقول فيها (١) :

تطهر وألحق ذنبك اليوم توبة
لعلك منه إن تطهرت تطهر
وشمر فقد أبدى لك الموت وجهه
وليس ينال الفوز إلا المشمر

(١) ديوانه ج ٤ ص ٥١٥ ، الباب الأول ص ١٩٩ .

فهذى الليالى موفدناك بالهلى
تروح وأيام بذلك تبكر
وأخلص بذا لله صدرا ونهية
فإن الذى تخفيه يوما سيظهر

...

فألفاظ الأبيات السابقة ألفاظ دينية مناسبة للغرض الذى يريده الشاعر
من قصيدته وهو التزهيد فى الدنيا والحث على سرعة التوبة والندم على ما فات
فألفاظ تطهره والذنب والتوبة كلمات تحث المرء على سرعة التوبة والاقلاع عن
الذنب مباشرة وتجعله يقف عندها متأملا مستشعرا معانيها .

وكذلك ألفاظ أبدى لك الموت وجهه ه وهذى الليالى موفدناك بالهلى
كلها ألفاظ تخوف المرء المسلم من الموت وتجعله يتفكر فى حاله وما سيؤول إليه
مصيره فينعكس أثر هذا التفكير على نفسه فيزهد فى الدنيا الفانية ويقطع عن الذنوب
والمعاصى .

أما إذا كان الغرض من الوصية هو الحث على خوض المعركة والشجاعة
وأخذ الثأر فإننا نجد الشعراء استخدموا الألفاظ الحربية التى تدل على تلك
المعانى .

فهند بنت النعمان لما أوصت عمرو بن ثعلبة على القتال استخدمت ألفاظا
حماسية حربية تلهب المشاعر تقول (١) :

حافظ على الحسب النفس الأرفع
بمدججين مع الرماح الشرع

(١) شاعرات العرب ص ٦٧ والباب الأول ص ٢١٨ .

وصوارم هندية مقولة
بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة
بالمسبق عادية بكل سيذع
واليوم يوم الفصل منك ومنهم
فاصبر لكل شديدة لم تدفع
يا عمرو يا عمرو الكفاح لدى الوغى
يا ليث غاب فى اجتماع المجمع
أظهر وفاء يا فتى وعزيمة
أتضيق مجدا كان غير مضيق

...

فالفاظ الأبيات تنبى عن القوة والبأس فلاحظ كلمة المدججين ، فهى تصور
الرجال وقد لبسوا لأمة الحرب إلى أخص اقدامهم وتوحى بالشدة والقتال ، وكلمات
الرماح ، الصوارم ، الخيل من الألفاظ التى تستخدم فى شعر الحرب ، وأيضا
كلمات الحسب النفيس الأرفع ، وفاء ، يا فتى ، مجدا ، غير مضيق ، كلها كلمات
تثير حفيظة المحارب وتبعثه على الإقدام وتحمسه على منازلة الأبطال ومقارعتهم
وتشجعه على مواصلة الحرب حتى النصر والظفر .

ب : الغرائب :

بعد أن تحدثت عن خصائص اللفظة المفردة في شعر الوصايا ، أقف هنا عند خصائص الألفاظ إذا تلاءمت مع بعضها وكونت عبارات متصلة في محيط عمل أدبي واحد .

فالعبرة في شعر الوصايا - في كثير من الأحيان - نصيحة جميلة وذلك لبعدها عن المعازلة اللفظية الناتجة من تكرار حرف أو تكرار لكمة ، لأن التكرار في الغالب مما يفسد العمل الأدبي ويثير السآمة والملل لدى المتلقى لنبو الذوق عن سماع ألفاظ مكررة متتابعة بعضها .

فلو نظرنا في أبيات للعباس بن مرداس التي يوصي فيها أحد إخوانه بإباء الضيم لوجدنا خلو عباراتها من المعازلة اللفظية الناشئة من التكرار يقول فيها (١) :

أبلغ أبا سلى رسولا يروعه
وإن حل ذا صذرٍ وأهلٍ بعسجل
رسول امرئ مهدي إليك رسالة
فإن معشر جادوا بعزرك فابخل
وإن بوؤك مبركا غير طائل
لذيذا فلا تنزل به وتحول
ولا تطعمن ما يعلفونك إنهم
أتوك على قرباهم بالشمائل
أبعد الإزار مجسدا لك شاهدا
أنيت به في الدار لم يتزهل

(١) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٢٤٤ والباب الأول ص ٢٦٨ و ٢٦٩ .

أراك إذا قد صرت للقوم ناضحاً
يقال له بالغرب أدبر وأقبل
فخذها فليست للمعزى بخطوة
وفيها مقال لا مرمى متذلل
...

فالشاعر بحث أحد إخوانه على إياه الضيم وهو صيه بأخذ الثأر وعدم احتمال
الذل والهوان وقد استخدم ألفاظاً فخمة جزلة معبرة كونه عبارات سلسلة متتابعة
كل كلمة تسلمك إلى أختها من غير تعثر ولا ملل ه فكل كلمة من الكلمات مرتبطة
بما بعدها ارتباطاً وثيقاً ولا يمكن أن يستغنى عنها وإلا لاضطرب المعنى ولاختل
السبك .

ونحن سلامة العبارة من المعاطلة اللفظية وبعدها عن التكرار الذي يخل
بجمالها في وصية لقيط بن يعمر إلا يادى لقومه والتي يقول فيها (١) :

فقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلماً
لامترفاً إن رخاء العيش ساعده
ولا إذا على مكروه به خشمنا
مسهد النوم تعنيه ثغوركم
يروم منها إلى الأعداء مطلقاً
ما انفك يحلب هذا الدهر أمطره
يكون متبعاً طورا ومتبعاً
وليس يشغله مال يثمره
عنكم ولا ولد يبغي له الرفعاً

(١) ديوانه ص ٤٧ والباب الأول ص ٢٤٢ .

حتى استمرت على شزر مهرته
مستحکم السن لا قحما ولا ضرعا

...

فعبارات الأبيات وتراكيبها واضحة لا غبوض فيها • فكل كلمة متلازمة مع
أختها فليس فيها تكرار من أى نوع كان • يخل بجمال العبارة وبهائها •

ومع أن عبارات شعر الوصايا بعيدة عن المعازلة اللفظية فقد ورد بعض
الأبيات التى فيها تكرار أخل بجمال العبارة وأضعف قوتها مثل قول عدى بن
زيد العبدي (١) :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

فقد كرر الشاعر فى الشطر الثانى ثلاث كلمات متشابهة متوالية • وإن
اختلفت الثانية فى المعنى إذ معناها الهلاك ومعنى الكلمتين الأخريين سسو
الأخلاق وردائتها • وهذا التكرار أخل بجمال العبارة وحسن سبكها •

ومن خصائص التراكيب فى شعر الوصايا خلو العبارات من المعازلة
المعنوية أو ما يعرف بالتعقيد المعنوى الناتج من التقديم أو التأخير فى غير
محلّه أو تداخل العبارات بعضها فى بعض وذلك لأن معانى العبارات واضحة
وكل كلمة فى بيت الشعر لها مدلولها الخاص بها من غير تعقيد •

فلو نظرنا الى عبارات أى نص من شعر الوصايا لوجدنا هذه السمة أعنى
خلو العبارة من التعقيد المعنوى واضحة جليلة •

(١) ديوانه ص ٢٠٨ والباب الأول ص ٤٩

فمن ذلك وصية الفرزدق التي بحث فيها بنى نعيم على أخذ الثار وعدم قبول الدية يقول (١) :

أجيئوا صدى جَلْدٍ إذا ما دعاكم
بِجَرْدٍ تعاس الملجمين فحولها
عليها حماة من نعيم بن عامر
تعاذى بها شبانها وكحولها
أتقتلكم في غير جرم عبيدكم
وفيكم روايب عامر وفضولها
فإن التي يأبى الأسير عليكم
لقاصدة للحق ضاح سبيلها
فلا تقبلوا منه أباعر تشتري
بوكس ولا سودا تصح فضولها
فإن تقتلوا بالفأس يحيا قتلكم
وإلا فإن الفأس عار قتلها

...

فعبارات الشاعر واضحة خالية من التعقيد المعنوي لم تتركب على بعضها بل كل جملة قائمة بنفسها من حيث معناها مع تلاوّمها مع بقية أجزاء البيت .

ومن خصائص عبارات شعر الوصايا حسن تلاوّمها مع بعضها وتناسبها مع بقية أجزاء البيت وما ذاك إلا لسيرها على قواعد النحو وسلامتها من المشكلات الإعرابية .

وبسبب تلاوّمها مع بعضها لا نرى جملة قلقة أو عبارة نابية ليست في مكانها الصحيح .

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٦٦ والباب الأول ص ٢٣١

ومن ذلك قول النابغة الذبياني الذي بحث فيه المرء على الجد وترك
الكسل في طلب الرزق يقول (١) :

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأذنين كلا وأوشكت
صلوات ذوى القربى له أن تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى
شمس ذا يسار أو تبوت فتعذرا
وما طالب الحاجات في كل وجهة
من الناس إلا من أجد وشمرا
ولا تفر من عيش بدون ولا تنم
وكيف ينام الليل من بات معسرا

...

فعبارات الأبيات السابقة وجعلها تسير على نسق معين ليست خارجة عن
قواعد النحو ولذلك تناسبت الجمل وتلائمت مع بعضها وتراپطت فيما بينها ارتباطا
داخليا منشوء السير على قواعد النحو وأصوله .

ولم تسر العبارة في شعر الوصايا على وتيرة واحدة من حيث التقديم
والتاخير والتعريف والتكهر . بل إن الشعراء أحسنوا استخدام هذا الجانب مما
أعطى العبارة تنوعا في الأسلوب وإغناء للمعنى . وجعلها أكثر تأثيرا في النفوس .

فمن ذلك قول أبي صخر الهذلي في الحث على حفظ السر (٢) :

(١) لباب الأداب ص ٢٧ والباب الأول ص ٢٥

(٢) شعراء أمويون ص ٥٨ والباب الأول ص ٩٠

وإن امرؤ أسدى إليك أمانة

فاطوا الأمانة للضمير الداخِل

فقد نكر كلمة أمانة في الشطر الأول وعرفها في الشطر الثاني مما زاد في معناها وكساها حلة جديدة أبعدتها عن التكرار الملل ، وأفاد التذكير الشمول والتعميم حيث أن الشاعر يريد أن يقول وإن أحد ائتمنك على أمانة كبيرة كانت أو صغيرة فلا تضعها وأطوها في ضميرك ولا تجعل أحدا يطلع عليها ، واستخدم الشاعر الإظهار في الشطر الثاني في كلمة (الأمانة) مكان الاضمار ليؤكد على ما توجبه الأمانة من الحفظ والصون لأنها ليست بالأمر اليسير فأراد أن يقيس صداها ماثلا في الأذان دون أن يغيب في لحظة واحدة .

ومن التذكير الذي أفاد التعميم قول دعامة بن المسيب (١)

لأنقطعن مقالةً في مجلس

لا تستطيع إذا مضت ادراكها

فنكر الشاعر كلمة (مقالة) ليعم جميع الكلام حتى ولو كانت تلك المقالة المتحدث بها هزيلة أو صاحبها ليس ذا شأن وذلك لكي يتمود المرء على الانصات الجيد حرصا على الفائدة .

ومن التذكير الذي أفاد معنى التعظيم قول العباس بن مرداس في وصيته لأحد اخوانه (٢) :

أبلغ أبا سلس رسولا يروعه * وإن حل ذا سدر وأهل بعسجل
رسول امرئ مهدي إليك رسالة * فإن معشر جادوا بعرضك فابخل

..

(١) شعراء طي في الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٥٩١ والباب الأول ص ٨٠ .

(٢) الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ٢٤٤ والباب الأول ص ٢٦٨ .

فقد نكر الشاعر كلمة (رسالة) للتعظيم أى رسالة قيمة عظيمة ونكر كلمة (معشر) أمعانا منه بالسخرية والاستهزاء فيهم وتحقير شأنهم وبهان وضاعتهم .

ومن التنكير الذى أفاد معنى التكثير قول ابن دارة (١) :

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا
وتوقد نار الحرب بالحطب الجزل
وجود تعادى بالكأاة كأنها
تلاحظ من عين بأعينها القبيل
عليها رجال جالدوا يوم ضعج
ذوو التاج ضرابوا^(١) الملوك على الوهل
بضرب يزيل الهام عن مستقره
وطعن كأفواه المفرجة الهدل
...

فقد استخدم الشاعر التنكير فى قوله " وجود " وضرب " وطعن " مما أغنى المعنى وركزه ، فأفاد تنكير (جرد) التكثير لأن المعنى المراد (وجرد كثيرة) .

وأفاد تنكير " بضرب " التهويل والتعظيم حيث يريد الشاعر بضرب عظيم وكذلك فى كلمة (طعن) لأن المعنى المراد (وطعن شديداً) .

ولما أحسن شعراء الوصايا استخدام التنكير كذلك أجادوا فى استخدام التقديم الذى يفيد معنى من المعانى فعندما أراد مسمر بن كدام أن يشدد نفس تنفير ابنه من المزاح والمرأ اللذين لا فائدة فيهما قدمها ليبين لابنه مدى

(١) الأغاني ح ٢١ ص ٢٣٢ والباب الأول ص ٢٣٢ .

اهتمامه بهذا الموضوع وحرصه على ترك ولده لهما يقول (١) :

أقدام انى قد محضت نصيحتى
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحمة والمرء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
...

ومن خصائص التراكم في شعر الوصايا المزاجية بين الأسلوب الانشائي والأسلوب الخبري ، فإذا أراد الشاعر أن يوجه وصية إلى أحد يحثه فيها على عمل أمر حسن ويرغبه فيه أو ينهيه عن اقتراف عمل سيء ويحذره على تركه ، فإنــــه يستخدم الأسلوب الذى يناسب هذا المقام وهو الأسلوب الانشائي ، بما يحمله في طياته من معانى الطلب والأمر والنهي .

وعادة ما يشفع الشاعر وصيته بإيضاح وبيان الدافع أو السبب الذى جعله يوصى بعمل هذا الأمر أو الابتعاد عنه والأسلوب الذى يناسب هذا المقام الأسلوب الخبري .

ونرى هذا التزاوج في وصية الحارث بن حلزة اليشكري لابنه التى يحثه فيها على الكرم والذى يقول فيها (٢) :

قلت لعمرو حين أبصرته * وقد حبا دونها عالج
لا تكسع الشول بأغارها * إنك لا تدري من الناتج
وأحلب لأضفافك ألبانها * فان شر اللبن الوالج
...

(١) الحماسة للبحتري ص ٤٠٠ والباب الأول ص ١٦٧ .

(٢) الفضليات ص ٤٣٠ والباب الأول ص ١٢٠ .

فقد استخدم الشاعر النهى وذلك في قوله «لا تكسح الشول باغبارها»^٥ وهو أسلوب إنشائي لأن المقام يقتضى ذلك فهو يريد أن ينهى ابنه عن عمل هذه الصفة نهيا مطلقا بحيث ينعكس أثر هذا النهى على نفس الابن مباشرة فإذا أراد أن يكسح الابل تردد صدى ذلك النهى في أذنيه، وتمثل وصية والده فابتعد عن ذلك .

أما في الشطر الثانى من البيت فالأسلوب الذى استخدمه الشاعر أسلوب خبرى لأنه أراد أن يخبر ولده عن علة نهيه عن كسح الابل وهى أنه لا يعلم من الذى سيأخذ نتاج هذه الابل هل سيأخذه هو أم غيره ؟ ونرى الشاعر قد أكد هذا الخبر بموهك وهو (إن) مع أن ابنه ليس منكرا ولا مترددا في صحة هذا الخبر ولكن الشاعر أنزل ابنه بمنزلة المتردد أو المنكر لموهك له حقيقة هذا الخبر ويشد انتباهه اليه .

وفي البيت الثالث يأمر الشاعر ابنه بحلب اللبن للأضياف وذلك فى قوله (واحلب لأضيافك ألبانها) والأمر من أساليب الإنشاء^٥ والمقام يقتضيه لأنه مقام توجيه وإرشاد^٥ والأمر أقوى من غيره في الحث والطلب . وقد استخدمه الشاعر ليوجب على ابنه عمل المأمور به على الدوام^٥ وفي الشطر الثانى نرى الشاعر يستخدم الأسلوب الخبرى مرة ثانية^٥ وذلك في قوله (فإن شر اللبن الوالج) مصحوبا بموهك حيث أن الشاعر قد نزل ابنه بمنزلة المنكر أو المتردد في صحة الخبر وذلك لتأكيد حقيقة الخبر وتثبيتته في ذهنه ونهاده في تقبيح اللبن الوالج في ضرم الناقة مما يجعل السامع يشمئز من عمل ذلك الأمر ويبتعد عنه .

ونرى هذا التزاوج بين الإنشاء والخبر في بعض أبيات أبي الأسود الدؤلى التى وجهها إلى أحد إخوانه والتى يقول فيها^(١)

(١) ديوانه ص ٦٤ والباب الأول ص ٢٢١ .

لا يكن برقك برقاً خلباً
إن خير البرق ما الخير معه
لا تشوبس بحق باطلا
إن في الحق لذي الحق سمه
أطل الصمت إذا ما لم تسـل
إن في الصمت لأقوام دعه
...

فالشاعر يوصي صاحبه بوصايا عديدة فينهاه عن الوعد بالمواعيد الكاذبة ،
والنهي أسلوب انشائي ، وفي البيت الثاني ينهاء أيضا نهيا موهكا عن الخلط بين
الحق والباطل .

وفي البيت الثالث يأمره بإطالة الصمت ولزوم السكوت إذا لم يكن هناك
موجب للكلام والأمر أسلوب انشائي .

فأسلوب الانشاء هو المناسب لهذا المقام لما فيه من معان طلبية مناسبة
للمقام وموهدية للغير الذي يريد الشاعر أن يفصح عنه ، ولما فيه من تحريك
للعواطف حتى تكون في حالة ملائمة للقبول والإذعان .

وقد عقب الشاعر بعد كل إنشاء بخبر لكي يبين لصاحبه علة نهيه أو أمره
وقد استخدم الشاعر الخبر الموهك بموهك واحد وكأنه أنزل صاحبه منزلة المنكر أو
المتروك وذلك ليهيب المعنى في قلبه ويقويه عنه .

فلما نهاه عن الوعد الكاذبة بين له السبب فقال " إن خير البرق ما
الغيث معه " فخير الوعد ما كان حاضرا غير موهجل .

ولما نهاه عن خلط الحق بالباطل بين له العلة في ذلك فقال " إن في

الحق لدى الحق سعة " فأخبره أن في الحق شمع ومجال لمن أراد به يغنى عن الباطل .

ونراه في البيت الثالث يأمره بإطالة الصمت والسكوت عند عدم الحاجة للكلام ثم يخبره عن سبب ذلك وهو " إن في الصمت لأقوام دعه " فالصمت راحة للعامل في أكثر الأوقات .

بعد ذلك يمكن القول أن شعراء الرصايا استخدموا الأسلوب الإنشائي في المقام المناسب وهو عندما يكون الموقف موقف حث وتوجيه وإرشاد واستخدموا الخبر عندما يكون المقام في حاجة إلى الإثبات والتأكيد . وقد يخرج الإنشاء عن غرضه الأصلي إلى معنى آخر يستفاد من السياق مثل قول عبد قيس بن خفاف (١) :

واترك محل السوء لا تحلل به
وإذا نبأ بك منزل فتحول
دار الهوان لمن رآها داره
أفراحل عنها كمن لم يرحل
...

فجملة أفراحل عنها ... " جملة إنشائية خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى آخر يفيد التساوي وهو نفى مشوب بالإنكار على من لم يرحل ورضى بالبقاء في دار الهوان وعلى هذا الابن أن لا يكون من هؤلاء .

ومنه أيضا قول بشار بن برد (٢) :

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظلمت وأى الناس تصفو مشاربهم

(١) المفضليات ص ٣٨٥ والباب الأول ص ١٥٨ .

(٢) ديوانه ج ١ ص ٣٢٦ والباب الأول ص ٢٥٨ .

فلا استفهام في قوله " وأى الناس تصفو مشاريه " ليس على حقيقته إنما هو للنفي أى لا يوجد أحد خلص من العيوب ، والقصد من ذلك اقناع السامع بتخفيف المعاتبة لغيره من أصدقائه إذا زل وأن يتغاضى عن كثير من أمور لا يرضاها وإلا فإنه سوف يظل وحيدا طول حياته مما يعود عليه بالضرر الكثير كهذا الذى طلب خلوص الماء من كل شائبة فكان نصيبه دوام الظما .

ثانيا : في الصور البيانية :

يشكل الخيال جانبا مهما من الشعر فهو (الغضاء الذي ينتقل الفكر خلاله بحرية واسعة ليلتقط ما يبتكره من صور فيض متناثرها ويعمل فيها يده الغنية حتى تعود خلقا جديدا (١) فالخيال هو الميدان الفسيح الذي ينطلق فيه الشاعر ليصور عواطفه وأحاسيسه ويبين عما يمكن في نفسه من انفعالات ويجعل المتلقى يشاركه في هذه الأحاسيس والعواطف، ولن يكون تأثيره في المتلقى مستعيا إلا إذا من الخيال انفعالاته مسا (فخفف من جفاف الفكر وأجرى ماء يابن من صلابته العقل وبجانب ذلك فإن للخيال دورا في إبراز الخبي وكشف الأستار والحجب وتشخيص المتخيل وتجسيم المتوهم وإحضار الغائب ماثلا للحس والعيان قطعا لحجة من يمارى ويشك وتغريبا للقارىء نحو دائرة التسليم والإقناع (٢) .

فمن أجل ذلك كانت الصور الأدبية من تشبيه واستعارة وكناية مما يضاف على العمل الأدبي سوا جمالا ودقة في التعبير يجعل المتلقى يستشعر مواطن الجمال فيتفاعل مع الأدب ويتأثر بانفعالاته وعواطفه .

وإذا عرضنا دور الخيال والصور البيانية فلا نتمجب من الإمام عبد القاهر الجرجاني عندما قدم الاستعارة وجعلها أبلغ من الحقيقة وذلك في قوله (وهي أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها وتستوفى جملة جمالها) (٣) .

ويبين الإمام عبد القاهر قيمة الصور البيانية في تأدية المعنى وتوضيحه وزهاده تأثيره فيقول عن الاستعارة (ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير

(١) الصورة بين البلاغة والنقد ص ١٧ أحمد بسام ساعى نشر دار المنارة ، دمشق ط الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

(٢) في ميزان النقد الأدبي ص ٣٠ د / طه أبو كرشه .

(٣) أسرار البلاغة ص ٣٢ .

من اللفظ • حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر • وتجنى من الفصن الواحد أنواعا من الثمر ••• وإنك لترى الجماد بها ناطقا • والأعجم فصيحاً • والأجسام الخرس مبيثة والمعاني الخفية بادية جليلة •••• إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جمعت حتى رأتها المبيون وإن شئت لطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتألفها إلا الظنون (١)

ويقول عن تشبيه التمثيل وتأثيره في النفس (اعلم أن ما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس ودعا القلوب إليها واستثار لها من أفاصيص الأفتدة صباية وكلفا وفسر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا (٢) •

ويقول عن أسباب قوة تأثير التمثيل وعلته النفسية (•• وأنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفى إلى جلى وتأنيها بصريح بعد مكنى • وأن تردّها نفس الشىء تعلمها إياه إلى شىء آخر هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم • نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وهما يعلم بالفكر • إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع • لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة في غاية التمام •••• (٣) •

فهذه النصوص تدل على رفعة منزلة الصور البهانية وعلو قدرها عند الإمام عبد القاهر وذلك لما تضيفه على النص من معان مبتكرة وأخيلة رائعة •

-
- | | |
|-----|-----------------------|
| (١) | أسرار البلاغة ص ٣٣ • |
| (٢) | المصدر السابق ص ٩٢ • |
| (٣) | المصدر السابق ص ١٠٢ • |

وللصورة الشعرية منزلة رفيعة عند النقاد المحدثين لما لها من أثر واضح في نفس المتلقى ومشاعره وخصوصاً أنها خير وسيلة لإيصال الفكرة للمتلقى ، فنسرى الأديب إيصال الفكرة للقارئ مع جعله يشعر بنفس المشاعر التي تجيش بها عاطفته فتثير فيه روعة الإعجاب أو لوعة الحب أو لهيب الحماسة أو غصص الحزن فيما إذا كان معجباً أو محباً أو متحمساً أو حزينا (١) .

فالصورة الأدبية هي الطريق الأمثل لتصوير تلك المواطن التي تؤدي إلى تمكين (المعنى في النفس لأن غاية الكلام البلوغ من نثر أو شعر إنما هو التأثير) (٢) .

ويقول د / غيبي هلال عن الصورة الأدبية مبيهاً منزلتها الفنية (الصورة الأدبية هي الوسيلة الفنية لنقل التجربة) فما التجربة الشعرية إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم من الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحية والقصة ، إذن فالصورة جزء من التجربة ومما يضعف الصورة أن تكون برهانية عقلية لأن الاحتجاج أقرب إلى التجريد من التصوير الحسي الذي هو من طبيعة الشعر ثم إن الاحتجاج تصرّح لا إيحاء فيه والتصرّح يقضى على الإيحاء الذي هو خاصة من خصائص التعبير الفني (٣) .

ومصطفى السحرى يبين منزلة الصورة الشعرية وما لها من قيمة وتأثير يقول :
(فأما الخيال فتبد وصوره في التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية وما إليها وهذه الصور الخيالية تخلق الاتزان اللطيف في ثنايا العمل الشعري وتغنى عليه وشاحها

(١) انظر أصول النقد الأدبي ص ٢٤٢ أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط الثانية سنة ١٩٧٣ م .

(٢) الموازنة بين الشعراء ص ٦٩ زكي مبارك نشر الحلبي ط الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ

(٣) النقد الأدبي الحديث ص ٤١٧ د / محمد غيبي هلال دار نهضة مصر .

من الجمال والرونق إذا استخدمت استخداما طبيعيا لا أثر للتكلف فيه وإذا
ابتعدت عن الاغراق في التخيل والتهيم فيما وراء الطبيعة (١) .

وقد أحسن شعراء الوصايا استخدام الصور البهائية مما أضفى على الشعر
جمالا ورونقا . فحميد بن ثور الهلالي يذكر المرأة المسلم بالموت ويصوره له بحيوان
مفترس له أظفار قوية يفرسها في جسم الإنسان يقول (٢) :

فلا تأمنن بهات المنون
وكن حذرا حد أظفارها
فإن النية ما أسارت
من القوم عادت لاسارها

فالنية وحش يفترس الخلق وينشب أظفاره في الإنسان وليس منه فكاك فهو
ما ترك أحدا في يوم من الأيام إلا وعاد إليه واغترسه .

فالشاعر قد جسد النية وصورها بهذه الصورة - على سبيل الاستعارة
المكينة - التي تشعر المرأة بالفزع والخوف وتجعله يعمن في التفكير بحاله ويجتهد
في الأعمال ليوم معاده .

ومن الصور البهائية الحسنة تصوير أبي تمام للدنيا حيث يقول (٣) :

فلا تأمن الدنيا إذا هي أقبلت
عليك فما زالت تخون وتدبر
فما تم فيها الصفو يوما لأهل
ولا الرفق إلا ريشا يتفبر

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٤٩ مصطفى السحرى ط الثانية

١٤٠٤ هـ نشر تهامة جده .

(٢) ديوانه ص ٩٦ والباب الأول ص ١٩٢ .

(٣) ديوانه ح ٤ ص ٩٥ والباب الأول ص ١٩٩ .

فالشاعر يحذر الإنسان من مكر الدنيا وغرورها ويصورها له بإنسان غدار خائن لا يستقيم على حال واحدة متى ما سنحت له فرصة وثب على صاحبه وتخلص منه أو ابتعد عنه وأدبر وكذلك الدنيا فهي لا تستمر على حال واحدة فما دام السرور لأحد فيها ولا رفقت بإنسان إلا واشتدت عليه .

وقد استطاع الشاعر في هذه الصورة أن يضمن في التحذير من هذه الدنيا الغادرة وذلك باستعماله للاستعارة في البيت الأول وبما وضعه في البيت الثاني مما كان له الأثر الواضح في جلاء صورة الدنيا وتوضيح حالها لكي يأخذ المرء حذره منها .

والشاعر عبد الله بن المعتز يرسم صورة بيانية رائعة في الحث على اجتناب الذنوب ولزوم التقوى يقول (١) :

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها فهو التقوى
كن مثل ماش فـوق أر * في الشوك يحذر ما يرى
لا تحقـرن صغيرة * إن الجبال من الحص
...

فالشاعر يرسم صورة بيانية للتقوى وماهيتها فيحث المسلم على تجنب الشبهات التي تخل بالتقوى فعليه أن يكون مثل رجل يسير في أرض قد كساها الشوك من كل جانب فهو يحاذر أن يقع فيه .

ويجسم الشاعر الذنوب ليبالغ في التحذير منها حيث يأمر المسلم بترك الذنوب الصغيرة وأن لا يحتقرها فالذنوب الصغيرة إذا تراكت واجتمعت صارت

(١) ديوانه ج ٢ ص ٣٧٦ والباب الأول ص ٢٠٥ .

كبيرة مثلها مثل الحجارة الصغيرة لما اجتمعت وتراكت صارت جبالا ضخمة وكذلك الذنوب .

ومن الصور البهانية تصوير عبدة بن الطبيب للنمام عندما حذر أبناءه من سومه وسهامه يقول (١) :

واعصوا الذى يزجى النمام بينكم
متنصحا ذاك السمام المنفع
يزجى عقاربته ليمت بينكم
حربا كما يمت العروق الأخدع
حران لا يشفى غليل فؤاده
عمل بلاء فى الإناء مشمشع
...

فالشاعر يرسم لأبنائه صورة النمام "ويبين لهم حالته وأخلاقه ليحذروه ويحذروه
فيقول لهم : اعصوا هذا النمام الذى يزجى بينكم العداوة والبغضاء متظاهرا لكم
بالنصح والمحبة فهو مثل الأفعى كلامه سم منفع قاتل يفتك بمن خالطه .

وهذا النمام يمت اليكم عقاربته لتلدغكم وتفرق جمعكم وتبعث بينكم حرسا
ضروسا مثلما يمت الأخدع بقية العروق إذا ضرب .

والنمام دائم الغيظ حقود يغلى جوفه كالمرجل لتأصل الشرفيه فلا يشفى
غله الماء المزوج بالعسل إنما يشفى ذلك تفرقكم .

وذو الأصبع المدوانى يحث ابنه على خوض الحروب ويعطيه الصورة التى يجب

(١) المفضليات ص ١٤٦ والباب الأول ص ١٤٤ .

أن يكون عليها يقول (١) :

فاهصر كهصر الليث
خضب من فريسته الظيلا
وانزل إلى الهيجا إذا
أبطالها كرهوا النزولا

...

فالشاعر يوصي ابنه ويقول : قاتل في ساحة المعركة واضرب رقاب العدو
بشدة وكن كالليث في شجاعته وقوته وعدة بطشه وانزل إلى أرض المعركة من غير
خوف ولا وجل إذا الأبطال الأشاوس كرهوا النزول .

وقد تأتي الصور متتابعة لتؤكد معنى واحدا ، وذلك في مثل أبيات أو من
ابن حجر التي يوصي فيها أحد اخوانه على لزوم العشيرة ويبين له مدى حاجته لهم
مستخدما التشبيه التمثيلي يقول (٢) :

وقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
لهم هرشا تغتابهم وتقاتل
فما ينهض البازي بغير جناحه
وما يحمل الماشين غير الحوامل
ولا قائم إلا بساق سليمة
ولا باطش ما لم تعنه الأنامل

...

فالشاعر يصور لصاحبه مدى حاجته لقومه فيقول أنت محتاج إلى عشيرتك لا
تستطيع أن تستغنى عنهم ومثلك مثل الصقر الذي لا ينهض إلا بمساعدة جناحه

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٠٠ . واللباب الأول ص ١٧٠ .

(٢) ديوانه ص ٩٩ واللباب الأول ص ٢٦٥ .

ومثل السائرين على الأرض بأرجلهم التي تحملهم فلولا هذه الأرجل ما استطاعوا السير ومثل الواقف الذي لا يستطيع الوقوف إلا بساق سليمة ومثل الضارب بالسيف فإنه بحاجة إلى أنامله لكي يقبض عليه ويمسكه بإحكام ثم يبطش به .

فالشاعر قد أتى بأربعة تشبيهات ضمنية متوالية ، وكأنه عندما أتى بالصورة الأولى لم يفتح بها لأنها لم تخرج كل ما في احساسه فشغفها بصورة أخرى وهكذا حتى بلغ الرابعة وكل ذلك ليقوى تأكيده على صاحبه بلزوم المشيرة ولمزيد في توضيح مدى حاجته لهم وفيه تحذير ضمني بعدم البعد عنهم وإلا عرض نفسه للهلاك والضياع .

ونرى التصوير الدقيق للأحمق عند مسكن الدارس وذلك عندما حذر منه في وصيته حيث يقول (١) :

اتقِ الأحمق أن تصحبه
إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رفعت منه جانبها
حركته الريح وهنا فانخرق
أو كصدع فسى زجاج فاحش
هل ترى صدع زجاج يتفنى
...

فالأحمق سء الخلق متهلهل كالثوب الهالى المتقطع كلما رفع المرء منه طرفا وعرضه للهوام حتى لو كانت حركة الهواء ضعيفة - تمزق وتخرق .

لم يشفع الشاعر صورة الأحمق هذه بصورة أخرى وهي أن الأحمق مثل صدع

(١) خزانة الأدب ج ٣ ص ٦٩ .

فى زجاجة لا يمكن التثامها أو اتفافها مرة أخرى ، فأخلاقه لا يمكن أن ترم أو تصلح مرة أخرى .

ونرى الصورتين قد أمتعنا فى تفبيح الأحمق وقرنت صورته إلى نفس السامع مما يجعله يشمئز وينفر منه لرداءة أخلاقه .

وللشاعر تصوير آخر للمرأة الفاحش اللئيم يقول (١) :

إنما الفحش ومن يعتاده
كغراب السوء ما شاء نعنق
أو حمار السوء إن أشبعته
رمح الناس وإن جاع نهق
أو غلام السوء إن جوعته
سرق الجار وإن يشبع فسق
...

فصورة الفاحش وفحشه مثل غراب السوء الذى نعنق متى ما شاء فى كل وقت والفاحش متى ما شاء بدأ يهذى بفحشه وفجوره .

أو كان الفاحش ورداءة أخلاقه حمار سوء إن جوعته أزعجك بنهيقه وإن أشبعته رمح الناس وأذاهم ، أو هو كانه قن لئيم لا يسلم الناس من شره فى جميع حالاته فإن جوعته سرق جارك وأذاه وإن أشبعته فسق وعمل المنكرات والفاحش مثله .

فالشاعر صور الأحمق فى البيت الأول بغراب السوء الذى نعنق فى كل وقت ثم أراد أن يهذى فى تفبيحه فصوره بحمار السوء ثم أراد أن يبالغ فى تفبيحه أكثر

(١) خزانة الأدب ج ٣ ص ٧٠ .

ويزهّد في بيان حقيقة للناس نصوره باللقن اللثيم الذي إن شبع فسق وعاث فسى
الأرض فسادا وإن جاع سرق الجار .

فالشاعر قد تدرج في تصويره للفاحش والفحش من السيء إلى الأسوء ،
وهذا ما زاد الغرض الذي ذهب إليه الشاعر بيانا وإيهاما وساعد على تجسيده
وبيان كلفيته للمجتمع حتى يحذروه وينتبهوا لخطره فيجتنبوه .

ومن الصور الفنية الرائعة في مجال تصوير اللثام لغرض التحذير منهم
قول البراء بن قيس في وصيته لابنته في اختيار الزوج الكريم يقول (١) :

ولا تنكحى جيسا عابا ملعنا
شديدا على الجار الملاصق جانبه
ولا بطنا لا يبرح الدهر قاعدا
عبوسا إذا ما الضيف حطت ركائبه
حرام عليه الدهر يبرح بهتبا
فقد فرحت من الفراش مناكبه

...

فالشاعر ينهى ابنته عن الاقتران برجل حقير لثيم وقد عبر عن ذلك بعدة
صور حيث استخدم الكتابة في قوله (ولا بطنا لا يبرح الدهر قاعدا) عن خسته وذلته
وجبنه فغاية همه الأكل ليس إلا .

أما المعالي فهو بعيد عنها ، وصور شدة بخله وسوء خلقه في (عبوسا إذا
الضيف حطت ركائبه) فتضيق نفسه ويحبس وجهه وكأن مصيبة حلت به إذا ما
ضيف أناخ ببابه ، ثم يزهّد في تصوير هذا اللثيم الذي لا يستحق أن يكون زوجا

(١) الحماسة للبحتري ص ١٩٠ والهاب الأول ص ١٧٦ .

فيصفه بالخمول والكسل والمعجز فهو لا يفاد ر بهت زوجه، كثير النوم حتى تفرحت مناكبه
من طول ملازمته الفراش .

وقد استخدم الشاعر في هذه الصورة الكناية أيضا ، وهذه الصور مجتمعة
تبين للبنات صفات اللثيم وتجسدها لها مما يجعلها تأنف من اللثام وتشتئز نفسها
عند رؤية هذا الصنف من الناس .

ونرى دقة تصوير اللثيم في وصية هدية بن الخشرم العذرى لزوجه عند
موته حيث يقول (١) :

ولا تتكحسى إن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
كليا سوى ما كان من حد ضرره
أكبِدَ مبطان العشيات أروعا
ضروبا بلحييه على عظم زوره
إذا الناس هشوا للفعال تقنعا

...

فالشاعر يصور اللثيم لزوجه ويقول لها : " إنه رجل قد أرسل شعره على
وجهه وقفاه حتى يتغطى بهما فلا يراه أحد أو يعرفه فيطلب منه قضاء حاجة
فهو رجل ضعيف خامل لا يعمل شيئا إلا في الأكل فهو شره أكل عظيم البطون
يبحث عن الطعام في أى مكان ثم يجسم الشاعر صفات اللثيم القبيحة وجبته ، فأسفل
حنكية ملاصقة لمظام زوره على الدوام لا يعرف طريقا لرفعها إلى أعلى، وفذلك من
شدة لومه وجبته حتى لا يرى أحدا أو يراه أحد وإذا ما أسرع الناس لفعل الخير
والأعمال الشريفة تقنع وغطى وجهه أو أشاح به عن الناس حتى لا يعطيهم أو

(١) الأغاني ح ٢١ ص ٢٦٩ والباب الأول ص ٢٨٦ .

يساعدهم في شيء من أمورهم ، وقد صور الشاعر اللثيم في ثلاث صور متتالية استخدم الكتابة فيهما وكأنه في الصورة الأولى أحس أنه لم يعط صفات اللثيم حقها من التوضيح والبيان فزاد ثانية وثالثة ، فهل بعد هذه الصور غوي في صفات اللثيم ؟ وهل سترض امرأة بالافتتان بمثل هذا الرجل ؟ الجواب النفي في كلا الأمرين فالشاعر بتصويره هذا قد كشف المغطى وأوضح وأبان وبالع فسي تقبح اللثيم مما يبعث الاشتزاز في النفس من رؤية هذا الصنف ، وقد استطاع الشاعر أن يصور هذا الصنف كأنه مائل للعيان .

ومن التصوير البياني القائم على التشبيه التمثيلي حيث عبد الله بن المعتز المرء على الصبر على حسد العدو حيث يقول (١) :

اصبر على حسد العدو
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله
...

فالصبر على حسد العدو وتركه وعدم الاهتمام به يغيظه ويقضى عليه فمثلته مثل النار التي لا تمتد بالحطب فهي تأكل بعضها وتخد في لحظات يسيرة ، فحسد العدو يرجع إليه إذا لم يجد من يهتم به فيفتك بنفسه ويحترق جوفه وقلبه .

وهذا التصوير البياني قَرَّب الصورة وَهَبَهُ الأمر المتخيل بالحقيقة الشاهدة مما كان له أكبر الأثر في الاقتناع بجدوى الصبر على الحاسد .

وأبو تمام بحث المرء على الاغتراب والسفر لأن لا يمله الناس ويوضح معناه

(١) ديوانه ج ٢ ص ٤١٢ والباب الأول هـ ٩٩ .

بتشبيه تمثيلي حيث يقول (١) :

وطول مقام المرء في الحى مخلق
لديها جتيه فاغترب تتجدد
فلانى رأيت الشمس زهدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم يسرمد
...

فمكوثك أيها الإنسان في وطن واحد لا ترحل عنه أبدا مخلق لجدتك
وينقص من قيمتك وقد رك عند الناس فساغر واغترب عن وطنك ليتجدد وجهك
وبهاوك، وانظر إلى الشمس وليكن لك فيها قدوة ه فهي محبة لدى جميع الناس
وهم يأنسون بها وما ذاك إلا لغيا بها بعض الأوقات عنهم وإشراقها عليهم فس
أوقات أخرى ولو كانت دائمة المكوث لديهم لملوها ولستموا مشاهدتها .

وقد أبدع الشاعر في تصويره هذا ما يوجب على المتلقى الاقتناع بالمعنى
الذى يريده الشاعر ه ولو توقف الشاعر عند البيت الأول فقط لتردد السامع فس
قبوله ه ولكنه شفعه بالبيت الثانى الذى يحمل تشبيه التمثيل ليوضح صحة ما
يراه وما أمر به .

فما سبق يتضح لنا أن شعراء الوصايا قد استخدموا جميع ألوان الصور
البنيانية من استعارة وكناية وتشبيه ه ولكن أكثر هذه الألوان دورانا في هذا الفن
التشبيه ه ويبدو أن ذلك راجع إلى أن صورة التشبيه أنسب لهذا الشعر من حيث
اتخاذها وسيلة من وسائل الإقناع الذى يهدف إليه شعر الوصايا .

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٣ والباب الأول ص ١٠٩ .

ثالثاً : في القيم الصوتية :

أ - الأوزان :

للمشعر أدوات تميزه عن الأعمال الأدبية الأخرى وأهم هذه الأدوات النغم الموسيقى الذي يهز الوجدان وتطرب له الآذان ويكسب القصيدة جمالا وبهاء .

والنغم الموسيقى في الشعر يمكن في عدة أمور وأهمها الأوزان . فالأوزان هي الأداة الأولى التي يستخدمها الشاعر ليصوغ فيها تجربته الشعرية ويقدمها إلى المتلقي بحلة قشبية وألوان زاهية تمتع النفس وتبعث فيها الأنس والانشراح . وهنا يأتي سؤال يطرح نفسه : هل الشاعر يقصد إلى بحر بعينه لكي ينظم فيه قصيدته فيتخير من البحور ما يوافق غرضه أم أنه ينظم قصيدته على حسب ما يختلج في نفسه وما يدور فيها من انفعالات من غير نظر إلى البحر .

أو بصيغة أخرى هل هناك علاقة بين الأغراض الشعرية والبحور ؟
الجواب : لقد اختلف النقاد إلى فرقتين فرقة ترى أن للبحور صلة بالموضوعات فحازم القرطاجني يرى أن على الشاعر أن يختار لموضوعه البحر المناسب فإن أراد الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة وإن قصد الهزل اتجه إلى الأوزان الطائشة (١) .

ومن النقاد المحدثين من يرى مثل هذا الرأي فالأستاذ أحمد الشايب يرى أن للبحور صلة بالأغراض الشعرية (فالطويل يتسع لكثير من المعاني وإكمالها فلذلك يكثر في الفخر والحماسة والوصف والتاريخ . . . والبسيط يقرب من الطويل . . . والكامل يصلح لأكثر الموضوعات . . . والوافر ألين البحور يشتد إذا تعددت (٢) ويرق إذا رقت وأكثر ما يجود به النظم في الفخر . . . وفيه تجود المراثي . . الخ)

(١) انظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٦٦ حازم القرطاجني تحقيق محمد

ابن الحبيب ط الثانية نشر دار الغرب بيروت سنة ١٩٨١ م .

(٢) أصول النقد أحمد الشايب ص ٣٢٢ وما بعدها .

والفرقة الأخرى من النقاد ترى أنه لا صلة للبحور بالأغراض فالشاعر المطبوع له الحرية في اختيار البحر الذي يناسب عاطفته فيفرغ فيه ما يهتم به بداخله من مشاعر، وكما قال ابن رشيق: (المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها لنبوذوقه عن المزاحف والمستكره ٠٠) (١)

والدكتور إبراهيم أنيس يرى ذلك أيضا ويستدل على ما ذهب إليه بواقع الشعر العربي القديم يقول (هل اتخذ القدماء لكل موضوع من الموضوعات وزنا خاصا أو بحرا خاصا من بحور الشعر التي رويت لنا ؟ إن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرا بمثل هذا التخيير أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه فهم كانوا يمدحون ويفاخرون أو يتفزلون في كل بحور الشعر التي شاعرت عندهم) (٢) .

والدكتور شوقي ضيف كذلك ينكر أن يكون للبحور صلة بالأغراض الشعرية فيقول بإننا (لا نؤمن بما ذهب إليه بعض المعاصرين من محاولة الربط بين موضوع القصيدة والوزن الذي تنظم فيه فحقائق شعرنا تنقض ذلك نقضا تاما إذا القصيدة تشتمل على موضوعات عدة ولم يحاول الشعراء أن يخصصوا الموضوعات بأوزان لها لا تنظم إلا فيها فكل موضوع نظم في أوزان مختلفة وكل وزن نظمت فيه موضوعات مختلفة) (٣) .

فلذلك يجب أن لا نفرق كل بحر بموضوع خاص له وأن لا نجبر الشاعر على القول بوزن معين بل من الأفضل ترك الحرية له (لأنه هو الذي يستطيع أن يدر ك أي وزن من الأوزان أنسب لحالته النفسية وغرضه وهو الذي يستطيع أن يحدد

(١) العمدة ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) موسيقى الشعر ص ١٢٧ د / إبراهيم أنيس ط الخامسة سنة ١٩٨١ م .

(٣) في النقد الأدبي ص ١٥٢ د / شوقي ضيف ط الخامسة دار المعارف مصر .

الموقف الخاص دون التقيد بما يملئ عليه من الخارج وبالربط بين حالته وبين ما اهتدى إليه يستطيع أن يستوفى تجربته الشعرية ويستوعب ما يجيش في نفسه وخواطره ثم ليكن هذا الوزن على أى بحر من بحور الشعر (١)

أما من ناحية خصائص شعر الوصايا في الأوزان فإننا نجد أن البحر الطويل هو المقدم على البحور في شعر الوصايا فأغلب هذا الشعر نظم على هذا البحر ولعل ذلك راجع إلى أن شعر الوصايا يتسم بالجد والنبيل والصدق والموضوعية وبحر الطويل (بحر الجلالة والنبالة والجد) (٢) وهو البحر المعتدل (٣) .

واستخدام هذا البحر أعنى بحر الطويل شائع في الشعر العربي فقد نظم ثلث الشعر العربي على هذا الوزن وقد كان القدماء يؤثرونه على غيره ولا سيما في الأغراض الجديدة الجليلة الشأن (٤) .

وشعر الوصايا لا يختلف عن الشعر العربي فما هو إلا غرض من أغراض هذا الشعر .

فمن الأبيات الرائعة التي جاءت على بحر الطويل قول سليمان ذو الدمنة في وصيته على الكرم والإنفاق (٥) :

إذا المرء لم يستر عن الذم عرضه
ببلغة ضيف أو بحاجة قاصد
فما المال إلا مظهر لميوسه
وداع إليه من عدو وحاسد

-
- (١) في ميزان النقد الأدبي ص ٣٣ .
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب ج ١ ص ٣٨١ د / عبد الله الطيب ، ط الثانية ١٩٧٠ م دار الفكر - بيروت . (٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٦٢ .
(٤) انظر موسيقى الشعر ص ١٦١ .
(٥) شعر همدان في الجاهلية والإسلام ص ٢٥٩ والباب الأول ص ٦٤

وما المرء محمودا على ذى قرابة
كفاه مهما دون نفع الأبعاد
ومن لا يواتيه على الجود وجده
فإن جميل القول إحدى المحامد
...

وكذلك قول حاتم الطائي في وصيته على حسن معاملة الرفيق في السفر (١) :

إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع
رفيقك يمشى خلفها غير راكب
انخها وأركبه فإن حملتكما
فذاك وإن كان العقاب فعاقب
...

ويلى بحر الطويل بحر الكامل حيث يحتل المرتبة الثانية من بين البحور التي
نظم عليها شعراء الوصايا وهذا البحر (أكثر بحور الشعر جلجلة وفيه لون خاص
من الموسيقى يجعله إن أريد به الجد فخما جليلا مع عنصر ترنمى ظاهر (٢)) وهذا
الأمر واضح جلى في شعر الوصايا ولا أدل على ذلك من الوصايا الأبوية حيث نظم
أغلبها على هذا البحر ونحس بالفخامة والرنة الموسيقية عندما نقرأ أى قصيدة جاءت
على هذا الوزن ، فلو قرأنا - على سبيل المثال - قصيدة عبدة بن الطبيب السني
يوصى بها أبناءه لأحسنا بذلك الأمر ، يقول فيها (٣) :

أبنى إبنى قد كبرت ورابنى
بصرى وفى لصلح مستنح
فلئن هلكت فقد بنيت مساعيا
يبقى لكم منها مآثر أروع

-
- (١) ديوانه ص ٢٠٤ والباب الأول ص ١٠٦ .
(٢) المرشد الى فهم أشعار العرب ج ١ ص ٢٤٦ .
(٣) الفضليات ص ١٤٥ والباب الأول ص ١٣٦ ١٤٤٥ .

ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم

ووراثه الحسب المقدم تتفع ٠٠٠ الخ

...

ويلي بحر الكامل من حيث المنزلة في شعر الوصايا البحر البسيط وهو بحر
جليل رائع ويعد شقيق الطويل وقد أكثر العرب الأوائل في النظم على وزنه .

ومن أشهر القصائد التي نظمت على هذا الوزن في شعر الوصايا قصيدة
أبي الفتح البستي التي حشد فيها وصايا اجتماعية عديدة والتي يقول فيها :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحسان

وإن أساء معي فليكن لك فسي

عروى زلته صفح وغفران

وكن على الدهر معوانا لذي أمل

يرجو نداك فإن الحر معوان ٠٠٠ الخ

...

ويأتي بعد بحر البسيط بحر الوافر فقد نظم فيه شعراء الوصايا عددا من
القصائد وإن لم تكن كثيرة مثل البحور السابقة ومنها قصيدة عمرو بن الأهتم التي
يوصي فيها ابنه ريمى (٢) :

لقد أوصيت ريمى بن عمرو

إذا حزيت عشيرتك الأمور

بأن لا تفسدن ما قد سمينا

وحفظ السورة العليا كبير

(١) قصيدة عنوان الحكم لأبي الفتح البستي ص ٣٦ والباب الأول ص ٤٦ .

(٢) المفضليات ص ٤٠١ والباب الأول ص ١٤٢ .

وبعد الوافري يأتي بحر الخفيف وعدد القصائد والمقطوعات التي نظمت فيه قليلة مثل قول ابن العلاف (١):

قل لمن يهرم المهر فلو عد
ت صحبها لعماد ذاك مرها
لا تطل غده الجلوس فيزدا
د طويلا من السقام عريضا... الخ
...

والمقارب يأتي بعده فقد نظم شعراء الوصايا قصائد ومقطوعات على هذا البحر ليست بالكثيرة مثل وصية السلطان العبدى لابنه التي يقول فيها (٢):

بنى بدا خب نجوى الرجال
فكن عند سرك خب النجى
وسرك ما كان عند امرى
وسر الثلاثة غير الخفى... الخ
...

وبلى المقارب بحر الرمل فقد جاءت بعض القصائد عليه مثل وصية مسكين الدارمي التي يقول فيها (٣):

إتق الأحمق أن تصحبه
إنما الأحمق كالثوب الخلق
...

أما الرجز فلم ينظم فيه إلا مقطوعتان من شعر الوصايا الحربية وذلك في قول خالد بن الوليد (٤):

-
- (١) شعره ص ٣٠ والباب الأول ص ١١٦
(٢) الحماسة لأبي تمام ح ١ ص ٦٢٣ والباب الأول ص ١٦٥ .
(٣) خزانة الأدب ح ٣ ص ٦٩
(٤) فتوح الشام ص ١٥٧ والباب الأول ص ٢٢١ .

هبوا جميعا إخوانى أرواحا
نحو العدو نبتغى الكفاحا ... الخ
وقول ابن الخنساء (١) :

فبادروا الحرب كماة فى العدد ... الخ

ولعل ذلك راجع إلى أن هاتين المقطوعتين قيلتا ارتجالا فى ساحة المعركة
تحت صليل السيوف وتكسر الرماح ، وإيقاعات الرجز تلاثم ذلك وهو يسهل فى
الارتجال .

أما بحر السريح فقد جاءت منه وصية واحدة وهى وصية الحارث بن حلزة
الشكرى التى يقول فيها (٢) :

قلت لعمرو حين أبصرته
وقد حبا من دونها عالم
لا تكسح الشول بأغارها
إنك لا تدري من الناتج

وهذا الوزن قليل الاستعمال فى الشعر العربى على وجه العموم .
ونظم على البحر المنسرح قطعة واحدة هى قول عبد الله بن المبارك (٣) :

يا طالب العلم بادر الورعا
وهاجر النوم وهاجر الشعا
يا أيها الناس أنتم عقيب
يحصده البوت كلما طلعا

...

(١) شعر الدعوة الإسلامية فى عصر النبوة ص ١٢٠ والباب الأول ص ٢٢٢ .

(٢) الفضليات ص ٤٢٩ والباب الأول ص ١٢٠ .

(٣) ديوانه ص ٥٢ والباب الأول ص ١٩٥ .

ب - الموسيقى الداخلية :

موسيقى الشعر وأنغامه ليست متوقفة على الوزن والقافية فقط ، بل هناك موسيقى أخرى تعرف بالموسيقى الداخلية للكلمات والعبارات وهو (الميدان الفسيح الذي تظهر فيه عبقرية الأديب شاعرا أو ناثرا وهو يوقع على أوتار معانيه ويودع النغم العذب الجميل فيما يختار من لفظ وتعبير (١))

وهذه الموسيقى ليس لها ضابط يضبطها إنما هي تعود على قدرة الأديب في الصياغة وعلى حسن اختياره لحروفه وكلماته فلذلك اختلف الشعراء (في إدراك هذه الموسيقى الخفية منهم من يبلغ به إدراكها أن تصبح ألفاظه كلها أنغاما رشيقة أو قل أنغاما حلوة) (٢) .

ولشعر الوصايا موسيقى داخلية وأنغام حلوة ظاهرة فمن ذلك قصيدة عبدة بن الطبيب التي يقول فيها (٣) :

أبنى انى قد كبرت ورابنى * بصرى وفى لصلح مستمتع
فلئن هلكت فقد بنيت مساعيا * يبقى لكم منها مآثر أريج

إلى أن يقول :

١ - ونصيحة فى الصدر صادرة لكم

ما دمت أبصر فى الرجال وأسمع

٢ - أوصيكم بتقى الإله فإنـه

يعطى الرغائب من يشاء ويمنع

(١) فى ميزان النقد الأدبى ص ٣٤ .

(٢) فى النقد الأدبى ص ١٢٧ د / شوقي ضيف .

(٣) المفضليات ص ١٤٥ والباب الأول ص ١٣٦ .

٣ - وبير والدكم وطاعة أمـره

إن الأبر من البنين الأطوع

٤ - إن الكبير إذا عصاه أهله

ضاقت يداه بأمره ما يصنع...

...

فالموسيقى المنبعثة من داخل الأبيات واضحة يشمر بها القارئ أو السامع

فهو تهز المشاعر وتحرك الوجدان .

فالشاعر قد أحسن تكرار حرف الصاد - وهو من حروف الهمس ويحدث صغيرا

هادئا - في البيت الأول في قوله : ونصيحة ، الصدر ، صادرة ، أبصر ، ونسى

البيت الثاني في قوله أوصيكم ، وفي البيت الرابع في كلمات عصاه ، ويصنع .

فذلك التكرار المتوازن لهذا الحرف مع حسن تلاؤم الحروف مع بعضها

أضفى جمالا على الأبيات وأحدث جرسا ونغما موسيقيا .

وكذلك تكريره لحرف الهاء الحلقى المخرج في قوله :

إن الكبير إذا عصاه أهله

ضاقت يداه بأمره ما يصنع

أعطى للبيت نغمة خاصة ، فقد كرر حرف الهاء في شطر البيت الأول ثلاث

مرات في كلمة عصاه وأهله ، وفي الشطر الثاني مرتين في كلمة يداه ، وبأمره .

فالمتلقى يشعر بأن هذه الكلمات التي تألف منها البيت تخرج من أعماق جوف الشاعر

وكأنها تأوهات حرة حيث يحس السامع أو القارئ بنغمة حزينة وموسيقى هادئة

في هذا البيت .

وقد استخدم الشاعر المحسنات البدعية ما زاد في جمال الأبيات ونسى

إيقاعاتها فنراه يجانس جناسا اشتقاقيا في قوله :

وبير والدكم وطاعة أمره

إن الأبر من البنين الأطوع

فجانس بين (بر) و(الأبر) وبين (طاعة) و(الأطوع) جناساً
اشتقاقياً أعطى للبيت نغمة موسيقية نتجت عن ترديد الأصوات والإيقاعات .

وكذلك الطباق في قوله (ما دمت أبصر في الرجال وأسمع) فقد طابق
بين أبصر وأسمع وكذلك في قوله (يعطى الرغائب من يشاء ويمنع) فطابق بين
يعطى ويمنع وهذا الطباق قد حافظ على توازن الإيقاعات الموسيقية في الأبيات
ونحصر بالموسيقى الداخلية الهادئة في أبيات الصلتان العبدى التى يوصى
بها ابنه عمرو يقول (١) :

بنى بدا خب نجوى الرجال

فكن عند سرك خب النجى

وسرك ما كان عند امرئ

وسر الثلاثة غير الخفى

كما الصمت أدنى لبعض الرشاد

فبعض التكلم أدنى لنفسى

...

فالشاعر في الأبيات السابقة يوصى ابنه بكتمان الأسرار وحفظها وقد أضفى
على أبياته نغمة موسيقية وإيقاعات منتظمة وذلك من خلال تكريره لحرف الباء (الألف)
في قوله (بدا) (نجوى) (الرجال) فقد وزع هذا الحرف توزيعاً متوازياً في
ثلاث كلمات متتالية مما أثار على المقاطع الصوتية وأعطاه نغماً موسيقياً متوازياً .
والتضعيف أيضاً في الأبيات زاد في إيقاعاتها الموسيقية فقد استخدم

(١) الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ٦٢٣ والباب الأول ص ١٦٥ .

التضعيف في البيت الأول عدة مرات في قوله : بَنَى ٠ خَبَّ ٠ شَرَك ٠ خَبَّ ٠ وفي البيت الثاني ثلاث كلمات هي قوله ٠ وَسَرَّكَ ٠ وَسَرَّ الثَّلَاثَةَ ٠ ٠ ٠ وضعف في البيت الثالث ثلاث كلمات أخرى في قوله : الصَّمت ٠ والرَّشاد ٠ التَّكلم ٠ وهو تضعيف صوتي لدخول ال الشمسية وان لم يكن تضعيفا في أصل حروف الكسمة ٠ فهذا التضعيف زاد في جمال الإيقاع الموسيقي وأعطاه نغمة خاصة نتجت من الضغط على المقاطع الصوتية الناتجة من التضعيف ٠

ونرى تكراره للكلمة (السر) فقد كررها ثلاث مرات وهذه الكلمة تحتوى على حرف السين وهو من الحروف المهموسة ويحدث رسيما وله وقع موسيقي هادئ ٠ ٠

وللمقابلة في البيت الثالث دور كبير في جمال الإيقاع الداخلى للأبيات فقد قابل بين قوله (كما الصمت أدنى لبعض الرشاد) وبين قوله (فبعض التكلم أدنى لحنى) فالشطر الأول يقابله الشطر الثاني ٠

وللمحسنات البدعية - غير المتكلفة - دور في تناسق الإيقاعات الموسيقية في الألفاظ ٠ وقد مر بنا بعض منها فيما سبق من الأبيات وخاصة الطباق والمقابلة ٠

فمن الجناس الذى زاد في موسيقى اللفظ قول الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه (١) :

ألا فاصبر على الحدث الجليل

وداو جواك بالصبر الجميل

فقد جانس بين كلمة (الجليل) وكلمة (الجميل) جناسا ناقصا مما كان له

(١) شعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين ص ٥٣٩ والباب الأول ص ٢٠٢ ٠

الأثر الواضح في انسجام النغمة الموسيقية للبيت بالإضافة إلى التصريح الذي يشكل بين الشطرين في التوقيع النفسى .

ونرى حسن أثر الجناس من الناحية الموسيقية في قول سابق البربرى (١) :

سبق القضاء بكل ما هو كائن

والله يا هذا لرزقك هامن

تعنى بما تكفى وتترك مابه

تعنى كأنك للحوادث آمن

فقد جانس الشاعر بين كلمة تعنى في الشطر الأول والتي بمعنى تجتهد في طلب ما تكفى وتحرص عليه وبين كلمة (تعنى) في الشطر الثانى والتي بمعنى تفقد وتأمر به ، فالجناس كحل للشطر الثانى نغمة موسيقية متوازنة ومنسجمة مع موسيقى الشطر الأول .

وللتصريح في البيت الأول نغمة موسيقية واضحة زادت في إيقاع الكلمات .

ومن المحسنات البديعية الطباق والمقابلة وقد أحسن شعراء الوصايا استخدامها فمن ذلك قول مسكين الدارمى : (٢)

لحاله من باع الصديق بغيره

وما كل بيع بعته برباح

كفسد أدناه ومصلح غيره

ولم يأتصر في ذاك غير صلاح

فالشاعر قد طابق بين (الصديق) و (غيره) في البيت الأول وقابل بين قول (كفسد أدناه) وبين (مصلح غيره) في البيت الثانى وقد أفاد الطباق والمقابلة إيقاعات موسيقية جميلة نتيجة للتقسيم الخفى الذى أحدثاه .

(١) شعره ص ١٣٠ والباب الأول ص ١٩٣

(٢) خزانة الأدب ج ٣ ص ٦٧ والباب الأول ص ٢٥١ .

ومن المحسنات البديعية الشائعة في شعر الوصايا والتي لها دور فسي
إيقاعات الشعر وموسيقاه رد الأعجاز على الصدور ، فمن ذلك قول سابق البربري :
(١)

لا تغرين لجوجا حين تزجره
إن اللجوج له في الزجر إغراء
وأغنى في حسن غفو عن نوادره
فالحر فيه عن الآفات إغضاء

فقد استخدم الشاعر رد الأعجاز على الصدور في البيتين في كلمة إغراء ،
وإغضاء فقد ردهما على قوله لا تغرين ، وأغنى ، وهذا المحسن البديعي زاد في
إيقاعات البيتين الموسيقية ، وزيادة على النغم الموسيقي الذي أحدثه فقد أكد
المعنى الذي يريد ، الشاعر .

ومما يلاحظ في موسيقى شعر الوصايا الداخلية أن لموضوع الوصية ارتباطا
وثيقا في إيقاع الأبيات فإذا كان موضوع الوصية موضوعا هادئا مثل الوصايا الأبوية
أو الاجتماعية فإننا نجد الموسيقى الهادئة مثل وصية عبدة بن الطبيب لابنائه ،
وصية الصلتان العبدى لابنه عمرو اللتين مرتا قريبا .

أما إذا كان موضوع الوصية موضوعا حماسيا وحثا على قتال أو خوض معركة
أو استعداد لها ، فإننا نجد إيقاعات شديدة وموسيقى صاخبة تحرك المشاعر
وتنهز القلوب وذلك مثل قول لقيط بن يعمر الإيادي (٢) :

صونوا جياذكم واجلوا سيوفكم
وجددوا للنسب النبل والشرعا

(١) شعره ص ١١٣

(٢) الديوان ص ٤٤ والباب الأول ص ٢٤٠ .

واشرو تلاحكم من حرز أنفسكم
وحرز نسوتكم لا تهلكوا هلمما
ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة
كما تركتم بأعلى بيضة النخعا
اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا
حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا
فلا تغرنكم دنيا ولا طمع
لن تتمشوا بزمام ذلك الطمعا
...

فإيقاعات الأبيات السابقة إيقاعات شديدة قوية وكل أبيات القصيدة على هذا
النوال .

وللتقسيم دور في زيادة هذه الإيقاعات في مثل قوله في البيت الأول :
صونوا جهادكم ، واجلوا سيوفكم . وفي البيت الثاني في قوله : واشرو تلاحكم ،
من حرز أنفسكم ، وحرز نسوتكم .

ولتكرار الحروف المجهورة والشديدة دور بارز في شدة إيقاع الأبيات مثل
تكرير حرف الجيم في البيت الأول في الكلمات : جهادكم ، اجلوا ، وجددوا ،
وكذلك تكرير حرف الدال الشديد المجهور ثلاث مرات في كلمة جهادكم وكلمة
جددوا .

ولتكرير حرف الراء في الأبيات صخب موسيقى واضح فهو من حروف الجهر ،
وكذلك لحرف الطاء في كلمة (طمع) في البيت الأخير رنة موسيقية صاخبة ، وكذلك
رد المعجز على الصدر في قوله (الطمعا) أحدث ترديدا لهذا الصوت الشديدا
والموسيقى الصاخبة ، ولأفعال الأمر (صونوا) و (اجلوا) و (جددوا) و (اذكوا) ،
و (احترسوا) نبرات قوية توحى بشدة الأمور به ، وتواليها في مسافات متقاربة

يعطى إيقاعا سريعا يوائم السرعة المطلوبة منهم لتنفيذ هذه الأوامر الحازمة .

فما سبق يتبين لنا حسن الإيقاع وحلاوة الأنغام الموسيقية في شعر الوصايا الناتجة عن الموسيقى الداخلية التي وفرها الشعراء لشعرهم في هذا الفن وذلك في مثل اختيارهم للكلمات تحتوى على حروف لها جرس ونغم مثل السين والصاد ، واستخدامهم للتضعيف الذى يزيد في بنية الكلمة ونغمها ، وكذلك استخدامهم للمحسنات البدعية التى تزيد في إيقاع الأبيات وتساعد على توازن الأنغام .

ج - القافية :

للقافية دور واضح فى إيقاعات الأبيات وفى حسن النغم الموسيقى فهى شقيقة الوزن وهى الأداة الثانية التى تميز الشعر عن غيره من الأعمال الأدبية ، وقد اختلف العلماء فى تحديد بعضها ولكن المختار والمشهور تعريف الخليل بن أحمد وهو قوله (القافية من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذى قبل الساكن) (١) .

وحرف الروى هو (الذى يقع عليه الإعراب وتبنى عليه القصيدة فيتكرر فى كل بيت) (٢) وهذا الحرف هو أهم حروف القافية وله دور بارز فى الموسيقى الشعرية والإيقاعات فإذا وفق الشاعر إلى اختيار حرف مناسب لقصيدته أعطاها نغمة لذيذة تنساب فى الأذن وترتاج لها النفس ومعظم الحروف الهجائية صالحة لأن تكون رويًا ولكنها تتفاضل فى نسبة الشيوع (٣) .

وإذا نظرنا فى شعر الوصايا وجدنا أن أغلب حروف الهجاء قد جاءت رويًا على تفاوت فيما بينها فى القلة والكثرة .

فالحروف التى جاءت رويًا بكثرة ، الباء ، واللام ، والداال ، والراء ، والميم ، والعين ، وهذه كثيرة الشيوع فى الشعر العربى عموماً فهى نسبة طبيعية . أما الحروف التى جاءت رويًا وسطاً بين القلة والكثرة فهى القاف ، والهمزة ، والتاء ، والنون ، والحاء .

أما الحروف التى جاءت رويًا فى شعر الوصايا على قلة لا تتعدى مقطوعة

(١) العمدة لابن رشيق ص ١٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٣) انظر موسيقى الشعر ص ٢٤٧ .

أو مقطوعتين هي الزاي والجيم ، والفاء ، والكاف ، والضاد ، والصاد ، والهاء ،
والسين ، والياء ، والألف .

فهذه الحروف أتت رويًا على قلة فحرف السين مثلا - لم يأت رويًا إلا في
قطعة واحدة لا تتعدى أبياتها ثلاثة وهي قول أحيحة بن الجلاح الأوسى (١) :

استغن عن كل ذي قريب وذى رحم
إن الغنى من استغنى عن الناس
والبس عدوك فسى رفق وفى دعة
لباس ذى إربة للدهر لباس
ولا تغرنك أضغان مزملقة
قد يضرب الدبر الداس بأحلاس

فقد يكون موضوع الأبيات (الاستغناء عن الناس) هو الذى أُملى على الشاعر استخدام
الكلمات التى تنتهى بحرف السين مثل كلمة (الناس) ولعل هذا دعاء كذا إلى
الإتيان بكلمات أخرى فى داخل الأبيات فيها حرف السين كل ذلك ليبقى رنين
الكلمة التى هى بيت القصيد باقيا فى الأذن .

وكذلك حرف الضاد لم يرد إلا فى مقطوعتين فقد يكون أيضا سبب اختيار
هذا الحرف رويًا هو موضوع الأبيات ومعانيها ، فابن العلاف لما أراد أن يوضح للمرء
آداب زيارة المريض فى أبياته التى يقول فيها (٢) :

قل لمن يبرم المريض فلوعد * ت صحيفا لعاد ذاك مريضا
لا تطل عنده الجلوس فيزدا * د طويلا من السقام عريضا
قل له كيف أنت وادع له الا * ه وعجل عن العليل النهوضا

(١) ديوانه ص ٧٨ والباب الأول ص ٣٧ .

(٢) شعره ص ٣٠ والباب الأول ص ١١٦ .

فإذا كان من يعود مطبلا * لم يكن عائدا وكان بغضيا

استخدم هذا الحرف أعني حرف الضاد رويًا وهو أحد حروف كلمة (المريض) فمعنى الأبيات هو الذى أملى على الشاعر اختيار هذا الروى مع صعوبة نطقه وثقله ففى السبع .

وهذه الحروف التى جاءت وسطا أو على قلة رويًا هى قليلة الشيع ففى الشعر العربى على وجه العموم ما عدا حرف السين ولعل السبب فى ذلك راجع إلى قلة ورودها فى أواخر كلمات اللغة العربية (١) .

وقد أحسن شعراء الوصايا اختيار حرف الروى الذى يخدم المعنى والذى يعطى نغمة جميلة تتناسق مع موسيقى الوزن فيكون ختامًا حسنًا رائعًا لموسيقى البيت بأكمله .

فلو قرأنا أبيات هند بنت النعمان التى توصى فيها عمرو بن ثعلبة الشيبانى على قتال الفرس لوجدنا أنها اختارت رويًا حسنًا يتناسب مع موضوع الأبيات تقول (٢) :

حافظ على الحسب النفس الأرفع
بمدججين مع الرماح الشرع
وصوارم هندية مصقولة
بسواعد موصولة لم تنزع
وسلاهب من خيلكم معروفة
بالسبق عادية بكل سبيذع . . . الخ

(١) انظر موسيقى الشعر ص ٢٤٨ .

(٢) شاعرات العرب ص ٦٧ والباب الأول ص ٢١٨ .

فحرف الروى له أثر واضح فى موسيقى الأبيات ، فالشاعرة قد وفقت فى اختيار هذا الحرف الحلقى المجهور فى موضوع قوى شديد وهو الحث على خوض الحرب والقتال ، فالروى فى هذه الأبيات يوحى بشدة الأمر وصعوبته ، مع إضفاء نغمة موسيقية جميلة .

ولو نظرنا فى قصيدة طريح بن إسماعيل الثقفى التى يوصى فيها ابنه صلت لوجدنا أن الشاعر قد اختار حرف الهاء ليكون رويًا لقصيدته ، وقد أحسن الشاعر استخدام هذا الحرف على قلة شيوعه رويًا فى الشعر العربى يقول فى قصيدته (١) :

يا صلت إن أباك رهن منية
مكتوبة لا بد أن يلقاها
سلفت سواها بأنفس من مضى
وكذاك يتبع باقيا أخراها
والدهر يوشك أن يفرق ربيبه
بالموت أو رحل نشت نواها
لا بد بينكما فتسمع دعوة
أو تستجيب لدعوة تدعاها
وإذا جلست مع الندى فلا تصل
لهم الحديث بقصة تعبها
حتى تثقفها وتحكم وعيها
فتبينها كحديث من أحصاها . . . الخ

فاستخدام الشاعر لهذا الحرف الذى يخرج من أقصى الحلق رويًا ساعد على إخراج ما يكمن فى نفسه من مشاعر الخوف والشفقة على ولده وكذلك الحزن على

(١) شعره ص ١١٥ والباب الأول ص ١٥٨ - ١٦٦ .

فراقه للدنيا فكأنه في كل بيت يطلق تأوهات حرى من أعماق جوفه تقطر شفقة وحبا
لابنه .

والقوافي في شعر الوصايا منسجمة مع بعضها البعض المتلقى بنشاز في سماعه
عند إلقائها عليه فكل قافية نهاية طبيعية للبيت من غير استكراه ولا اجتلاب .

فلو نظرنا على سبيل المثال في أبيات صالح بن عبد القدوس التي يقول
فيها (١) :

المرء يجمع والزمان يفرق
ويظل يرتع والخطوب تمزق
ولئن يعادى عاقلا خير له
من أن يكون له صديق أحق
فارغب بنفسك لا تصادق أحقا
إن الصديق على الصديق صدق
وزن الكلام إذا نطقت فإنما
يبدي محبوب ذوى العقول المنطق . . . الخ

وجدنا أن القوافي حسنة الموقع غير مستكراه ولا مجتلبة . كل قافية
قارة في مكانها الملائم لها .

ونلاحظ حسن موقع القافية وملائمتها للمعنى في أبيات بشار بن برد التي
يقول فيها (٢) :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستمع
برأى نصيح أو مشورة حازم

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ والباب الأول ص ٥٢ و ٨٣ و ٧٤ .

(٢) ديوانه ج ٤ ص ١٩٤ والباب الأول ص ٧٣ .

ولا تجعل الشورى عليك غضاظة
مكان الخوافسى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها
وما خير سنى لم يؤمّد بقائهم ٠٠٠ الخ

فالقوافى هنا جميلة رائعة يستطيع المتلقى معرفتها قبل ذكرها له لملائمتها
للمعنى وتطلبه لها وقد قدّرت ارتباطهما ببعض بحيث لو حذفناها لبقى المعنى
ناقصا ولو وضعنا غيرها مكانها لاستحال ذلك فى بعضها ولما كان المعنى دقيقا
فى بعضها الآخر .

وإذا قلنا إن قوافى شعر الوصايا حسنة الموقع جميلة يتطلبها السياق فليس
معنى ذلك أنها قد خلت من العيوب ، فقد ورد فى هذا الشعر بعض القوافى
المجتلبة المستكرهة التى لا يتطلبها السياق إنما أتى بها الشاعر ليكمل بها البيت
لوجود حرف الروى فيها ، وذلك مثل قول عوسجة بن نصر المريشى (١) :

اعدى قرى يا أم نصر فعجلى
لمن ضافنا ثم افترى لعيالك
ألا إن جدى كان أوصى به أبى
قد هما وأوصانى أبى مثل ذلك

فالقافية قوله (ذلك) ويحسن السامع أو القارى استكراء هذه الكلمة وجلبها
قسرا لئلا تكون قافية لوجود حرف الكاف فيها لأن الشاعر قد جعل الروى حرف
الكاف ولأن معنى الوصية يفهم قبلها . ونشعر باجتلاب القافية وقلق موضعها فسى
قول المقنع الكندى (٢) :

(١) شعراء بنى قشير فى الجاهلية والإسلام ج ٢ ص ٢٧٦ والباب الأول ص ٢٨٠
(٢) شعراء أمويون ص ٢١١ والباب الأول ص ٦٢ .

واعلم بأنك لا تكون فتاهم

حتى ترى همت الخلاق سهلها

فكلمة (سهلها) لا يحتاج إليها المعنى لأنه قال قبلها (دمت الخلاق)
ودمئة الخلق تشمل جميع الصفات الحسنة مثل لين الجانب ولطف المعاشرة ٠٠٠ الخ
فما الفائدة من ذكر هذه الكلمة ؟

الجواب : هو أن الشاعر لم يأت بها إلا من أجل أن يكمل بها البيت
ولا شتمالها على حرف الروى .

وكذلك ترى اجتلاب القافية وعدم افادتها معنى في قول أبي فراس الحمداني (١)

احذر مقاربة اللثام فإنه

ينبئك عنهم في الأمور مجرب

قوم إذا أيسرت كانوا إخوة

وإذا تربت تفرقوا وتجنبوا

فالشاعر قفى البيت الثانى بقوله (وتجنبوا) وهذه الكلمة لا يحتاجها المعنى
ولا السياق وقد اجتلبها الشاعر وقسرها ليكمل بها البيت ويقفى بها لوجود حرف
الباء فيها لأن كلمة (تفرقوا) تشتمل على معنى (وتجنبوا) ففى التفرق الابتعاد
عن قصد وهو معنى التجنب .

رابعاً : فى البناء الفنى :

البناء الفنى للشعر من المباحث التى اهتم بها النقاد القدماء والمحدثون على حد سواء ، وما ذاك إلا لأهميته لأنه يكشف عن طريقة أداء الشاعر لقصيدته ، وهل سار بها على التقاليد المعروفة للقصيدة العربية أم لا ، إلا أن هذا المصطلح لم يرد عند النقاد القدماء بهذه الصيغة فمن النقاد القدماء الذين تحدثوا عن البناء الفنى ابن طباطبا العلوى فهو يطلب من الشاعر أن يحسن صياغة شعره وأن يحكم بناءه (ويسلك منهاج أصحاب الرسائل فى بلاغاتهم وتصرفهم فى مكاتباتهم ، فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر أن يصل كلامه على تصرفه فى فنونه - صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح ومن المديح إلى الشكوى بالطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله بل يكون متصلا به ومتزجا معه) (١) .

ويقول فى موضع آخر مركزا على هذا المطلب (إن الشعر إذا أسست أسسها فصول الرسائل القائمة بأنفسها وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه بل يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة فى اشتباه أولها وآخرها نسجا وحسنا وفصاحة ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضيفه إلى غيره من المعانى خروجاً لطيفاً) (٢)

ومن النقاد القدماء - أيضا - الذين تحدثوا عن هذا الموضوع ابن رشيق فقد عقد باباً فى كتابه العمدة تحت عنوان باب " المبدأ والخروج والنهاية " وفيه يبين أن من أسباب جودة الشعر إجادة المطالع وحسن التخلص وإجادة النهاية لأن

(١) عيار الشعر ص ٩ ، لابن طباطبا ، تحقيق د / عبد العزيز المانع ، دار

العلوم للطباعة والنشر - الرياض ١٤٠٥ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٣ .

(حسن الافتتاح داعية الإنشراح ، ومطية النجاح ، ولطافة الخروج إلى الديسح
سبب ارتياح المدوح وخاتمة الكلام أبقى في السمع والصق بالنفس لقرب العهد
بها فإن حسنت حسن وإن قبحت قبح (١) (٠٠٠))

أما النقاد المحدثون فإن من أشهر من تحدث عن هذا الموضوع منهم
عباس محمود العقاد حيث يرى أن القصيدة لا بد أن تكون ذات غرض واحد وقد نعى
على الشعراء الذين يجمعون بين مواضع لا صلة بينها أو الذين يأتون بمقدمات
لقصائدهم غريبة عنها ، يقول (٢) : ما الشعر إلا كلام فإن كانت له ميزة على الكلام
الابتدلي فميزته أنه أجمل وأبلغ وأحسن وضعاً للمعاني في مناسبتها ، فهل يتكلم
الرجل في السوق والبيت فيتحرز من الخلط بين تصنع الوجد والهيام وتقدم
الحوادث الجسام ، حتى إذا تهيأ للشعر لم يخل أن يخلط في قصيدة واحدة
بين أبعد موضوعين عن الانتظام في نسق واحد ؟؟ فلو أنه كان صادقاً في عشقه
لقبح منه ذلك بين ندمائه وسجرائه ، دع عنك قبح إذاعته بين الملا ، فكيف به
وهو متصنع لا يعشق بغير اللسان (١) (٠٠٠) (٢) .

ذاك بعض ما قاله النقاد القدماء والمحدثون في البناء الفني للقصيدة
وسأتناول في هذا البحث خصائص البناء الفني في شعر الوصايا موضحاً
هل جاء هذا الغرض على شكل قصائد أو مقطوعات ، وهل جاء مستقلاً أو كان داخل
أغراض أخرى ، وسأبين هل كانت هناك مقدمات لهذا الشعر كما هو متبع في أغلب
أغراض الشعر أم كان خالياً من ذلك (٠٠٠)

(١) الممدوح ١ ص ٢١٣ .

(٢) الديوان في الأدب والنقد لمؤلفه عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر
المازني ح ١ ص ٤٠ الطبعة الثالثة ، دار الشعب بمصر .

إن الناظر في شعر الوصايا يجد أن هذا الشعر جاء على ثلاثة أصناف :
(١) الصنف الأول هو الذى جاء على شكل مقطعات بحيث تتكون القطعة الشعرية من بيتين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك إلى ستة أبيات (١) .

وهذا النوع أعنى المقطعات هو الغالب في هذا الشعر فالمقطوعة عادة ما تحمل فكرة واحدة لا تتعدها مثل قول الصولى (٢) :

خل النفاق لأهلـه * وعليك فالتمس الطريقـا
واذهب بنفسك أن ترى * إلا عدو أو صديقـا
...

وقول ابن وكيع التنيس (٣) :

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن
مزحا تضاف به إلى سوء الأدب
واحذر مازحة تعود عداوة
إن المزاح على مقدمة الغضب
...

ولكن ما السبب الذى جعل أكثر شعراء الوصايا يميلون إلى نظم المقطوعات ؟
لعل السبب الرئيس في ذلك أن الشاعر حينما يوجه وصية إلى شخص معين أو غير معين يتغنى من وصيته تلك التأثير في نفس المتلقى أيا كان والمقطوعة أسرع في التأثير .

ويهد الشاعر لوصيته - أيضا - الحفظ والسيرورة لأن شعر المقطعات أيسر في الحفظ من القصائد الطويلة فتتأمله الرواة فيسير في الآفاق ويشتبه فيكتب

(١) انظر أمثلة على ذلك الباب الأول من هذه الرسالة ص ٢٥٢ ٢٦٥ ٥٥٥ ٥٦٥ ٥٨٤ ١٤٦

(٢) ديوانه ص ١٦١ والباب الأول ص ٦٥ .

(٣) بهجة المجالس ج ٢ ص ٥٧٠ والباب الأول ص ١٠٤ .

له الخلود والتأثير . وقد سئل أبو عمرو بن العلاء (هل كانت العرب تطيل
قال نعم ليسمع منها . قيل : فهل كانت توجز قال : نعم ليحفظ عنها) (١)

وقد سئل ابن الزبيري عن سبب قصيره في الشعر فأجاب بأن (القصار
أولج في السماع وأجول في المحافل) (٢) .

(٢) الصنف الثاني وهو الشعر الذي أتى على هيئة قصائد . وذلك مثل وصية
لقبط بن يعمر الأيادي (٣) الحربية ووصية ذي الأصبع العدواني (٤) .
وعبد قيس بن خفاف (٥) . وعمرو بن الأختم (٦) وصالح بن عبد القدوس (٧)
وغيرهم ولكن يجب أن يلاحظ أن هذه القصائد ليست كثيرة .

(٣) أما الصنف الثالث من شعر الوصايا فهو الذي جاء ضمن أغراض أخرى
وهذا الصنف قليل جدا .

ومن الأمثلة على ذلك قول أبي صخر الهذلي (٨) :

بل سوف أخبر من تفهم منكم
خبرا يخشى سراجهم للسائل
أن سوف تختبر السرائر فاعلموا
لله قبل مخافة وزلازل

-
- | | | | |
|-----|-------------------------------------|-----|---------------------------|
| (١) | العمدة ج ١ ص ١٨٦ . | (٢) | المصدر السابق ج ١ ص ١٨٢ . |
| (٣) | ديوانه ص ٣٥ . | (٤) | الأغاني ج ٣ ص ١١ . |
| (٥) | المفضليات ص ٣٨٤ . | (٦) | المصدر السابق ص ٤٠١ . |
| (٧) | تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٠٤ . | | |
| (٨) | شعراء أمويون ص ٥٨ والباب الأول ص ١٠ | | |

وإن امرؤ أسدى إليك أمانة
فاطو الأمانة للضمير الداخل

فهذه الأبيات جاءت ضمن قصيدة للشاعر يبكى فيها على الشباب ويصور
حلول المشيب يقول في أول قصيدته (١) :

بكر الصبا عنا بكور مزابل
عجل الشباب به فليس بقافل
بانا معا وتركنا في مشاهما
أبكى خلاهما بكاء الناكل ... الخ
...

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الفخر بكرمه وشجاعته ويعرض، بين تنقسه في حال
كبره ، وبعد ذلك انتقل إلى الوصية السابقة ، ونراه يتخلص إلى هذا الغرض
بقوله : بل سوف أخبر من تفهم منكم " فاستخدم " بل " التي للاضراب ، فكانه
أضرب عن الأغراض الأولى وانتقل انتقالا مفاجئا إلى الوصية ، فبدت هذه الأبيات
وكانها منفصلة عن بقية أبيات القصيدة .

ومن خصائص البناء الفني لشعر الوصايا ، الدخول إلى الغرض مباشرة
من غير مقدمات طلبية أو غزلية عدا ما جاء في بعض القصائد القليلة أو الشعر
الذي جاء ضمن أبيات أخرى .

ومن الأمثلة على ذلك وصية ذي الأصبع المدوائى التي بدأها بقوله (٢) :

أأسيد إن مالا ملك * ت فسر به سيرا جميلا ... الخ

(١) شعراء أمويون ص ٥٤

(٢) الأغاني ح ٣ ص ١١ والباب الأول ص ١٢٢ .

وقول أبي ذؤيب الهذلي (١) :

أبلغ لديك معقل بن خويلد
ملائك يهديها إليك هداتها
على إثر أخرى قبل ذلك قد أتت
إليك فجاءت مقشعر شواتها
وقد علم الأقوام أنك سيد
وأنت من دار شديد حصاتها
فلا تتبع الأفعى إليك تنوشها
ودعها إذا ما غيبتها صفاتها ... الخ

وقول ربيعة بن مقروم (٢)

أصف المودة من صفالك وده
واترك مصافة القريب الأميل
كم بن بعيد قد صفالك وده
وقريب سوء كالبعيد الأعزل
...

فترى في هذه الأمثلة أن الشعراء قد دخلوا إلى الوصية مباشرة من غير
مقدمة غزلية أو طلليلة ، وهذا هو الغالب في شعر الوصايا .

ولعل السبب في ابتعاد الشعراء عن المقدمات الطلليلة أو الغزلية أن
غالب هذا الشعر قد جاء على شكل مقطوعات فهو لا يحتمل الإطالة أو الزيادة
فالشاعر يريد أن يبين وصيته بأوجز عبارة وأقل عدد ممكن من الأبيات .

أما القصائد التي لها مقدمات - وهي قليلة - فإن هذه المقدمات تارة

(١) ديوان شعر الهذليين ج ١ ص ١٦٢ والباب الأول ص ٢٦٢

(٢) شعراء أسلاميون ص ٢٧٦ والباب الأول ص ٥١

تأتى لبيان سبب الوصية ولجلب مشاعر المتلقى ، وتارة تأتى مقدمة غزلية بحميدة
عن معنى الوصية ، فمن القصائد التى أتت لها مقدمة قصيرة لجلب مشاعر المتلقى
ولبيان الباعث عليها قول عبدة بن الطبيب (١) :

أبنى إنى قد كبرت وربانى
بصرى وفى لمصلح مستمتع
فلئن هلكت فقد بنيت مساعيا
يبقى لكم منها مآثر أروع
ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم
ووراثه الحسب المقدم تنفع
ومقام أيام لهن فضيلة
عند الحفيظة والمجامع تجمع
ولهن من الكسب الذى يغنيكم
يوما إذا احتضر النفوس المطمع
ونصيحة فى الصدر صادرة لكم
ما دمت أبصر فى الرجال وأسمع
أوصيكم بتقى الإله فإنه
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع ... الخ
...

فالشاعر افتتح قصيدته بمقدمة قصيرة بين فيها الباعث له على قول
الوصية وهو كبر سنه واقترب أجله ، فلذلك أراد أن يوصى أبناءه بوصايا أخلاقية
رائعة يستنبهون بها فى درب حياتهم .

ونجد أن انتقال الشاعر من هذه المقدمة إلى الغرض الأساس فى

(١) المفضليات ص ١٤٥ والباب الأول ص ١٤٤ و١٣٦ .

قصيدته وهو الوصية كان انتقالاً غير مفاجئ ، فقد مهد له بذكر الثلاث المآثر الأولى التى خلفها لهم والتى هى الحسب الرفيع والمجد الموثل والمال الكثير ، وجعل رابع هذه الأغنياء الوصية والنصيحة حيث انطلق من ذلك فى سرد وصيته ، فالفارى أو المتلقى لا يحسن بأن هناك تبايناً بين مقدمة القصيدة وبين غرضها الأساس .

ومن أمثلة القصائد التى لها مقدمة غزلية قصيدة عمرو بن الأهتم التى يوصى فيها ابنه رعى يقول (١) :

أجـدك لا تـلـم ولا تـزور
وقـد بانـت بـرهنـكـم الخـدور
كأن على الجمال نـعـاج قـو
كوانس حـسـرا غـبـا السـتور
وأبـكار نـواعـم ألـحـقـتـنـى
بهن جـلـالـة أجـد عـسـير
فلما أن تـسـايرنا قـلـيـلاً
أذن إلى الحديث فـهن صـور
لقد أوصيت رعى بن عمرو
إذا حـزيت عـشـيرتـك الأمـور ...
...

فالشاعر بدأ قصيدته بالغزل فبين أسفه على فراق النساء اللاتى من بينهن حبيبته ، ويذكر شوقه إليها لأسرها قلبه ، ثم وصف الطعامن وهبههن ببقرة الوحش الكوانس ، وبين كيف لحق بهن بعد ذلك واستمالهن إلى الحديث معه ، وبعد هذه المقدمة الغزلية القصيرة دخل إلى الوصية .

(١) المفضليات ص ٤٠٩ والباب الأول ص ١٤٢ .

ونجد أن انتقال الشاعر من مقدمته الغزلية إلى الوصية كان انتقالا مفاجئا من غير تمهيد ، فبعد تلك المقدمة الغزلية القصيرة انتقل فجأة إلى الوصية بقوله " لقد أوصيت ربحى بن عمرو " مما يجعلنا نحس أن هذه المقدمة غريبة لا تمت إلى بقية النص بصلة .

ومما يلاحظ أن هذا النوع من المقدمات — أعنى المقدمة الغزلية — نادر فى شعر الوصايا .

ومن خصائص البناء الفنى فى شعر الوصايا الوحدة الموضوعية فى القصائد أو المقطوعات فغالبا ما تكون القصيدة أو المقطوعة ذات غرض واحد مستقل ، فهى وإن تعددت الأفكار والمعانى فيها إلا أن هناك رابطا يربط فيما بينها ، فالإطار العام للقصيدة أو المقطوعة هو الوصية بما تحمله من معان مختلفة من أمر أو نهى .

فمن ذلك قول الفرزدق فى وصيته لبنى نمر (١) :

أجيئوا صدى جلد إذا ما دعاكم
بجرد تسمى الملجمين فحولها
عليها حماة من نمر بن عامر
تعدى بها شبانها وكحولها
أقتلكم فى غير جرم عبيدكم
وفيكم رواى عامر وفضولها
فإن التى يأبى الأسير عليكم
لقاصدة للحق ضاح سبيلها
فلا تقبلوا منه أباعر تشتري
بوكس ولا سودا تصح فسولها

(١) ديوانه ج ٢٦ ، الباب الأول ص ٢٣١ .

فإن تقتلوا بالفأس يحيا قتلكم
وإلا فإن الفأس عار قتلها

...

فالشاعر بحث بنى نمبر على أخذ الثأر من قاتل جلد ، وعدم قبول الدية
لأن المال مهما كثر فإنه يفنى ، أما المار فإنه يبقى حتى هوخذ بثأر المقتول ..

ونلاحظ في الأبيات السابقة تكامل الوحدة الموضوعية إذ أن هذه المقطوعة
لم تشتمل على موضوع آخر غير موضوع الوصية وهو الحث على أخذ الثأر وعدم قبول الدية .
ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن شعر الوصايا قد جاء على ثلاثة أصناف :
الأول : على هيئة مقطعات وهو الغالب ، والصنف الثاني قصائد كاملة
ولكنها ليست كثيرة جدا أما الثالث فهو ورود شعر الوصايا داخل أغراض أخرى
ولكن ذلك قليل جدا بالمقارنة لسابقه .

ونرى كذلك أن غالب هذا الشعر جاء خاليا من المقدمات ففى أول
القصائد ، فالدخول إلى الغرض مباشرة هو السمة البارزة .

وأخيرا رأينا أن من خصائص البناء الفنى فى شعر الوصايا الوحدة
الموضوعية ففى الكثير الغالب تكون القصيدة أو المقطوعة ذات غرض واحد
مستقل هو غرض الوصية بمانه من معان أخلاقية مختلفة .

الفصل الثاني
الحرف في الغنية الشعرية صائبا في جانب المصنوع

أولاً، في التجربة الشعرية.

ثانياً، في العاطفة اللأوبية.

ثالثاً، في التفكير.

أولا : في التجربة الشعرية

أ - فهد :

ليس من المتصور أن يكون العمل الشعري مجرد شكل لفظ لا يحتوي على معنى بل لابد أن يحتوي الشعر على معان جميلة جليلة تنبعث من تجربة شعرية صادقة فما العمل الأدبي إلا (التعبير عن تجربة شعرية في صورة موحية) (١) فما التجربة الشعرية ؟ لقد عرف النقاد التجربة الشعرية بتعريفات عديدة . فالدكتور محمد غنيس هلال يعرف التجربة الشعرية بأنها (الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي وإخلاص فني ، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لبنال رضاهم ، بل إنه ليفذي شاعريته بجميع الأفكار النبيلة ودواعي الإيثار التي تنبعث عن الدوافع المقدسة وأصول المروءة النبيلة) (٢) .

والأستاذ مصطفى السحرى يعرف التجربة الشعرية بأنها (الحالة التي تشبع فيها نفس الشاعر بموضوع من الموضوعات أو مشاهدة من المشاهدات أو فكرة من الأفكار ، أو مرأى من المرائى يمثل بها وجدانه فتحفز به إلى التأمل والتفكير والاستغراق بل الاندماج فيها ، ثم ينتهي بعدها للإعجاب عن مشاهدته أو رؤيته) (٣) .

أما موضوع التجربة الشعرية فليس مقصورا على شيء دون شيء (فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتبنيها

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه ص ٧ سيد قطب ، نشر دار الشروق ، بيروت

لبنان .

(٢) النقد الأدبي الحديث ص ٣٦٣ .

(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ١٣ .

الفرحة واستجاشة الخيال) بل (كل ما نخلق عليه من إحساسنا ونفيس عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبت فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة) ^(١) فكل ما فى هذه الحياة صالح لأن يكون موضوع تجربة شعرية .

وليس لزما على الشاعر أن لا ينظم شعرا إلا من تجربة خاصة به . بل له الحرية فى اختيار أى تجربة يريد إذا كان صاحب خيال واسع وذكا . لماح لأن الخيال الواسع يهيئ للشاعر الجو الشعرى الذى يريد . فيستطيع أن يعبر عن الحزن ولو لم يكن حزينا ويمكنه أن يعبر عن الشجاعة والإقدام وإن كان فسوق القلب طائر الجنان فلا أدب أن يعبر عن أى حدث أو موقف يريد أن يشارك فيه ^(٢) لأن (كل تجربة شعرية يصورها أديب تصبح ملكا للقارىء مستعد للانفعال بها فإذا انفعال بها فقد أصبحت ملكه وأضاف بها إلى رصيده من المشاعر صورة جديدة متازة) ^(٣) .

وللتجربة الشعرية أقسام وأنواع عديدة منها التجربة الشخصية ، والتجربة التاريخية ، والتجربة الأسطورية ، والتجربة الاجتماعية والتجربة الخيالية ^(٤) .

والشاعر ليس مطالباً بالخوض فى أنواع التجارب كلها ، وإنما تقسيمها إلى تلك الأقسام من باب التوسع فى معنى التجربة لتشمل عالم الواقع وعالم الخيال وعالم الشخص وعالم الإنسان ^(٥) .

(١) مقدمة ديوان غابر سبيل للعقاد ضمن مجموعة دواوين العقاد ج ٢ ص ٤٨ .

• منشورات المكتبة المصرية بيروت ، صيدا .

(٢) انظر فى ميزان النقد الأدبى ص ١٨ .

(٣) النقد الأدبى أصوله ومناهجه ص ١٣ .

(٤) الأدب ومذاهبه د / محمد مندور من ص ١٢ إلى ١٧ نشر دار نهضة مصر ،

وقد قدم تعريفا لكل نوع من أنواع التجربة .

(٥) انظر فى ميزان النقد ص ١١ .

ولنجاح التجربة الشعرية أسباب ودواع ، فمن أسباب نجاحها صدق التجربة (فعبّر الشاعر عما يجده في نفسه ويؤمن به) ^(١) بصدق وإخلاص ، أما ما يملس على الشاعر ويؤمن بالنظم فيه فلا يعد من التجارب الصادقة لأن شعر المناسبات (لا يعتمد على صدق المشاعر ولأنه يجعل من الشعر مهنة ودعاية) ^(٢)

ومن دواعي نجاح التجربة أيضا أن تكون صياغتها موائمة لها بحيث لا يحس القارئ للشعر إطنابا مالا ولا إيجازا مخلا وذلك لأن (القيمة الفنية للقصيدة في درجة التواء بين التجربة والصياغة أو بمعنى آخر اتساق الثوب الشعري مع التجربة وتفصيله على قدها فلا يكون طويلا فضاضا ولا قصيرا معبرا) ^(٣) .

ب - أنواع التجربة الشعرية في شعر الوصايا :

لقد قسم النقاد التجربة الشعرية إلى أنواع عديدة كما مر معنا سابقا ، وإذا نظرنا إلى شعر الوصايا وجدنا أنه يمكن تقسيم التجارب الشعرية فيه إلى نوعين :

- ١ - شخصية .
- ٢ - اجتماعية .

١ - التجارب الشخصية :

التجربة الشخصية هي التي (تأتي بها أحداث الحياة إلى الأديب ويراها رأى العين ، فيعيشها واقعا وينقلها إلى غيره) ^(٤) (٠٠٠) ويمكننا إدخال ثلاث

-
- (١) النقد الأدبي الحديث ص ٣٦٦ .
 - (٢) المرجع السابق ص ٣٦٤ .
 - (٣) الشعر المعاصر علي ضوء النقد الحديث ص ٣٠ .
 - (٤) في ميزان النقد الأدبي ص ١٨ .

اتجاهات من شعر الوصايا تحت هذا النوع من التجارب وهى " الوصايا الأبوية " و
الوصايا الإخوانية ، والوصايا الزوجية .

وذلك لأن هذا الشعر لم يصدر من الشاعر إلا بعد أن عرّكه السنون
وخبر الحياة حلوها ومرها وبعد أن أفنى عمره فى صراع الدنيا ومعاملة أهلها
ومصاحبتهم فعرّف الأمور الحسنة والأعمال الخيرة فأوصى بها وحث عليها وعرف
الأخلاق القبيحة والمشينة فحث بالابتعاد عنها ونهى عن اقترافها .

فمن ذلك قول مسعر بن كدام فى وصيته لابنه (١) :

أكدام إني قد محضت نصيحتي
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمرء قد عهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحدهما
لمجاور جار ولا لرفيق

...

فالتجربة الشعرية فى هذه الوصية تجربة شخصية ذاتية صدرت من الشاعر
بعد أن ساق إليه أحداث الحياة معانيتها بل إنه قد غاص فى أعماق هذه
التجربة فامتحن هذين الخلقين ، وتعامل معهما فلم ير فيهما أى فضيلة بل
وجد فيهما الخسة والوضاعة فحث ابنه بالابتعاد عنهما .

وقول الشاعر إني بلوتهما الخ هو كد خوضه مع الآخرين فى تجسيرته
الشخصية هذه وإلمامه بجميع جوانبها .

(١) الحماسة للبحتري ص ٤٠٠ والباب الأول ص ١٦٢ .

ومن التجارب الشخصية وصية هدية بن الخشرم لزوجته قبل ماته والتي يقول فيها (١) :

أقل على اللوم يا أم بوزعا
ولا تجزعى ما أصاب فأوجعا
ولا تنكحى إن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
كليلا سوى ما كان من حد ضرعه
أكهد بهطان العشبات أروعا
ضروبا بلحيه على عظم زوره
إذا الناس هشوا للفعال تقمعا
وحلى بذي أكرومة وحيه
وصبر إذا ما الدهر عثر فأوجعا
...

فالتجربة في هذه الوصية تجربة شخصية ذاتية فالشاعر لم يوص زوجته بعدم
الاقتران بعد ماته برجل لثيم حقير إلا بعد أن خبر أخلاق اللثام وعرف كسهمهم
وأحوالهم فصور لها أخلاقهم وبين أحوالهم لكي تحذرهم وتبتعد عنهم ، وإن كانت
تريد الزواج فعليها بالرجل الكريم صاحب النجدة والمروءة والنبالة ، وذلك لمعرفة
الشاعر بصفات الكرام ، وتبين في الأبيات السابقة أيضا عمق التجربة وصدقها لصدق
الدافع فيها .

والوصايا الإخوانية داخلة في هذا القسم أعني التجارب الشخصية ومن ذلك
قول سعيد بن حميد في معاملة الإخوان (٢) :

(١) الأغاني ح ٢١ ص ٢٦٩ والباب الأول ص ٢٨٦ من هذه الرسالة .
(٢) الصداقة والصديق ص ١٤٥ والباب الأول ص ٢٦٠ من هذه الرسالة .

إذا كثرت ذنوب من خليل
فقفه بين وصل واجتناب
وأنظره فلا يُسام حكم
بذلك كل ما هو العزم نابى
وعاتبه فكى أبدى عتاب
جلبية مشكل بعد ارتياب
وج النفع فى الإعراف عنه
إذا أخفقت من نفع العتاب
وراجعه بنفمك حين يثنى
عانا للرجوع أو الإياب
فإن العفو عن ذى الحزم أولى
إذا قدرت يدك على العقاب
فإنه واجد للحسنى ذنباً
وتعذر ذنب من تحت التراب
...

فالشاعر يوصى المرء ألا يتعجل فى معاقبة أخيه وعذله وعليه أن يكون وسطاً
بين وصله وهجره، وإن عاتبه فليعاتبه برفق ولين ، ويوصى المرء كذلك بالعفو عن
إساءة الإخوان والصغ عنهم ٠٠٠٠

وهذه الوصية لم تصدر من الشاعر إلا بعد مراس وخبرة طويلة فى الحياة ،
وطول مصاحبة للناس حتى عرف أخلاقهم وتمعن فى نفسياتهم فتجربته الشعرية
العميقة هذه تجربة شخصية ساقتها إليه أحداث الحياة والواقع الذى يعيشه .
فالتجارب الشعرية فى شعر الوصايا الأبوية والإخوانية والزوجية تجارب

شخصية ذاتية .

٢ - التجارب الاجتماعية :

التجربة الاجتماعية هي (التي يستقيها الأديب أو الشاعر من محيطه الاجتماعي أو الإنساني المعاصر وهو في تصويره لهذه التجارب يعتمد على الملاحظة والخيال كما يعتمد على قراءة ما صوره الأدباء الآخرون من تلك التجارب) (١)

ويمكن أن نعد شعر الوصايا الاجتماعية والدينية والحربية داخلة في هذا النوع من التجارب وذلك لأن معاني هذه الوصايا مستقاة من محيط الشاعر الاجتماعي فقد عرف الشاعر أدواء المجتمع وآفاته ورأى ما يعج فيه من خير وشر .

فالحث على الكرم وحفظ السر وأداء الأمانة أو الحث على تقوى الله والتهديد بالدنيا أو حث المقاتلين للاستعداد للحرب كلها معان استقاهها الشعراء في الغالب من حياة الناس الاجتماعية ، فالخصال التي دعوا إليها خصال خير ونبل والخصال التي نهوا عنها خصال لوئم وشوئم .

فن التجارب الاجتماعية التي أخذ الشاعر معانيها من واقع حياته الاجتماعية قول سهم بن حنظلة (٢) :

إن انتياك مولى السوء تسألـ
مثل القمود ولما تتخذ نصبا
إذا افتقرت نأى واشتد جانبـ
وإن رآك غيبا لان واقتربا

(١) الأدب ومذاهبه ص ١٥ .

(٢) الأصمعيات ص ٥٥ والباب الأول ص ٣٢ من هذه الرسالة .

وذو القربة عند النيل يطلبه
وهو البعيد إذا ما جئت طلبا
لا يحملنك إقتار على زهد
ولا تنزل في عطاء الله مرتغبا
لا ... بل سل الله ما ضنوا عليك به
ولا يمن عليك المرء ما وهبا
الله يخلف ما أنفقت محتسبا
إذا شكرت وهو تيك الذي كتب
...

فالشاعر يحث المرء على طلب الرزق من أبوابه وعدم الخضوع لأحد يهينه
أعطاه أو منعه وذلك لمعرفة الشاعر بأخلاق بعض الأغنياء ، وهي بغض الفقراء
والصدود عنهم والتقرب من الأثرياء والركون إليهم ، ويحث الشاعر المرء أيضا
على الإنفاق في وجوه الخير والبر ، وذلك لما رآه الشاعر من سجايا بعض أفراد
المجتمع السيئة المتمثلة في البخل والتقتير وادعاء الزهد ، ونرى بوضوح أن تجربة
الشاعر هنا تجربة اجتماعية استقاها من المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه .

ومن التجارب الاجتماعية قول عبد الله بن المعتز في حثه على القناعة (١) :

أيا بني الدهر كم ذا الجهد والتعب
الله يرزق لا الحرص والتعب
أما حياة ، أما دين ، أما رعة
أما تفكير معقول أما أدب
...

(١) ديوانه ج ٢ ص ٣٨١ والباب الأول ص ٢١١ من هذه الرسالة .

فالشاعر يحث المسلم على تجنب التهالك على الدنيا وجمعها ويعيب على الذين يحرصون عليها ، والمجتمع هو السبب الذي أنطق الشاعر وأملى عليه تجربته الشعرية هذه ، فالشاعر لما رأى تهالك أفراد مجتمعه صغيرهم وكبيرهم على الدنيا عتب عليهم ووجه لهم الوصية السابقة .

فالتجربة الشعرية هنا تجربة اجتماعية أخذها الشاعر من محيطه السدى يعيش فيه ، ومن التجارب الاجتماعية قول لقبط بن يعمر الأيادي في وصيته الحربية لقومه (١) :

فقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده
ولا إذا غش مكروه به خشمعا
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه
هم يكاد سناه يقصم الضلعا
مسهد النوم تعنيه ثغوركهم
يروم منها إلى الأعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر أمطره
يكون متبعما طورا ومتبعما
حتى استمرت على شرز مهرته
مستحکم السن لا قحما ولا ضرعا
وليس يشغله مال يثمره
عنكم ولا ولد يبغي له الرفعا
...

(١) ديوانه ص ٤٧ والباب الأول ص ٢٤٢ من هذه الرسالة .

فالشاعر يوصي قومه باختيار القائد الفذ الشجاع ويبين لهم الصفات التي
يجب أن يتحلّى بها هذا القائد ، ووصية الشاعر هذه لم تصدر إلا عن معرفة
وخبرة بأحوال الحروب والنزال ، أملت لها عليه ظروف الحياة الاجتماعية المعيشة
في ذلك العصر .

ومجمل القول إن التجارب الشعرية في شعر الوصايا الاجتماعية والدينية
والحرية تجارب اجتماعية .

...

ج - الدافع الى التجربة في شعر الوصايا بين الصدق والتكلف :

مر بنا فيما سبق أن من دواعي نجاح التجربة وبقائه تأثيرها التزامها بمبدأ الصدق ، والتجارب الشعرية في شعر الوصايا تتسم بالصدق والبعد عن التكلف لوجود الدافع الصادق إلى الوصية ، وأي دافع أقوى وأصدق من دافع وصية الوالد لولده ، أو الصديق لصديقه أو المرء لابني قومه وأهله . . .

ولو نظرنا في وصية عمرو بن الأهتم لابنه رمى التي يقول فيها (١) :

لقد أوصيت رمى بن عمرو
إذا حزبت عشيرتك الأمور
بأن لا تفسدن ما قد سمينا
وحفظ السورة العليا كبر
وأن المجد أوله وعور
ومصدر غبه كرم وخير
وإنك لن تنال المجد حتى
تجود بما يرضن به الضمير
بنفسك أو بمالك في أمور
يهاب ركوبها الورع الدثور
وجاري لا تهيننه وضيقي
إذا أمسى وراء البيت كور
يووب إليك أشعث جرفته
عوان لا ينهنهما الفتور
أصبه بالكرامة واحتفظه
عليك فإن منطقهم يسير . . . الخ

(١) المفضليات ص ٤٠٩ والباب الأول ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

لوجدنا أن التجربة الشعرية في هذه الأبيات تجربة صادقة نابغة من القلب ذات دافع قوى يدفع الشاعر إلى الوصية ، وهو دافع الخوف والشفقة على ولده ممن الانزلاق في درب الأخلاق الوضيعة ، فيلحقه عار من مغبة ذلك ، فأراد الشاعر أن ينصح ابنه ويلفت نظره إلى الأخلاق الحسنة الرفيعة التي تحافظ على بنيان المجد وتكسب المرء حياء وفخرا .

ومن التجارب الشعرية ذات الدافع الصادق وصية أوس بن حجر لأحد إخوانه حيث يقول (١) :

يا راكبا إما عرضت فبلغن
يزهد بن عبد الله ما أنا قائل
بآية أنى لم أخنك وأنه
سوى الحق مهما ينطق الناس باطل
فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
لهم هرما تفتابهم وتقاتل
وما ينهض البازي بغير جناحه
ولا يحمل الماشين إلا الحوامل
ولا سابق إلا بساق سليمة
ولا باطش ما لم تعنه الأنامل
إذ أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حلما أو أصابك جاهل

...

فالشاعر يوجه وصية صادقة إلى صاحبه يحثه فيها على حسن معاملة قومه وعشيرته ويبين له مدى حاجته لهم مستعينا بالأمثلة ليزهد في الإقناع بوصيته .

(١) ديوانه ص ١١ والباب الأول ص ٢٦٥

والدافع إلى هذه الوصية هو الحب والتقدير لأخيه والرغبة في نصحه وإرشاده ، فالشاعر يريد لأخيه الرفعة وعلو المنزلة ويرأى به عن الشقاق والعداوة والمنافرة مع قومه .

ونلمح صدق التجربة في قوله :

بآية أنى لم أخنك وأنــــ

سوى الحق مهما ينطق الناس باطل

فالشاعر يؤكد لصاحبه صدقه في النصح وأنه لا يريد له إلا الخير ، ويخبره أنه لا يريد من وراء وصيته هذه إلا الحق ولفت انتباهه إلى المسلك الذى يجب أن يسير عليه في حياته وخصوصاً مع أهله وبنى قبيلته .

ومجمل القول فإن من يتتبع شعر الوصايا يرى فيه توافراً عامل الصدق فى تجاربه مما يدعو إلى الحكم عليها بأنها تجارب صادقة نابعة من القلب بعيدة عن التكلف ، ذات دافع قوى وصادق .

...

د - مدى ملائمة الصياغة للتجربة الشعرية في شعر الوصايا :

من أهم دواعي نجاح التجربة الشعرية مدى ملائمة الصياغة لها ، فالشاعر الحق هو الذي يوصل تجربته الشعرية وعمله الفني إلى المتلقين في صياغة تناسبها وتلائمها وتكون وعاء مصنوعا على مقدارها .

فمن التجارب الشعرية ذات الصياغة المناسبة في شعر الوصايا وصية عبدة بن الطبيب لأبنائه التي يقول فيها (١) :

أوصيكم بتقى الإله فإنـــــــه
يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
وبير والدكم وطاعة أمره
إن الأبر من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهله
ضاقت يداه بأمره ما يصنع
ودعوا الضعيفة لا تكن من شأنكم
إن الضعائن للقرابة توضع
واعصوا الذي يزوجي النائم بينكم
متنصحا ذاك السام النقع
يزجي عقاره ليمت بينكم
حرى كما بحث العروق الأخدع

...

فالشاعر يوصي أبنائه بوصايا أخلاقية وقد صب تجربته الشعرية هذه في قالب شعري متنسق موافق للتجربة لا يحس القارئ فيها إطنابا مملا ولا إيجازا مملا

(١) المفضليات ص ١٤٦ والباب الأول ص ١٣٦ و ١٤٤

وقد أوصل الشاعر تجربته للمتلقى بالفاظ سهلة ومعان واضحة بعيدة عن الغموض .

ومن التجارب الشعرية العميقة ذات الصياغة الملائمة وصية بشار بن برد التي يقول فيها (١) :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستمع
برأى نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
مكان الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها
وما خير كف لم يؤيد بقائمه
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن
نؤوما فإن الحزم ليس بنائم
...

فالشاعر يوصي المرء باستشارة العقلاء والفضلاء ويوصيه كذلك بالجد والاجتهاد وعدم الكسل والخمول وقد صاغ تجربته هذه صياغة جميلة ، وقد مهيا للمتلقى في ثوب شعري قشيب من غير إطالة ولا تقصير ، مستخدما التشبيه والتمثيل لتقريب المعنى للسامع أو القارئ ولتأكيد له .

وقد يزهّد ثوب التجربة الشعرية في شعر الوصايا فيبدو طويلا فضفاضا مما يورث السأم والملل لدى المتلقى ومن ذلك قول ابن العلاف (٢) :

قل لمن يهرم المريض فلو عد
ت صحيحا لعاد ذاك مريضا

(١) ديوانه ج ٤ ص ١٩٤ والباب الأول ص ٧٣

(٢) شعره ص ٣٠ والباب الأول ص ١١٦ .

لا تطل عنده الجلوس فيزدا
د طويلا من السقام عريضا
قل له كيف أنت وادع له الـ
ـله وعجل عن العليل النهوضا
فإذا كان من يعود مطيلا
لم يكن عائدا وكان بغیضا

...

فالشاعر يريد أن يوصي المرء بتقصير النهار للمرض وعدم المكوث لديه لأن ذلك يوفيه ، وقد أطنب الشاعر في بيان هذا المعنى مع أنه لا يحتمل أكثر من بيتين فلو أن الشاعر أوجز معانيه في بيتين لكان ذلك أجود وأعمق لتجربته .

وقد تقصر صياغة الشعر في شعر الوصايا عن التجربة الشعرية فيبدو ثوبها قصيرا ، فمن ذلك قول مسمر بن كدام في وصيته لابنه (١) :

أقدام إني قد محضت نصيحتي
فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحمة والمرء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحدهما
لمجاور جار ولا لرفيق

...

فالشاعر يوصي ابنه بترك المزاح والمرء لأنهما خلقان سيئان وهذه التجربة الشعرية التي ذكرها الشاعر تجربة عميقة ذات أبعاد رحبة وفيها عطاء كبير لمن يريد أن يفصح عنها ولكن الصياغة التي صاغ بها الشاعر تجربته صياغة موجزة ، فالمتلقي لا

(١) الحماسة للبحرئ ص ٤٠٠ والباب الأول ص ١٦٢ .

يزال في حاجة إلى اشباع رغبته من البيان والامضاح فلو أنه بين آثار وسلبات هذين الخلقين لكان ذلك أكثر بيانا وإقناعا .

وما سبق يتضح لنا أن صياغة التجربة الشعرية في شعر الوصايا تنوعت إلى ثلاثة أنواع نوع وامت الصياغة التجربة الشعرية ، وهذا هو الغالب في هذا الشعر ، ونوع قصرت الصياغة عن التجربة الشعرية ، ونوع ثالث ، زادت الصياغة عن التجربة الشعرية فبدأ ثوبها طويلا ولكن هذين النوعين قليلان في شعر الوصايا .

ثانيا : في العاطفة الأدبية :

أ- تمهيد :

العاطفة هي (الحالة التي تنتشع فيها نفس الأديب بموضوع أو فكرة أو مشاهدة فتؤثر فيه تأثيرا قويا يدفع إلى التعبير عن مشاعره والإعراب عما يجول بخاطرهم) (١)

وللعاطفة أثر فعال في جودة النص الأدبي وسموه فهي (محور ارتكاز النص الأدبي والعامل الرئيس الذي يمينه على تحقيق غرضه والوصول إلى مأربه) (٢)

ومقياس العاطفة وتأثيرها كل ذلك مرده إلى المتلقى فهو الذي يحس بمدى تأثير النص الأدبي في نفسه وتحريك لوجدانه وإثارة انفعالاته (٣) .

وقد ورد في النقد العربي القديم بعض الإشارات إلى العاطفة ودوافعها ، وإن كانوا لم ينعتهوا بهذه الكلمة الاصطلاحية (٤) ، فمن ذلك ما ذكره ابن رشيق (. . .) فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب (الموجع) (٥) وكذلك قولهم (أشعر العرب امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابط إذا رهب ، والاعشى إذا شرب) (٦)

-
- (١) في ميزان النقد الأدبي ص ٤٤ .
 - (٢) في النقد الأدبي الحديث : د / محمد عبد الرحمن شعيب ص ١٢٩ ط الأولى ١٩٦٧ م مطبعة دار التأليف بصر .
 - (٣) انظر أصول النقد الأدبي : ١٨١ .
 - (٤) النقد التطبيقي والموازنات د / محمد الصادق عفيفي ، ٢٦ ، نشر مكتبة الخانجي القاهرة سنة ١٣٩٨ هـ .
 - (٥) العمدة ج ١ ص ١٢٠ .
 - (٦) الصدر السابق ج ١ ص ٩٥ .

وقد وضع النقاد مقاييس يستعان بها في نقد العاطفة الأدبية وهي :

١ - صدق العاطفة :

ويقصد بذلك أن تتبعث عن سبب صحيح ، وتصدر عن دافع قوى غير زائف ولا مفتعل (حتى تكون عميقة تهيب للأدب قيمة خالدة فمتى كان هناك داع أصيل طبعى هاج انفعالات أصيلة تجعل الأدب مؤثرا وباعثا في نفوس القراء عواطف كالتى فى نفوس الأدباء) (١) .

٢ - قوة العاطفة :

ويقصد بها (قدرة النص على إيقاظ نفس قارئه أو سامعه وتحريكه كما يشاء النص) (٢) ، والقوة تنبىء عن (نضج الموضوع لدى الأديب وتخبر عن انفعاله به الانفعال الذى يملك عليه حواسه ومشاعره . . . فتصبح المشاركة بين الأديب والمتدوق أمرا لازما) (٣) .

ويتضح لنا أن خشا القوة فى العاطفة هو الأديب وطبيعته وقدرته على التأثير والإقناع (٤) .

٣ - ثبات العاطفة :

من الواجب على الأديب المتمكن أن يحافظ على عاطفته فى النص الأدبى ويبقى صورتها واحدة فما ثبات العاطفة إلا (استمرار سلطانها على نفس الأديب النفسى ما دام يشعر ، أو يكتب أو يخطب ، لتبقى القوة شائعة فى فصول الأثر الأدبى لا تذهب حرارتها) (٥) ما يجعل الملقى يتعاش مع ويتبع خطاه وهو

(١) أصول النقد الأدبى ص ١١٠ .

(٢) نفس النقد الأدبى الحديث ص ١٤٥ .

(٣) فى ميزان النقد الأدبى ص ٤٥ .

(٤) انظر أصول النقد الأدبى ص ١١٥ .

(٥) المصدر السابق ص ١١٢ .

مشدود الانتباه متيقظ الوجدان (١).

٤ - تنوع العاطفة :

ويقصد بتنوع العاطفة قدرة الأديب على تحريك مشاعر وعواطف المتلقين المختلفة فيثير عاطفة الحزن ، والحب ، والحماسة ، والشفقة (فأعظم الشعراء هم الذين يقدرون على إثارة العواطف المختلفة في نفوسنا بدرجة قوية كالحماسة ، والحب ، والاعجاب ، والشفقة ، والاجلال) (٢) . .

ولكن هذا المقياس مقياس صعب فقل أن نجد شاعرا استطاع أن يثير جميع تلك العواطف وأن يجهد في جميع فنون الشعر . . .

٥ - سمو العاطفة :

من الواجب على الأديب أن يحرك في المتلقين العواطف السامية والمشاعر النبيلة وأن يبتعد عن إثارة العواطف الوضيعة أو الخسيسة لأن قيمة الأديب تكمن في أن يمدنا باللذة الراقية التي تحترم الإنسان وتفصل بينه وبين عالم الحيوان وترتفع به إلى المستوى الذي به يعلو في أوج سمو النفس والروحى ولا تهبط به إلى الدرك الذي تستشار به الغرائز الدنيا وتتحطم على أمواجه صخور الحصانة نفسى الإنسان (٣) .

(١) انظر في ميزان النقد الأدبى ص ٤٤ .

(٢) أصول النقد الأدبى : ٢٠١ .

(٣) في ميزان النقد الأدبى ص ٤٥ .

ب - خصائص العاطفة في شعر الوصايا :

لقد تنوعت المواقف الأدبية في شعر الوصايا بتنوع الأغراض والاتجاهات ،
فنجد عاطفة الشفقة والحب في الوصايا الأبوية والزوجية ، ونجد عاطفة الحماسة والقوة
في الوصايا الحربية ، والعاطفة الإيمانية وإثارة مشاعر الخوف والرجاء في الوصايا
الدينية ، ونجد العاطفة الإنسانية المحبة للنصح والتوجيه في الوصايا الاجتماعية
والإخوانية .

ففي قصيدة عبد قيس بن خفاف التي يوصي فيها ابنه جبيل والتي يقول
فيها : (١)

أجبيل إن أباك كارب يومه
فإذا دعيت إلى المظالم فاعجل
أوصيك إياها امرئ لك ناصح
طبن بربب الدهر غير مغفل
الله فاتقه وأوف به بنذره
وإذا حلفت ماريها فتحلل
والضيف أكرمه فإن مبيتته
حق ، ولا تك لعنة للنزل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله
بمبيت ليلته وإن لم يسأل
ودع القوارص للصديق وغيره
كي لا يروك من اللثام المنزل
وصل المواصل ما صفا لك وده
واترك حبال الخائن التبدل . . . الخ

(١) المفضليات : ص ٣٨٤ والباب الأول ص ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٥٣ .

نجد أن عاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة الحب والشفقة والخوف على ولده . . . وتلمس هذه العاطفة الأبوية المشفقة في مثل قوله : " أجيبيل " فالنساء باستخدام حرف الهمزة يستعمل قلب الابن ويستحوذ على مشاعره لإحساسه بحنان والده عليه وحيه له وقرنه إلى نفسه .

وكذلك التأكيد " بأن " مع التعبير بلفظ (أباك) بدلا من (إني) يجذب سمع الابن ويجلب اهتمامه لسماع ما سيلقيه عليه والده من وصايا ، وقوله " كارب " ينبئ عن عاطفة مشفقة حزينة لقرب فراقه لولده ، فقد تكون هذه الوصية آخر حديث له . . . فاستخدام الشاعر لهذه الألفاظ التي تحرك مشاعر الابن وتجذب اهتمامه ، ليعلم ما يلقي عليه ، يكشف عن عاطفة حريصة مشفقة ، حريصة على انتفاع الولد بهذه الوصايا القيمة ، خائفة مشفقة عليه من الانزلاق في دروب الأخلاق المشينة .

وتبدو هذه العاطفة - أيضا - في التعليقات التي علل بها الشاعر أوامره لابنه ، فأمره له بإكرام الضيف في قوله (والضيف أكرمه) بأعنه الخوف عليه من لحوق عار يشين أخلاقه ويلعنه الناس من أجله فلذلك قال له : (ولا تك لعنة للنزل) .

وأمره لولده بتجنب الكلام الفاحش للأصدقاء في قوله (ودع القسوارص للصديق وغيره) يكشف عن حرص الشاعر على سلامة عرض ولده وأخلاقه من الصفات الوضيعة ، فإيذاء الأصدقاء بكلام الفحش والسوء صفة لثيمة تخذل عرض المرء وتجعل الناس يعرضون عنه ويهجرونه ، فمن أجل ذلك قال له : " كسى لا يروك من اللثام العزل " .

وعاطفة الشاعر عاطفة قوية لتأثيرها في نفس المتلقى وتحريك مشاعره وماذاك إلا لإحساسه بصدق الشاعر في وصيته هذه ، وانبعاشها من وجدانه للدافع القوى

الموثر فيها ، الذى هو دافع الأبوة الحريصة المشفقة على الابن .

وعاطفة شعر الوصايا الزوجية مشابهة لعاطفة شعر الوصايا الأبوية ،
لاتحادهما فى الدافع وهو دافع الحب والشفقة ومن ذلك قول أبى الأسود الدؤلى (١) :

خذى العفو منى تستدبى مودتى
ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
فإنى وجدت الحب فى الصدر والأدى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

فم عاطفة الشاعر عاطفة حب وشفقة فهو يبين لزوجه الطريق الذى يجب أن
تسلكه ليدوم الود والوثام بينهما وذلك فى قوله " خذى العفو منى . . . ولا تنطقى
فى سورتى . . . وما هذه الوصية إلا لحب الشاعر لزوجه وشفقته عليها من الوقوع فى
هذا الخلق البغيض الذى يوصل إلى انقطاع حب مودتهما ، واقتراحهما ، لأن المرء
فى حالة الغضب الشديد ينسى المواطن ويطنى الأذى على الحب فيقع المكروه .
ومن هنا جاء قوله (تستدبى مودتى) وليس هناك ما يمكن أن نحرص عليه الزوج
أفضل من استدامة المودة والحب ، وعاطفة الشاعر هذه عاطفة صادقة ، لصديق
الدافع فيها وهو دافع الحب والشفقة على زوجه والحرص على دوام الوثام بينهما .

أما عاطفة شعر الوصايا الحربية ، فهى عاطفة حماسة وشجاعة وذلك مثل
قول ضرار بن الأزور (٢) :

ألا فاحملوا نحو اللثام الكواذب
لتروا سيوفاً من دماء الكناشب

(١) ديوانه ص ١٤٩ والباب الأول ص ٢٨٢
(٢) فتوح الشام ص ٢٦٨ ، والباب الأول ص ٢٢٠

وردوا عن الدين المعظم في الوري
وأرضوا إله العرش رب المواهب
فمن كان منكم يبتغي عتق نفسه
من النار في يوم الجزاء والآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيفهم
ويرض رسولا في الوري غير كاذب

...

فعاطفة الشاعر في الأبيات السابقة عاطفة حماسية تثير النخوة في نفوس
المجاهدين والتفاني في القتال ، فهو يوصيهم بالشد على الكفار ، وإبراء السيوف
من دماهم ، ويلبس الجانب الأيماني في نفوس المجاهدين لكي يثير عواطفهم إلى
أبعد مدى ، فيذكرهم بأن قتال المشركين والانتصار عليهم حماية للدين الذي
يعظمونه ومن أجل عيشته يخرجوا للقتال ، وكذلك يذكرهم بأن قتال هؤلاء المشركين
سبب في رضا الله سبحانه وتعالى .

ونستشعر هذه العاطفة الحماسية في الكلمات المؤثرة التي اختارها الشاعر
مثل قوله " ألا فاحملوا " فأداة الاستفتاح " ألا " تحمل معنى الحث والتحريض ،
خصوصا وأن بعدها " فاحملوا " فهو حث للمسلمين بالشد على الكفار بقوة وحزم
وكم في هاتين الكلمتين من إثارة للنفوس والقوة والحماس .

ووصف السيوف بالمعش في قوله (لتروا) يثير حماس المجاهدين ويلهب
مشاعرهم للتفاني في قتال المشركين ومن ثم شفى غليل سيوفهم وإبراء عطشها من
دماء المشركين المراقبة [] وقوله " وأرضوا إله العرش " كلمات تثير الحماس
وتهز المشاعر لأن رضا الله سبحانه وتعالى أعظم ما يرجوه المسلم حتى ولو قدم نفسه
ثمنا لذلك ...

وتتجلى عاطفة الشاعر الحماسية بوضوح في قوله :

فمن كان منكم يبتغي عتق ربه
من النار في يوم الجزاء والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيقهم
ويرض رسولا في الورى غير كاذب
...

فهو يعرف أن هدف كل مسلم وغايته القصوى العتق من النار ودخول
الجنة يوم الحساب والعقاب ، فأراد بذلك أن يثير كوامن الشجاعة والبطولة في
نفوس المجاهدين فيشدوا على أعدائهم شدة قاصمة تقضى عليهم .

والصدق هو السمة البارزة في عاطفة الشاعر لأنه لم يلق هذه الأبيات
إلا لغرض نبيل ويدافع صادق هو إثارة حماس المجاهدين في قتالهم ضد الكافرين .
وتتسم هذه العاطفة بالقوة لاستطاعتها تحريك النفوس وإثارة الحماسة
الإسلامية والحماس ..

أما العاطفة في شعر الوصايا الاجتماعية فإنها عاطفة توجيه ونصح إلى
ما فيه الخير والنجاح وذلك مثل قول المقنع الكندي (١) :

ولا تجعل الأرض المريض محلها
عليك سبيلا وعشة المتقل
وإن خفت من دار هوانا فولها
سواك وعن دار الأذى فتحول
ولا تك ممن يخلق الباب دونه
عليك بمغلاق من المعجز مقفل

(١) شعراء أمويون : ص ٢١١ ، والباب الأول ص ١٠٦ .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
نفى صالح الأعمال نفمك فاجعل

...

فعاطفة الشاعر في الأبيات السابقة عاطفة رغبة في النصح والتوجيه ويهدد بها
الحب الإنساني لأبناء جنسه ، فهو يحث المرء على إباء الضيم وينصحه بترك الديار
إن خاف هوانا ، وعليه أن يرحل إلى بلد يجد فيه الأمان والعزة ، وينهى الرجل
عن العجز والكسل كما يحثه على علو الهمة ..

ونلمس هذه العاطفة الرغبة في النصح والتوجيه في تركيزه على الألفاظ
ذات العبارة الشديدة في الأمر والنهي التي تثير كوامن العزة والإباء في نفس
المتلقي مثل قوله : " ولا تجعل الأرض العريضة محلها " فالابتداء بالنهي يقصر
السمع ويلفت الانتباه ويبقى صدها يتردد في الأذن ... وقوله " وإن خفت من
دار هوانا فولها " فالأمر في قوله " فولها " يعطى معنى عميقا بعيدا ، فأنت
أيها المرء الشريف أبى لا تحتل الضيم فلذلك اترك هذه البلاد إن أحسست
فيها هوانا لمن يحتل الضيم لعجزه وكسله .

وكذلك قوله " وعن دار الأذى فتحول " يكشف عن عاطفة مخلصه ، فهو
أمر صريح بالرحلة والتحول عن موطن الذل والمهانة ، لكن لا يدنس أخلاقه
ويهيئ نفسه .

والنهي في قوله " ولا تك ممن يخلق الباب دونه " نهى عن العجز
والكسل يكشف عن حرص الشاعر على سلامة عرض المرء من الدنس واللوم .

وتتركز شحنة هذه العاطفة الجياشة الرغبة في النصح في قوله : " وما
المرء إلا حيث يجعل نفسه " ... فبعد أن قدم الشاعر النصح والحث على إباء
الضيم وترك الأوطان إن خاف المرء فيها هوانا والبعد عن العجز والكسل يبين

للإنسان أنه حسب نفسه فإن جعلها في الأمور الشريفة الصالحة رفع منزلتها
وابتعد بها عن مواطن الذل ، وإن كان على عكس ذلك فهو الجاني على نفسه ،
ولكن الشاعر لم يقف عند هذا المعنى بل إنه لفرط حرصه ورغبته الصادقة في النصح
بحث المرء على جعل نفسه في الأعمال الصالحة التي تبعد ، عن مواطن الرهب والذلة
فلذلك قال " ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل " وعاطفة الشاعر هذه عاطفة صادقة
قوية لحرصه على توجيه أفراد المجتمع ولائثارها كوامن العزة والإباء ، وتحريكها مشاعر
المتلقى لملائمة تلك الألفاظ التي اختارها الشاعر لعاطفته الراغبة في النصح
والتوجيه .

وعاطفة شعر الوصايا لإخوانية مشابهة لعاطفة شعر الوصايا الاجتماعية
للتشابه فيما بينهما في الدافع وهو دافع الإخلاص والرغبة في النصح والتوجيه .

ومن ذلك قول العباس بن مرداس السلى (١) :

أبلغ أبا سلى رسولا يروعه
وان حل ذا سدر وأهلى بمسجل
رسول امرئ مهدي إليك رسالة
فإن معشر جادوا بعرضك فابخل
وإن بوئك مبركا غير طائل
لذيذا فلا تنزل به وتحول
ولا تطمنن ما يحلفونك إنهم
أتوك على قراهم بالتمثل
أبعد الإزار مجسدا لك شاهدا
أنهت به في الدار لم يتزيل
أراك إذا قد صرت للقوم ناصحا
يقال له بالغرب أدبر وأقبل

(١) الحماسة لابن تمام ح ٢٤٤/١ والباب الأول ص ٢٦٨ .

فخذها فليست للعزيمز بخطئة

وفيها مقال لا يرى متذلل

...

فعاطفة الشاعر في الأبيات السابقة عاطفة راغبة في النصح حريصة على عرض الموصى فهو يحث أخاه "أبا سلمي" على إباء الضيم وصيانة عرضه ممن أرادوا أن يدنسوه وتتضح هذه العاطفة الناصحة في مثل قوله "فإن معشر جادوا بعرضك فابخل" فالشاعر يأمر أخاه بالبخل ولكن بأى شئ؟ إنه يبخل بالعرض وهي ثلثة تشد الانتباه وتوضح منزلة العرض وعظم قدرة ووجوب البخل به وصيانيته .

وقوله "ولا تطعمن ما يعلفونك" يبين مدى حرص الشاعر على نصح أخيه بإباء الضيم فتشبيه الطعمان الذى يقدم له هو "لا" اللثام بعلف الدواب يشير الأنفة منه والبغض له ومن ثم الإقلاع عن أخذه .

والاستفهام الانكارى فى قوله "أبعد إلا زار" ... يثير مشاعر صديقه الذى بمنزلة أخيه ويجعله يفكر فى حاله ويرجع إلى رشده فيأبى الضيم ويأخذ بشأره .

وكلمة "ناضحا" فى قوله "أراك إذا قد صرت للقوم ناضحا" تشير فى نفس أخيه الاشتزاز وتبعث الغيرة فى نفسه لتشبيهه له بالبعير الناضح ، فيرجع عن هوانه ويصون عرضه ويأخذ بحقه .

فجميع ما سبق يبين مدى حرص الشاعر على سلامة عرض أخيه ورغبته الأكيدة الصادقة فى نصحه وتوجيهه .

وعاطفة الشاعر عاطفة صادقة لشافته على عرض أخيه وحرصه على الأخذ بشأره وتتسم هذه العاطفة بالقوة لاثارتها مشاعر المتلقى من خلال تلك الألفاظ

القوية التي أختارها ..

أما عاطفة شعر الوصايا الدينية فإنها عاطفة إيمانية تثير مشاعر المسلم وتحثه على تقوى الله سبحانه وتعالى والخوف منه وتذكره باقتراب الأجل فيتذكّر مصيره المحتوم فيزدجر عن اقتراف الذنوب والمعاصي أو التهاافت على الدنيا الزائلة الغانية ومن ذلك قول سابق الجبري^(١) :

سبق القضاء بكل ما هو كائن
والله يا هذا لرزقك ضامن
تعنى بما تكفى وتترك ما به
تعنى كأنك للحوادث آمن
أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها
فاعمل ليوم فراقها يا حائن
واعلم بأنك لا أبالك فى الذى
أصبحت تجمع له لغيرك خازن
يا عامر الدنيا أتعمر منزلا
لم يبق فيه مع النية ساكن
الموت شيء أنت تعلم أنه
حق وأنت بذكره متهاون
إن المنية لا تؤامر من أتت
فى نفسه يوما ولا تستأذن
...

فemاطفة الشاعر عاطفة إيمانية صادقة تثير مشاعر المسلم وتخوفه وتلمس هذه العاطفة الإيمانية المشبوبة التي تثير فى المتلقى مشاعر الخوف والرجاء وتدعوه إلى التفكير

(١) شعره ص ١٣٠ والباب الأول ص ١٩٣

وتذكر الموت في مثل قوله : " والله يا هذا ليرزقك ضامن " .. فكيف تلهو أيها المسلم بجمع الدنيا وتنسى ما أمرت به من واجبات والله قد ضمن لك الرزق وقدره . وقوله " كأنك للحوادث آمن " يهز مشاعر السامع ويبعث الرهبة .. فكيف تهتم بما نهيته وتنسى ما أمرت به فهل أنت آمن من الموت ؟

وقوله " يا حائن " نداء للمرء يثير مشاعر الخوف لأنه تصوير لقرب نزول الموت بالإنسان فيجعله يجد ويجتهد في العبادة قبل مباغاة الموت له .. وكذلك قوله " أصبحت تجمعهم لغيرك خازن " تذكير بالمصير المحتوم ونهي ضمنى عن جمع المال وكثرة ما يجعل العاقل يتفكر في حاله وأنه ليس إلا مجرد خازن وحارس للمال في حياته فيعمل لما بعد الموت وينتهي عن التهالك على المال .

وتبدو هذه العاطفة الإيمانية أيضا في تركيز الشاعر على التذكير بالموت في مثل قوله " لم يبق فيه مع النية ساكن " .. الموت " حق وأنت بذكره متهاون " وقوله " إن النية لا تؤامر من أنت " وما هذا التركيز إلا ليثير مشاعر المتلقين ويلهب أحاسيسهم لأن الموت أمر توجل منه القلوب وتهتز منه النفوس خوفا وهلعا ، وتقشعر منه الأبدان ، وتذكره أو التذكير به يجعل النفوس تتفكر في مصيرها المحتوم وتهتم لذلك فتجد في عمل الطاعات واجتناب المحرمات ... وهذا ما يريده الشاعر من هذه الوصية الدينية المؤثرة .

وصدق عاطفة الشاعر مرده إلى انبعاثها عن دافع صحيح فهدفه الأول والأسى هو التأثير في نفوس المتلقين واجتلاب اهتمامهم ولفت انتباههم إلى واقع الحياة الدنيا وأنها ليست بدار مقام وإنما هي دار مر .

وبجانب صدق عاطفة الشاعر فإننا نحس بقوتها لاستطاعتها تحريك النفوس من خلال تلك الكلمات المؤثرة التي تحرك المشاعر وتثير النفوس وتميل القلوب .

وإذا كان شعر الوصايا مما نلح في أغلبه هذه العواطف الصادقة فإننا قد نلح فيه بعض العواطف الزائفة التي لم تتبع من دافع قوى فيحس المتلقى بتكلف الشاعر لقصيدته وذلك مثل قول الأعشى في وصيته لابنه بصير^(١) :

ذريني لك الويلات آتي الفوانيس
متى كنت زراعا أسوق السوانيس
ترجى ثرا من سياس ومثلها
ومن قبلها ما كنت للمال راجيا
سأوصي بصيرا إن دنوت من البلى
وكل امرئ يوما سيصبح فانيا
بأن لا تأن الود من متاعد
ولا تتأ إن أمسى بفرك راضيا
فذا الشنء فاشنأ وذا الود فاجزه
على وده أو زد عليه الفلانيا

إلى أن يقول :

وإن امرؤ أسدى إليك أمانة
فاؤف بها إن مت سبت وافيها
وجارة جنب البيت لا تنغ سرها
فإنك لا تخفى على الله خافيها

...

فهذه الوصية ليست كباقي الوصايا الأبوية الأخرى ، فهي لا تحرك الشاعر ولا يجد المرء تقبلا لها ، لاحتساسه بتكلف الشاعر لهذه الوصية ، وأنها ليست نابعة من

(١) ديوانه : ٣٦٥ ، والباب الأول ص ١٤٩ .

وجدانه لمخلهرة معانيها للضحج الذى سار عليه الشاعر فى حياته الالهية وشعره
الماجن .

والشاعر يتناقص فى وصيته هذه فهو فى مقدمتها يصرح بمواصلة الغوانى
والجلوس إلهين ، وهذا الأمر ليس من حسن الخلق والأدب الذى يدعو إليه فى
وصيته . وفى صلب الوصية هوصى ابنه بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وأداء الأمانة
وعدم التعرض للجارات فأى تناقض هذا ؟! فهذا كله - حسب ما ظهر لى -
يؤيد ما قلته فى السابق وهو أن الشاعر غير صادق فى عاطفته ولم تصدر عن
اقتناع ذاتى بمعانيها خاصة وهى وصية مؤجلة " سأوصى بصيرا إن دنوت مسن
البلى " .

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن العاطفة فى شعر الوصايا قد تنوعت بتنوع
الاتجاهات والأغراض ، فعاطفة الخوف والشفقة والحب فى الوصايا الأبوية والزوجية ،
والعاطفة الإنسانية المحبة للنصم والتوجيه فى الوصايا الاجتماعية والإخوانية ، وعاطفة
الحماسة والقوة فى الوصايا الحربية ، والعاطفة الإيمانية المخلصة التى تثير مشاعر
الخوف والرجاء فى الوصايا الدينية .

وهذه العواطف - فى الغالب - عواطف حية مشبوبة ، لانبعاشها عن
سبب صادق ودافع قوى ، ولقوتها فى إثارة مشاعر المتلقى .

وقد تأتى العاطفة فى شعر الوصايا - على قلة - عاطفة زائفة بعيدة عن
الصدق متكلفة ، غير مؤثرة ، لعدم انبعاشها عن دافع قوى صادق .

ثالثا : فى الأفكار :

أ - تمهيد :

من العناصر الأساسية للعمل الأدبى الفكرة ، أو الأفكار التى اشتمل عليها النص الأدبى (فهى العنصر العقلى فى النص ومظهر فكر الأديب وثقافته ، وعليها يستند فى إظهار ما يريد أن يقوله نحو التجربة التى مربها) (١)

والأديب المتمكن هو الذى يفصح عن فكرته بعبارات جميلة ذات معان غزيرة لأن الفكرة (غيب من الغيوب ما لم تبين عنها عبارة ، والعبارة ما لم تكون مضمونا تكون هذيانا أو تعمية يبرأ منها العمل الأدبى الجيد) (٢) .

والفكرة فى الأعمال الأدبية تختلف فى درجة الأهمية حسب الهدف الأساس الذى يهدف الأديب ، فالنقد والتاريخ - مثلا - غايتهم الفكرة ثم تأتى العاطفة بعد الفكرة لتكون وسيلة تبحث فيها روعة وتكسب الانشاء صفة أدبية محبوبة .

أما الشعر والنثر الفنى فهما على العكس من ذلك ، فالعاطفة فيهما الغاية الأولى وتأتى الفكرة بعد ذلك سنداً وعونا (٣) .

والأديب هو الذى يقف وقفة متأنية أمام الفكرة فيلونها بعاطفته ويمزجها بأحاسيسه ومشاعره ليعتمد بها عن الذهنية الخالصة فيكتب لها الخلود والسيرورة ، والشاعر الذى يقف عاجزا (عن مزج فكرته بإحساسه يحس شعره أقرب إلى النثر منه إلى القريض لأن الذهنية المسيطرة على منابع الفكرة تطمس رونق شعره) (٤)

-
- (١) فى النقد الأدبى الحديث ص ٨٥ .
 - (٢) فى ميزان النقد الأدبى ص ٣٧ .
 - (٣) انظر أصول النقد الأدبى ص ٢٢٤ .
 - (٤) النقد التطبيقي والموازنات ص ١٢٤ .

وهناك مقاييس عديدة لنقد الأفكار وسأتناول بالحديث عن مقياس :

- ١ — التلازم والتفكك .
- ٢ — الوضوح والغموض .
- ٣ — العمق والسطحية .
- ٤ — التجديد والتقليد .

ب - خصائص الأفكار في شعر الوصايا :

١ - الأفكار بين التلاوم والتفكك :

من المقاييس النقدية لدراسة الأفكار التلاوم والترابط فلذلك ينبغي أن تكون القصيدة (عملاً فنياً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها . . . بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها . . . فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا ينبغي عنه غيره في موضعه إلا كما تفنى الأذن عن العين والقدم عن الكف . . .)^(١) فلا بد أن يكون هناك تلاق بين الأفكار الجزئية بحيث يوجد خيط رفيع يصل بينها حتى تبعد عن التناثر والتضارب^(٢) وهذا أمر يقتضى من الأديب أن يلم بأطراف تجربته ويمسك بخيط أفكاره وينظمها حتى لا تتضارب الأفكار فيختل بناء العمل الأدبي فيبدو وكأنه أنقاض متراكمة قد ركب بعضها بعضاً .

والأفكار في شعر الوصايا - في الغالب - أفكار منظمة داخل الوصية فهي وإن كانت متعددة فهناك تلاوم فيما بينها يحكمها إطار واحد في القطعة الواحدة ، وهو التوجيه إلى معان أخلاقية فاضلة من غير تكرار ولا اضطراب . فمن ذلك وصية الحارث بن حلزة الهشكري لابنه التي يقول فيها^(٣) :

قلت لعمرو حين أبصرتـــــــــــــــــه

وقد حبا من دونها عالج

(١) الديوان في الأدب والنقد ح ٢ ص ١٣٠ .

(٢) في ميزان النقد الأدبي ص ٤٠ .

(٣) الفضليات ص ٤٣٠ والباب الأول ص ١٢٠

لا تكسح الشول بأغبارها
فإنك لا تدري من الناتج
واحلب لأضيافك ألبانها
فإن سر اللبن الوالج
رب عشار سوف يفتالها
لا يبطىء الشد ولا عاج
يسوقها شلا إلى أهله
كما يسوق البكرة الفالج
قد كنت يوما ترتجى رسلها
فأطرد الحائل والدالج
بينما الفتى يسمى ويسمى له
تلاح له من أمره خالج
يترك ما رقع من عيشه
يعيث فيه همج هامج
...

فالأفكار في الوصية السابقة مرتبة لا يحسن القارىء بتناثر فيما بين الأبيات لتلاومها وعدم تكرار المعانى فيها ، فالشاعر نهى ابنه عن كسح الإبل ثم أمره بتفديهم بقية هذا اللبن إلى الأضياف الطارقين ، ثم بين له سبب ذلك ، وهو أن المال قد يفتنى فى أى لحظة ، فبأتى من يشن غارة عليه فيسوقه أجمع ، أو ينزل بك الموت فيخترمك ويغتالك فتترك جميع ما أصلحت من مالك وبأخذه الوارث الذى لا يقسم له وزنا .

وقد ربط الشاعر معانيه بأدوات عديدة ، فالتعليل (بأن) فى البيت الثانى قد ربط بين معنى الشطر الأول والثانى ، فالشاعر لما نهى ابنه عن كسح الإبل فى

الشطر الأول بين له سبب النهى فى الشطر الثانى بقوله " فإنك لا تدرى من الناتج " .

والتهليل فى قوله " فإن شر اللبن الوالج " قد ربط بين شطرى البيت فالشاعر لما أمر ابنه بتقديم اللبن للأضياف علل له سبب ذلك وهو أن شر اللبن الوالج ..

وواو العطف فى قوله (واحلب) قد ربطت بين معنى هذا البيت وبين سابقه فالشاعر لما نهى ابنه عن كسح الإبل بقوله " لا تكسح " أمره بتقديم هذا اللبن المتبقى فى الضرع للأضياف بقوله (واحلب

وكاف التشبيه فى قوله " كما يسوق " ربطت بين فكرة الشطر الأول وفكرة الشطر الثانى فى هذا البيت حيث شبه طرد المغير للإبل وسرقته بسوق الفحل الضخم للبكرة الصغيرة التى لا تحمل ..

والفاء فى قوله " فأطرد الحائل والناتج " قد ربطت فيما بين شطرى البيت ، حيث أن الشاعر صور ابنه - فى الشطر الأول - وهو يرجو كثرة اللبن عندما تلد الإبل ويتمنى ذلك ، وفى الشطر الثانى صور انقطاع هذا الرجاء وهذا التمنى الذى لم يتم حيث يأتى من ينهب جميع هذه الإبل وتذهب الأمانسى أدراج الرياح ، وكان الرابط فيما بين هذين المعنيين الفاء التى صدر بها الشطر الثانى من البيت ..

لذا نرى أن أفكار الشاعر فى هذه الوصية متلازمة مع بعضها مرتبطة فيما بينها من غير تداخل ولا تراكب .

ومن الأمثلة على ارتباط الأفكار وتلاؤمها فى شعر الوصايا قول البراء بن قيس (١) :

(١) الحماسة للبحرئى ص ١٩٠ والباب الأول ص ١٧٦ .

فإن أنت خربت الناكح فانكحسى
على أيمن الطير الصبح ناعبه
ولا تنكحى جيسا عياما ملعنا
شديدا على الجار الملاصق جانبه
ولا بطنا لا يبرح الدهر قاعدا
عبوسا إذا ما الضيف حطت ركائبه
حرام عليه الدهر يبرح بيتهها
فقد قرحت من الفراش مناكبه
ولكن فتى ذا نجدة وساحنة
يخب إلى أمر العشيرة راكبه

...

فالشاعر يوصى ابنته باختيار الزوج الكفء إذا ما جاءها خاطب ومنهاها
عن اختيار الرجل اللئيم البخيل الذى يضيق ذرعا بضيفانه ويكفر وجهه عند حلولهم
منزله ، وكذلك ينهاها عن الاقتران بالجبان الذى لا يخادر البيت خوفا من الموت ،
ولكن يحثها بالموافقة على الزواج من الرجل الشجاع الكريم الذى يسرع فى نجدة
أهله وعشيرته .

وقد ربط الشاعر فيما بين معانيه بحروف العطف ففى البيت الثانى ينهى
الشاعر ابنته عن الاقتران بالرجل اللئيم بقوله " ولا تنكحى " وفى البيت
الثالث ينهاها - أيضا - عن الاقتران بالرجل الأكل البخيل الجبان الذى لا
يفارق البيت فى قوله " ولا بطنا لا يبرح الدهر قاعدا "

وقد عطف نهيه فى هذا البيت على البيت الثانى " ولا تنكحى " بحرف العطف
" الواو " الذى ربط بين الأفكار ولام بينهما .

وبعد أن بين الشاعر لابنته صفات الرجال الذين يجب أن تبتعد عنهم بين

لها في الأخير الرجل الذي يستحق أن يكون زوجا في قوله : " ولكن فتى ذا نجدة
وسماحة ..

فالشاعر قد ربط فيما بين الأبيات وعطف بعضها على بعض بحرف الواو ،
فبدت معانيها متماسكة متلازمة غير مبشرة ولا مكررة ، فكل فكرة فيها أتت في المكان
المناسب لها .

وليس معنى ما سبق أن جميع المعاني في شعر الوصايا متلازمة مع بعضها
فقد تأتي مفككة ينقصها التلاؤم والترابط ، فوجد المعنى الواحد يتكرر في عدة
مواضع من القصيدة وذلك مثل قول أبي الفتح البستي (١) :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان
وإن أساء مسىء فليكن لك فسى
عروض زلت صفح وغفران
وكن على الدهر معوانا لذى أمل
يرجو نذاك فإن الحر معوان
...

فالشاعر يحث المرء على الإحسان للناس وبذل المعروف لهم ويوصيه بالصفح
عن زلل المخطئ ، وفي البيت الثالث يوصيه كذلك على إعانة المحتاج وبذل المال
له وسد حاجته ونلاحظ أن هذا المعنى الذي ذكره الشاعر أخيرا ليس إلا إعادة
لمعنى البيت الأول فالإحسان إلى الناس يشتمل على جميع الصفات الحميدة من
حسن معاملة وبذل للمال والكرم وإعانة المحتاج ، وإعانة المحتاج داخلية في
معنى الإحسان .

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٦ والباب الأول ص ٤٦

ونرى الشاعر يكرر هذا المعنى مرة أخرى ويعود إلى الحث على الإحسان بعد عدة أبيات فيقول (١) :

من كان للخير مناعا فليس له
على الحقيقة إخوان وأخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة
إليه والمال للإنسان فتان

وينتقل الشاعر إلى معاني أخرى من حث على حسن معاملة الإخوان والحمد عن معاشره اللئام ، ويوصي المرء كذلك بحسن الخلق والاتصاف بالحلم والرفق ، ولكن الشاعر يعود مرة أخرى إلى الحث على الإحسان والإنفاق فيقول (٢) :

أحسن إذا كان إمكان ومقدرة
فلن يدوم على الإحسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغصة
والحر بالعدل والإحسان يزدان

فالشاعر لم ينظم أفكاره في هذه القصيدة بحيث تكون متلازمة مترابطة بل كان على العكس من ذلك فبدت قصيدته مفككة ومعانيها متباعدة ومكررة ، ولعل سبب هذا التكرار وعدم الترتيب راجع إلى اهتمام الشاعر بهذا المعنى - معنى الإحسان والإنفاق - فلما فارقته إلى معنى آخر أحسن أنه لا يزال في حاجة إلى بيان وإيضاح ..

(١) قصيدة عنوان الحكم ص ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨ .

وما سبق يتضح لنا أن الأفكار في شعر الوصايا غالبا ما تكون أفكارا مترابطة متلازمة مع بعضها بعيدة عن التفكك والتكرار . .

وقد تكون الأفكار في القليل النادر أفكارا مفككة غير متلازمة مع بعضها .
فالمعنى الواحد يتكرر في أماكن عديدة من القصيدة أو القطعة .

٢ - الأفكار فى شعر الوصايا بين الوضوح والغموض :

وضوح المعانى وبعدها عن الغموض شرط من شروط جمال العمل الأدبى ،
(فالفكرة النათية والعبارة الملتوية بغضاض من الجمال الأدبى الذى نطلبه فى
الأدب) (١) .

ويقصد بوضوح المعنى (أن يجتهد المتكلم فى ترتيب اللفظ وتهذيبه
وصيانتة من كل ما أخل بالدلالة وعاق دون الإبانة) (٢) .

والوضوح فى الأفكار وبعدها عن الغموض لا يدل على أنها أفكار سطحية
مبتذلة (مثل ما يتراجع به الصبيان ، ويتكلمه العامة فى السوق) (٣) فليس هناك
(تضارب بين وضوح المعنى وعمقه وغناه واتساع مجال التأمل فيه ولا تناقض بشأن
تجرى العبارة على الأسلوب الصحيح البليغ . . . ثم تكون فى الوقت نفسه محكمة
النسج متينة البنيان) (٤) .

والأفكار فى شعر الوصايا واضحة جليلة بعيدة عن الغموض ذلك لأنه
شعر موجه إلى عامة أفراد المجتمع ، والشعراء عندما ينشئون وصاياهم يبتغون من
وراء ذلك التأثير والنصح فمن أجل هذا وجب عليهم أن يوضحوا أفكارهم ، وأن
يبتعدوا بها عن الغموض والتعمية ، فلذلك نجد المعانى فى الوصايا واضحة
جليلة لا يغيب عن المتلقى معنى يحتاج معه إلى البحث أو كد الذهن لفهمه أو

-
- (١) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى د / طه أبو كرهشمص ٢١٥ ، دار
التوفيقية للطباعة بالأزهر ط الأولى سنة ١٣٩٨ هـ القاهرة .
 - (٢) أسرار البلاغة : ص ١٢٣ .
 - (٣) نفس المصدر والصفحة .
 - (٤) الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى ص ٢١٥ .

إدراك ما يبتغيه الشاعر من وصيته .

ومن الأمثلة على وضوح المعانى أبيات حسان بن ثابت التى يقول فيها^(١) :

أعرض عن العوراء إن أسمعتها
واقعد كأنك غافل لا تسمع
ودع السؤال عن الأمور وحفرها
فلرب حافر حفرة هو يصرع
والزم مجالسة الكرام وفعلهم
وإذا اتبعت فأبصن من تتبع
لا تتبعن غواية لصابئة
إن الغواية كل شر تجمع
والقوم إن نزلوا فزد فى نزرهم
لا تقعدن خلالهم تتسمع

...

فالأفكار واضحة بعيدة عن الغموض لأن هدف الشاعر النصح والتوجيه فهو يطلب من المرء ألا يصرى إلى الكلام الذى لا فائدة فيه ، وعليه أن يحفظ سمعه كما يحثه على لزوم الصمت وترك الكلام فيما ليس فيه فائدة ويوصيه - أيضا - بمصاحبة الكرام والبعد عن اللثام ويحذره من الغواية لأنها جماع كل شر وبلاء ...

فالقارى لهذه الأبيات أو السامع لا يحتاج إلى كد الذهن أو التفكير العميق من أجل أن يصل إلى المعانى التى يريدها لوضوحها وبمدها عن الغموض ، وقد كان لوضوح المعانى فى شعر الوصايا مظاهر ، فمن مظاهر الوضوح بعد الكلمات عن الغرابة والوحشية فقد كان لذلك دور فى وضوح المعانى ، فما

(١) ديوانه ص ٢٨ ، والباب الأول ص ٢٩ .

٣ - الأفكار بين العمق والسطحية :

إن المعانى فى شعر الوصايا معان أخلاقية فاضلة تنبىء عن طول وعمق خبرة الشاعر فى الحياة والأحباء ، فمن أجل ذلك كانت المعانى فى كثير من الأحيان معانى عميقة خالدة لا يسع القارىء لها أو السامع إلا أن يقف وقفة متأنية حيالها وهو يسبر غورها ويستخرج مكنونها ، فمن ذلك قول أوس بن حجر (١) :

يا راكبا إما عرضت فبلغسن
يزيد بن عبد الله ما أنا قاعل
بآية أنى لم أخنك وأنى
سوى الحق مهما ينطق الناس باطل
فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
لهم هرما تغتابهم وتقاتل
وما ينهض البازى بغير جناحه
ولا يحمل الماشين إلا الحوامل
ولا سابق إلا يساق سليمة
ولا باطش ما لم تعنه الأنامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حلما أو أصابك جاهل

...

فالشاعر يوصى أخاه يزيد بن عبد الله بالإحسان إلى أهله وذويه واجتناب معاداتهم والبغض لهم ، لأن الإنسان إما كان فهو محتاج إلى أهله وعشيرته ، ثم يضرب الشاعر لصاحبه الأمثلة المتعددة التى تبين مدى حاجة المرء لأهله ،

(١) ديوانه ص ١١ ، والباب الأول ص ٢٦٥ .

ومعاني الشاعر معان عميقة راسخة ذات دلالة بعيدة • ويتضح عمق المعنى ويبرز رسوخه في قوله :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
أصبت حليماً أو أصابك جاهل

فإنك إن لم تعرض عن الجهل وتبتعد عن السباب والأخلاق المشينة فستقطف ثمرة جهلك وحمقك • فإما أن تؤذى حليماً فيغضب عليك ويوقع بك وقعة مشينة لأن الحليم إذا غضب أساء أو أن يصيبك أحمق شرس بسوء والجاهل عدو نفسه لا يعرف الحق من الباطل •

ومن المعاني العميقة في شعر الوصايا قول بشار بن برد (١) :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاظة
مكان الخوافى قوة للفسوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها
وما خير سيف لم يؤيد بقائمه

...

فالشاعر يوصي المرء باستشارة العقلاء والاستئثار بآرائهم • وعليه أن لا يضيّق بنصيحة أحد أو إبداء أخ له المشورة • لأن في ذلك إعانة وقوة للمرء كما أن الخوافى قوة للقوادم الطير حين يطير •

فمعاني الأبيات السابقة معان عميقة تستوقف الفكر وتشد الانتباه وتكشف عن

(١) ديوانه ج ٤ ص ١٦٣ والباب الأول ص ٧٣ •

بصيرة ثاقبة ومعرفة عميقة للشاعر في الحياة والأحياء .. وبخاصة فيما أحال عليه من أمثلة. ولست أزمع أن جميع شعر الوصايا ذو معان عميقة راسخة فقد جاءت بعض المعانى سطحية وذلك مثل قول عبد الله بن معاوية بن جعفر (١) :

إن اللبيب الذى يرضى بعيشته
لا من يظل على ما فات مكتئبا
لا تحقرن من الأتوام محتفرا
كل امرئ سوف يجرى بالذى اكتسبا
لا تنفخ سرا إلى غير اللبيب ولا ال
خرق المشيع له يوما إذا غضبا
قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه
حتى يكون إلى توريطة سببا
...

فالأفكار التى حملها النص وصايا أخلاقية عديدة فالشاعر يوصى المرء على عدم الأسى على ما فات ويحثه على القناعة والرضا بما قسم له من رزق ، ويحثه كذلك على حفظ الأسرار وكنمها، وعلى عصيان الهوى لأنه يوصل إلى الزهيق والضلال ، ولكنه تناول هذه الأفكار تناولا سطحيا ليس فيه عمق ، فليست تستوقف المتلقى ولا تجذب السمع وتشحن الذهن فما هى إلا مجرد معان بسيطة سطحية حملتها ألفاظ ركيكة بعيدة عن الرونق والبهاء .

ومن الأمثلة على المعانى السطحية قول عبد الله بن المبارك (٢) :

كل من الجاروش والسرز ■ ز ومن خبز الشعير

(١) شعره ص ٣٢ والباب الأول ص ٩١

(٢) ديوانه ص ٤٨ والباب الأول ص ٢٠٩

واجعلن ذاك حلالا * تنج من نار السعير
والتمس رزقك من ذى ال * عرش والرب القدير
وانا ما اسطعت هداك ال * له عن دار الأمير
لا تزرها واجتنبها * إنها شر — زور... الخ
...

فالشاعر يوصى الإنسان بالقناعة وكسب الحلال .. والابتعاد عن دور
الأمراء .. وقد تناول هذه المعانى تناولا سطحيا ليس فيه عمق والفاظه كذلك
الفاظا عامة مبتذلة .

فمن خلال ما سبق يتضح أن المعانى فى شعر الوصايا كثيرا ما تكون
معانى عميقة تكشف عن عقول رزينة وتجارب وخبرات فى الحياة طويلة ، وقد
تأتى المعانى فى هذا الفن — فى بعض الأحيان — معانى سطحية باردة ليس
فيها عمق أو رسوخ .

٤ - الأفكار بين التقليد والتجديد :

التجديد فى المعانى من السمات التى تكسب العمل الأدبى تأثيرا ومعطيه قبولاً ويفهم له مكانا بين الأعمال الأدبية التى يكتب لها البقاء ، ولكن ماذا يقصد بالتجديد فى المعانى فى الأعمال الأدبية ؟

إن الآداب العامة كالتاريخ والنقد والاقتصاد يجب أن تشتمل على حقائق جديدة فليس ثمة إنسان يقرأ كتابا يحتوى على حقائق يعرفها من قبل (١)

أما الأدب الخاص - الشعر والنثر الفنى - فليس من الضرورى أن تكون الحقائق أو الأفكار جديدة ، فيصح أن تكون هذه الحقائق التى تضمنتها القطعة الأدبية معروفة ولكن الجديد فيها صياغتها ، وتصوير الخيال بالعاطفة تصويرا جميلا تبدو فيه شخصية الأديب (٢) .

فالتجديد فى المعانى إذاً يكون فى طريقة أدائها وفى الصور والأخيلة ، لأن مطالبة الأديب بالتجديد فى المعانى أمر غير ممكن وإنما لا نكاد نجد (أديبا أسس عمله كله على حقائق جديدة لم تكن معروفة من قبل أو على معان معروفة للخاصة فقط) (٣) .

وعلى هذا فإن تجديد المعانى فى شعر الوصايا هو فى طريقة أدائها وفى تناولها وإن تداولها الشعراء فى شتى العصور .

فمن ذلك نجد أن كثيرا من الشعراء حثوا على السفر والاغتراب وبينوا دواعيه وأسبابه وفوائده ، ومنهم الإمام الشافعى فى أبياته التى يقول فيها (٤) :

-
- (١) انظر أصول النقد الأدبى ص ٢٢٨ .
(٢) انظر النقد الأدبى لأحمد أمين ص ٤٣ نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط الخامسة سنة ١٩٨٣ م ، وأصول النقد الأدبى ص ٢٢٨ .
(٣) النقد الأدبى لأحمد أمين ص ٤٤ .
(٤) ديوانه ص ٢٦

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب
من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصب فإن لذى العيش والنصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده
إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الأرض ما افترست
والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب ... الخ

...

فالإمام الشافعى يوصى المرء بالتغرب والسفر لما فيه من فوائد كثيرة ،
فمكوث المرء فى وطنه على الدوام من غير فراق له ينقص من قدره ويحط من منزلته
والسفر والاغتراب يحولان عن حدوث هذا الأمر ، لتجدد وجه الإنسان فى السفر ،
ولذلك شواهد كثيرة فالماء إذا ركد فترة طويلة أسن وفسد طعمه ، ولكنه فى
جره يطيب ، والأسود لولا تركها آجامها لما حصلت على رزقها ، والسهم لولا
مفارقتها القوس لم يصب شيئا ، وانظر إلى الشمس فإنها لو استمرت مشرقة من
غير غروب لملها الناس جميعهم عربهم وعجمهم .

فالمعانى التى أتى بها الإمام الشافعى كلها تدور حول الحث على السفر
والترغب فيه وبيان فوائده ، وقد قدم أدلة توهك صحة رأيه وتقويه .

وقد تناول هذا المعنى بعد الإمام الشافعى الشاعر أبو تمام بثوب جديد
والفاظ جميلة موجزة يقول (١) :

(١) ديوانه ج ٢ ص ٢٣ والباب الأول ص

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديها جثيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زهدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد
...

فالشاعر يوصى الإنسان بالسفر وترك الوطن ، فالإقامة المستمرة فى بلد واحد
مخلقة لوجه المرء ومحياء ، والاغتراب يجددهما ، فالشمس محبة لجميع الناس
لأنها ليست دائمة المكوث فهي تشرق فى أول النهار وتغضى فى آخره ، ولو
كانت سرمداً عليهم لملوها ، فكان أنت أيها الإنسان مثلها اغترب وسافر عن الوطن
حتى لا تُثَل .

ونرى التشابه بين المعنيين فالفكرة واحدة ، ولكن الجديد فيها صياغة
بيتى أبى تمام فصياغته أبلغ فقد أدت المعنى المقصود بأوجز عبارة وأبهر
طريق ، فالشاعر قد اكتفى بتعليل واحد موثر يؤكد ما ذهب إليه ويبيده وضوحاً
وبياناً .

ومن أمثلة التجديد فى المعانى ما نجده فى معنى الوصية على مداراة
الإخوان والإغضاء عن هفواتهم فالمغيرة بن حبناء يقول (١) :

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه
ولا تك فى كل الأمور تعاتبه
فإنك لن تلقى أخاك مهذباً
وإلى امرئ ينجو من العيب صاحبه

(١) الأمالى لأبى على القالى ح ٢ ص ٢٥٦ والباب الأول ص ٢٥٢

فالشاعر يحث المرء على مجاملة الاخوان ومداراتهم والصغ عن أخطائهم
وينهاه عن العتاب الدائم لأن المرء لا بد له من زلة وأى انسان يسلم صاحبه من
المعيوب !!

فهذا المعنى تداوله الشعراء من بعده ومن أبرزهم بشار بن برد الذى أخذ
هذا المعنى ونسأه حلة جديدة وصوره تصويرا رائعا زاد فى عمقه ودلالته يقول (١):

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعمش واحدا أوصل أخاك فإنه
مقارن ذنب مرة ومجانبيه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربهم

...

فالشاعر يوصى الإنسان العاقل بعدم معاتبة الصديق فى جميع الأمور فإن
ذلك مما ينفر الناس منه ، ولكن عليك أيتها الإنسان أن تتحمل أخطاء الصديق
وتصفح عن زلله ، وإن لم تستطع ذلك فاعلم أنك ستعيش واحدا منفردا بدون
صديق أو خليل ، واعلم أنك إن لم تشرب الماء الكدر ولم تعود نفسك على ذلك
ظمئت وأحرقك العطش ، وأى امرء تصفو مشاربهم على الدوام !!

فالفكرة متحدة عند الشعراء إلا أن الجدة فيها هو صياغة أبيات بشار وحسن
سبكها وما أضافته من معان جديدة ، فالشاعر لما بين للمرء أنه إذا لم يصفح عن
زلات صديقه عاش فردا لا صديق له ولا حميم ، فغضب له مثالا يؤكد له فيه عدم

(١) ديوانه ج ١ ص ٣٢٦ ، والباب الأول ص ٢٥٨ .

وجود شخص خال من العيوب وهو أن الإنسان إذا لم يصبر على شرب المياه الآسنة مرات وكرات ظل ظامًا طول حياته " فأى الناس تصفو مشاريه " وهذا المعنى الذى أتى به الشاعر أعطى فكرته جدة وابتكارا ، وعمقا وزادها وضوحا وبياناً .

وليس جميع الأفكار فى شعر الوصايا جديدة مبتكرة ، فهناك المعانى المتداولة بين الشعراء من غير محاولة للتجديد والابتكار ، ومن أجل ذلك نرى التشابه الكبير بين معانى الأبيات .

فمن الأمثلة على ذلك قول عبيد الله بن قيس الرقيات (١) :

وقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
بهم هرشا تغتابهم وتقاتل
فإن امرؤ فى معشر غير قومه
ضعيف الكلام شخصه متفائل
إذا شاء لم يهبط لسانا ولا يدا
ولم تنب عن ذى صفحتيك المعابل
...

فمعانى هذه الوصية الإخوانية قد أخذها الشاعر من وصية أوس بن حجر التى يوصى فيها أحد إخوانه (٢) :

يا راكبا إما عرضت فبلغن
يزيد بن عبد الله ما أنا قائل
بآية أنى لم أخنك وأنه
سوى الحق مهما ينطق الناس باطل

(١) ديوانه ص ٥١ والباب الأول ص ٢٢٣

(٢) ديوانه ص ١١ والباب الأول ص ٢٦٥

فقومك لا تجهل عليهم ولا تكن
 لهم هرشا تغتابهم وتقاتل
 وما ينهض البازي بغير جناحه
 ولا يحمل الماشين إلا الحوامل
 ولا سابق إلا بساق سليمة
 ولا باطش ما لم تعنه الأنامل
 إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا
 أصبت حليما أو أصابك جاهل

...

فالتشابه فيما بين النصين واضح بين بل إن البيت الأول في مقطوعة عبيد الله بن قيس مأخوذ برمته من أبيات أوس بن حجر ، ولم يستطع ابن قيس أن يقدم معانى جديدة في أبياته السابقة تخالف أبيات أوس ، فما أبياته إلا تقليد لها ، ومع ذلك فإن أبيات أوس أعمق في الدلالة وأبلغ في البيان .

ومن الأمثلة أيضا على التقليد في المعانى وتداولها بين الشعراء من غير تجديد فيها قول أبى الأسود الدؤلى (١) :

وإن قلت في شيء نعم فأتسمه
 فإن نعم دين على الحر واجب
 وإلا فقل لا واسترح وأرج بها
 لكى لا يقول الناس إنك كاذب

...

وقول ابن مسحل العفيلى (٢) :

(١) ديوانه ص ١٤٣ والباب الأول ص ١١٣ .
 (٢) الحماسة للبحتري ص ٢٢٢ والباب الأول ص ١١٤

إبدأ بقولك لا لا قبل قول نعم
يا صاح بعد نعم ما أقسم العللا
واعلم بأن نعم إن قالها أحد
عند المواعيد لم تترك له جدلا
...

فالشاعران يوصيان المرء بإتمام الوعد لأن الوعد دين على الحر ومن أقبح
الأخلاق اعتذار المرء عن إتمام وعده ، وقد استقى الشاعران هذه الفكرة من أبيات
المثقب التي يقول فيها (١) :

لا تقولن إذا ما لم ترد
أن تتم الوعد في شيء نعم
حسن قول نعم من بعد لا
وقبيح قول لا بعد نعم
إن لا بعد نعم فاحشة
فبلا فابدا ، إذا خفت الندم
فإذا قلت نعم فاصبر لها
بنجاح الوعد إن الخلف ذم
واعلم أن الندم نقص للفتى
ومتى لا يتسق الذم بدم
...

فأبو الأسود الدؤلي وابن مسحل العقيلي لم يضيفا معاني جديدة إلى هذه
المعاني ، أو يتناولها تناولا دقيقا يعطيها صفة الجدة ، فما تعدوا أن تكون
معاني أبياتهما إلا تقريراً لمعاني المثقب مع أن معانيه أشمل وأبلغ وصياغته أجمل
وأحكم .

(١) ديوانه ص ٢٢٧ والباب الأول ص ١١٢

وهكذا بعد مسيرتنا مع الأفكار في شعر الوصايا رأينا أن هذه الأفكار
- في الغالب - أفكارا مترابطة متلازمة مع بعضها بعيدة عن التفكك والتكرار ،
وقد تكون في القليل النادر أفكارا مفككة غير متلازمة ..

وفي مجال الوضوح والغموض رأينا أن الأفكار واضحة بعيدة عن الغموض
والتعمية .

أما من ناحية العمق والسطحية فإننا رأينا أن المعاني في شعر الوصايا
كثيرا ما تكون معاني عميقة راسخة ، وقد تبدو في بعض الأحيان معاني سطحية
باردة .

وفي مبحث التجديد في الأفكار رأينا أن هناك شعراء قد جددوا في
معانيهم وكسوها حلة جديدة .

أما التقليد في الأفكار فإننا رأينا أن هناك معاني متداولة بين الشعراء
من غير محاولة للتجديد أو الابتكار فيها فلذلك نجد التشابه الكبير بين تلك
المعاني .

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة مع شعر الوصايا من العصر الجاهلي حتى
شهاية القرن الرابع الهجرى • ومن خلال استعراض ما جاء فيه فإنى أوجـز
دراستى فيما يلى :

فى التمهيد تناولت تعريف الوصية وحاولت تحديد ملامحها من واقع
شعر الوصايا فاتضح لى أن الوصية لا تصدر - عادة - إلا من رجل أريب
عقل قد خبر الحياة وعرفها وعركته السنون فذاق طوها ومرها (١) .

أما فى الدراسة الموضوعية فقد تبين لى أن شعر الوصايا قد اتجه إلى ست
اتجاهات هى :

- ١ - الوصايا الاجتماعية •
- ٢ - الوصايا الأبوية •
- ٣ - الوصايا الدينية •
- ٤ - الوصايا الحربية •
- ٥ - الوصايا الإخوانية •
- ٦ - الوصايا الزوجية •

فى الوصايا الاجتماعية رأيت أن الشعراء قد أوصوا أفراد المجتمع بوصايا
أخلاقية عديدة هى :

- الحث على طلب الرزق والاستغناء بالنفس عن الناس •
- الحث على الكرم وانفاق المال •
- الحث على مصاحبة الأخيار والنهى عن معاشره اللئام
- التحلى بالأخلاق الفاضلة •

(١) من (٧) إلى (١٥) من هذا البحث •

- استشارة العقلاء
 - آداب الحديث والاستماع والحث على لزوم الصمت .
 - حفظ السر .
 - الحث على الصبر .
 - النهي عن فرط المزاح .
 - الحث على السفر وآدابه .
 - إتمام الوعد .
 - آداب زيارة المريض (١)
- وفى الوصايا الأبوية وقفت على أن الشعراء قد أوصوا أبناءهم بوصايا عديدة
هـى :
- الحث على تقوى الله سبحانه وتعالى .
 - الحث على الكرم والانفاق والمروءة .
 - الحث على حفظ المجد والسمو ود اجتماع الكلمة .
 - الحث على هاجبة الأخيار والبعد عن اللثام .
 - الحث على طلب الرزق والبعد عن الحرص .
 - الحث على إباء الضيم وعدم الذل والهوان .
 - الحث على التحلى بالصفات الخلقية الحميدة والبعد عن الصفات
الذميمة .
 - الحث على الشجاعة وخوف المكارك .
 - وصية الشاعر بناته لراثته والبكاء عليه .
 - الحث على اختيار الزوج الصالح (٢)
- وفى الفصل الثالث عرضت لشعر الوصايا الدينية وتبينت أنها تضمنت الحث

(١) من (٢٤) إلى (١١٧) من هذا البحث .
(٢) من (١١٩) إلى (١٢٧) من هذا البحث .

على تقوى الله سبحانه وتعالى ، والتزهد في الدنيا والتذكر بالآخرة ، والحث على عمل الطاعات واجتناب المحرمات وكذلك الحث على الفناعة والرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى (١) .

أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه شعر الوصايا الحربية ، ورأيت أن الشعراء قد حثوا على خوض المعارك ببسالة ورباطة جأش ، وعدم الهروب من المعركة خوف الموت ، كما حثوا أقوامهم على الأخذ بالنار وعدم الرضا بالدية مهما عظمت لأنها فانية ، كما حث بعض الشعراء قومه على الاستعداد للمعركة وأخذ الحذر من العدو (٢) .

أما الفصل الخامس فكان خاصا بشعر الوصايا الإخوانية ورأيت أن الشعراء قد حثوا على اصطفاة الإخوان لأنهم الساعد الأيمن للإنسان ، وأوصوا المرء أن يحسن اختيارهم وأن لا يؤاخى إلا الرجل الكريم المتحلى بالأخلاق الفاضلة .

كما أنهم حثوا على حسن معاملة الإخوان ومداراتهم في ذلك والإغصاء عن هفواتهم لأن النفس من طبائع النفوس ولن يجد المرء أخا خالصا من جميع الميؤوب (٣) .

أما الفصل السادس فقد تناولت فيه شعر الوصايا الزوجية ورأيت أن الشعراء قد أوصوا زوجاتهم بوصايا عديدة مثل الإسراع في إكرام الضيف وتقديم القرى له والحث على الفناعة وحسن المعاملة وعدم إدامة العتاب ، كما أوصى بعضهم زوجه - إن أرادت الزواج بعد موته - اختيار الرجل الكفا وعدم الاقتران برجل لثيم ، وذلك حرصا عليهن ، وكأنهم يخشون غدر الحياة والناس بهن مسن

(١) من (١٧٩) إلى (٢١٢) من هذا البحث .
(٢) من (٢١٤) إلى (٢٤٧) من هذا البحث .
(٣) من (٢٤٩) إلى (٢٧٤) من هذا البحث .

من بعدهم فيرسوا لهن الطريق الذي يجدن فيه الأمن والملاذ (١)

أما في مجال الدراسة الفنية لشعر الوصايا في جانب الشكل فمن خلال دراسة الألفاظ اتضح لي سهولة شعر الوصايا - غالبا - ووضوح معانيها وبُعدها عن الغرابة والابتذال والتنافر ، تنساب في الأذن انسيابا من غير نشوز في السمع أو تعثر في اللسان مع دقة في أداء المعنى المراد (٢) .

ومن خلال دراسة التراكيب في شعر الوصايا فقد تبين لي أن العبارة - في كثير من الأحيان - سهلة البناء ، بعيدة عن المعاطلة اللفظية الناتجة من تكرار حرف أو تكرار كلمة ، كما أنها خالية من المعاطلة اللفظية الناتجة عن التقديم أو التأخير في غير محله أو تداخل العبارات بعضها في بعض .

كما أن شعراء الوصايا قد أحسنوا استخدام التقديم والتأخير والتعريف والتذكير وغير ذلك من أجزاء بناء العبارة مما أعطاهم تنوعا في الأسلوب وإغناء للمعنى وجعلها أكثر تأثيرا في النفوس ، كما أنهم زاوجوا بين الأسلوب الإنشائي والأسلوب الخبري كل في موضعه المناسب له (٣) .

أما عن خصائص الصور البيانية فإن شعراء الوصايا قد استخدموا جميع ألوان الصور البيانية من استعارة وثابة وتشبيه ، ولكن أكثر هذه الألوان دورانا في هذا الغرض التشبيه ، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن صورة التشبيه أنسب لهذا الشعر من حيث اتخاذها وسيلة من وسائل الإقناع الذي يهدف إليه شعر الوصايا (٤) .

أما في مجال دراسة القيم الصوتية فمن ناحية الأوزان فإنني وجدت أن أغلب

-
- | | | | |
|-----|----|-----------------|----------------|
| (١) | من | (٢٢٦) إلى (٢٨٧) | من هذا البحث . |
| (٢) | من | (٢٩٠) إلى (٣١٥) | من هذا البحث . |
| (٣) | من | (٣١٦) إلى (٣٢٧) | من هذا البحث . |
| (٤) | من | (٣٢٨) إلى (٣٤٠) | من هذا البحث . |

الشعراء قد نظموا ما يختلج في صدورهم من وصايا على بحور طويلة أما البحور القصيرة فلم تأت إلا نادرا ولعل ذلك راجع إلى موضوع الشعر ، فهو يتطلب بحورا طويلة تستوعب المواطف والتجارب من غير نقص بثوب جميل وجليسل يتلاءم وجلال وهيبة موقف الإيحاء (١) .

أما من ناحية الموسيقى الداخلية فلقد وفر شعراء الوصايا هذه الموسيقى من خلال اختيارهم للكلمات التي تحتوى على حروف لها جرس ونغم واستخدمهم للتضخيم كالمحسنات البدعية من جناس وطباق ومقابلة ما زاد في إيضاح (٢) الأبيات وساعد على توازن الأنغام ، وأعان على حسن استقبال الوصية واستيعابها .

وعند دراسة القافية انضم لى توفيق شعراء الوصايا فى اختيار حرف الروى الذى يخدم المعنى ويعطى نغمة جميلة تتناسب مع موسيقى الوزن فتكون ختاماً حسناً لموسيقى البيت بأجمعه ، كما جاءت القوافى - فى الغالب - منسجمة مع بعضها دون نشوز أو تكلف فكل قافية نهاية طبيعية للبيت من غير استكراء أو اجتلاب ، وإن وجد بعض الأمثلة التى اجتلبت فيها القافية واستكترت فهى أمثلة قليلة ولا تعد ظاهرة كبيرة (٣) .

وفى دراسة البناء الفنى لشعر الوصايا تبين لى أنه جاء على ثلاثة أصناف :
الصف الأول - وهو الغالب - على هيئة مقطعات مكونة من بيتين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة .

الصف الثانى : قصائد كاملة ولكنها ليست كثيرة .

-
- | | | | | | |
|-----|----|---------|-----|---------|----------------|
| (١) | من | (٣٤١) | إلى | (٣٤٨) | من هذا البحث . |
| (٢) | من | (٣٤٩) | إلى | (٣٥٦) | من هذا البحث . |
| (٣) | من | (٣٥٧) | إلى | (٣٦٣) | من هذا البحث . |

الصف الثالث : ورود شعر الوصايا داخل أعرافى أخرى ، وهذا قليل جدا بالمقارنة لسابقه .

كما تبين أن غالب هذا الشعر جاء خاليا من المقدمات في أول القصائد فالدخول إلى الغرض مباشرة هو السمة البارزة (١) .

كما اتضحت لى الوحدة الموضوعية في شعر الوصايا — ففي الكثير الغالب تكون القصيدة أو المقطوعة مستقلة بغرض الوصية بما فيه من معان أخلاقية مختلفة (٢)

أما في مجال الدراسة الفنية لشعر الوصايا في جانب المضمون ، فقد رأيت أن التجارب في هذا الشعر تجارب شخصية واجتماعية .

وقد توافر لكثير من هذه التجارب عامل الصدق مما يدعو إلى الحكم عليها بأنها تجارب صادقة نابعة من القلب بعيدة عن التكلف ، ذات دافع قسوى وصادق .

وقد انضم لى — أيضا — أن صياغة التجربة الشعرية في شعر الوصايا قد تنوعت إلى ثلاثة أقسام ، قسم وائمت الصياغة التجربة الشعرية ولائتها ، وكانت وعاء مصنوعا على مقدارها وهذا هو الغالب في هذا الشعر .

وقسم آخر قصرت فيه الصياغة عن التجربة الشعرية فبدأت ثوبها قصيرا معريا .

أما القسم الثالث ، فقد زادت الصياغة فيه عن التجربة الشعرية فبدأت ثوبها طويلا فضفاضا ، ولكن الملاحظ أن هذين النوعين قليلان في شعر الوصايا (٣) .

-
- | | | | | | |
|-----|----|---------|-----|---------|----------------|
| (١) | من | (٣٦٤) | إلى | (٣٧١) | من هذا البحث . |
| (٢) | من | (٣٧١) | إلى | (٣٧٣) | من هذا البحث . |
| (٣) | من | (٣٧٥) | إلى | (٣٩١) | من هذا البحث . |

وفى دراسة العاطفة رأيت أنها قد تنوعت بتنوع اتجاهات شعر الوصايا ،
فemاطفة الخوف والشفقة والحب فى الوصايا الأبوية والزوجية ، والم عاطفة
الإنسانية المحبة للنصح والتوجيه فى الوصايا الاجتماعية والإخوانية ، وعاطفة
الحماسة والقوة فى الوصايا الحربية ، والم عاطفة الإيمانية المخلصة التى تشير
مشاعر الخوف والرجاء فى الوصايا الدينية .

وهذه الم عاطف - فى الغالب - عاطف حية مشبوبة لانبعائها عن
سبب صادق ودافع قوى ، ولقوتها فى إثارة مشاعر المتلقى (١) .

وفى دراسة الأفكار تبين لى أنها - فى الغالب - أفكار مترابطة متلازمة
مع بعضها بعمدة عن التفكك والتكرار ، كما أنها أفكار واضحة بعمدة عن
الغموض والتعمية وهى فى ذلك تحقق الهدف المنشود من الوصية سماعا وفهما
وعملًا .

أما من ناحية العمق والسطحية فإن المعانى فى شعر الوصايا كثيرا ما تكون
معانى عميقة راسخة .

ومن ناحية التجديد فى الأفكار فإننا رأينا أن هناك شعراء قد جددوا فى
معانيهم وابتعثوا فيها حياة جديدة .

أما التقليد فإننا رأينا أن هناك معانى متداولة بين الشعراء من غير
محاولة للتجديد أو الابتكار فيها ، فلهذا نجد التشابه الكبير بين تلك
المعانى (٢) .

هذا .. وإن من أهم النتائج التى توصلت إليها ما يلى :

-
- (١) من (٣٩٢) إلى (٤٠٦) من هذا البحث .
(٢) من (٤٠٧) إلى (٤٣٠) من هذا البحث .

١ - أن شعر الوصايا كان يومئذ دورا في المجتمع الجاهلي ، الذي لم يكن خاضعا لحكم ولا تابعا لديانة صحيحة ، وإنما كانت تحكمه الأعراف والتقاليد مما أفسد مجالا للوصايا المتنوعة التي يرى أصحابها أنها تؤمد ما تؤمده القوانين وتضع ما تحاول أن تصنعه الحكومات الآن من إصلاح في مجتمعاتها اجتماعيا وسياسيا وحربيا .

كما كان للوصية دور تربوي وأخلاقي في المجتمع الإسلامي لما تتضمنه من توجيه وإرشاد في شتى مجالات الحياة ، وإن كانت لم تأخذ نفس الحجم الذي كانت عليه في العصر الجاهلي وذلك لأن الإسلام بنظامه وتعاليمه قد أغنى الكثيرين عن التفصيل في تنظيم العلاقات الاجتماعية أو السياسية أو الحربية .

٢ - أن وصايا الشعراء الإسلاميين كانت في الغالب تتبع من روح الإسلام وتسهل من معينه الصافي ، وقد تمثل ذلك من خلال تضمين الشعراء لكثير من معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وهذا يعد أكبر مظهر من مظاهر التأثير بالتعاليم الإسلامية بصورة أكبر من غيرها من الأغراض الأخرى .

٣ - تعد الوصايا الدينية اتجاها جديدا بد ، ظهوره منذ انبلاج فجر الإسلام وتابع تطوره حتى بلغ الذروة في العصر العباسي الأول حيث ركز الشعراء - في هذا العصر - في وصاياهم على التزهيد في الدنيا والتذكير بالآخرة ، والحث على القناعة وعدم الحرص وكان ذلك بمثابة رد فعل على ما حفل به هذا العصر من مجون وتهالك على أنواع المتسع والمذات .

٤ — ولعل من النتائج البارزة ، تقديم هذه النماذج الشعرية الكثيرة فى هذا الغرض الذى ربما يبدو للقارىء لأول وهلة أنه لا يأخذ مثل هذا الحجم لقلته وندرته كغرض فى الشعر العربى .

وبعد .. فان شعر الوصايا لا يزال بحاجة إلى مواصلة البحث والدرس خصوصا فى القرون المتأخرة التالية للقرن الرابع الهجرى . والتقى لم تتناولها أقلام الدارسين بعد .

والحمد لله أولا وآخرا ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

المصاوير والخرائج

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ١ - أبو العتاهية أشعاره وأخباره .
تحقيق د / شكرى فيصل - مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤ هـ .
- ٢ - أبو الفتح البستي حياته وشعره د / محمد مرسى الخولى .
الطبعة الأولى ١٩٨٠م - دار الأندلس للطباعة والنشر .
- ٣ - الأدب ومذاهبه د / محمد مندور . دار نهضة مصر القاهرة د . ت
- ٤ - أسس النقد الأدبي عند العرب د / أحمد أحمد بدوى .
دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩م .
- ٥ - أسرار البلاغة فى علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجانى
تصحیح وتعليق محمد رشيد رضا - دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ
- ٦ - الإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى .
تحقيق على محمد البجاوى - دار نهضة مصر للطباعة والنشر د . ت
- ٧ - الأصمعيات : اختيار أبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى .
تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون . نشر دار المعارف
مصر سنة ١٩٧٩م .
- ٨ - أصول النقد الأدبي الأستاذ / أحمد الشايب .
الطبعة الناشئة سنة ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .
- ٩ - الأعلام - خير الدين الزركلى .
الطبعة الخامسة ١٩٨٠م . دار العلم للملايين - بيروت لبنان .

- ١٠- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني • نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٨٣هـ • نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان •
- ١١- الأمالي لأبي علي القالي • نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م
- ١٢- البداية والنهاية • لابن الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي • الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - مكتبة المعارف بيروت لبنان •
- ١٣- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحف الذاهن والهاجس لابن عبد البر القرطبي تحقيق محمد مرسى الخولي • دار الكتب العلمية بيروت - لبنان • د • ت •
- ١٤- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ • تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة ١٣٩٠هـ - مكتبة الخانجي القاهرة •
- ١٥- تاريخ الأدب العربي د / عمر فروخ الطبعة الخامسة ١٩٨٤ - دار العلم للملايين بيروت لبنان •
- ١٦- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي • دار الكتاب العربي بيروت لبنان • د • ت •
- ١٧- التذكرة السعدية في الأشعار العربية - لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي تحقيق د / عبد الله الجبوري • الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ١٩٨١م •
- ١٨- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن الهند ١٣٢٦ هـ •
- ١٩- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري • حققه الأستاذ عبد السلام هارون وآخرون - راجعه محمد علي النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ •

- ٢٠- جمهرة أشعار العرب لأبي زهد القرشي
تحقيق د / محمد علي الهاشمي
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - من منشورات جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية - الرياض .
- ٢١- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - أحمد الهاشمي .
الطبعة الثانية عشرة - دار احياء التراث العربي بيروت -
لبنان . د . ت .
- ٢٢- الحماسة لأبي تمام .
تحقيق د / عبد الله عميلان .
الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ من منشورات جامعة الامام محمد بن سعود
الإسلامية .
- ٢٣- الحماسة للبحرئى .
تعليق كمال مصطفى
الطبعة الأولى ١٩٦٩ م - المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .
- ٢٤- خزنة الأدب ولب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي .
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .
الطبعة الثانية ١٩٧٩ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٢٥- الخيال الشعري عند أبي الطيب المتنبى د / طه مصطفى أبو كريشة .
الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - دار التوفيقية للطباعة بالأزهر .
- ٢٦- دلائل الإعجاز . لعبد القاهر الجرجاني .
قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر - مكتبة الخانجي بالقاهرة د . ت .
- ٢٧- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي ضمن كتاب الطرائف الأدبية .
تصحيح وتخرىج عبد العزيز اليمنى .
دار الكتب العلمية بيروت - لبنان . د . ت .

- ٢٨- ديوان أبي الأسود الدؤلى صنعة أبي سعيد الحسن العسكري .
تحقيق محمد حسن آل ياسين .
الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤م دار الكتاب الجديد - بيروت لبنان
- ٢٩- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي .
تحقيق محمد عبده عزام .
الطبعة الثالثة ١٩٧٦م دار المعارف بمصر .
- ٣٠- ديوان أبي فراس الحمداني
شرح وتقديم عباس عبد الماتر
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ دار الكتب العلمية - بيروت
لبنان .
- ٣١- ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسى
جميع وتحقيق محمد حسن باجودة
من مطبوعات نادى الطوائف الأدبي ١٣٩٩هـ
- ٣٢- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)
شرح وتعليق محمد محمد حسين
المكتب الشرقى للنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٣٨٨هـ .
- ٣٣- ديوان أوس بن حجر .
تحقيق د / محمد يوسف نجم
الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - دار صادر بيروت . لبنان .
- ٣٤- ديوان البحتري .
عنى بشرحه وتحقيقه حسن كامل الصيرفى
الطبعة الثالثة ١٩٧٨م - دار المعارف بمصر .
- ٣٥- ديوان بشار بن برد
جميعه وشرحه وكملة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .
الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦م .

- ٣٦- ديوان تميم بن مقبل
تحقيق د / عزة حسن
وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٣٨١هـ .
- ٣٧- ديوان حاتم الطائي ، صنعة يحيى بن مدرك الطائي
دراسة وتحقيق د / عادل سليمان جمال
مطبعة المدني شارع العباسية ، القاهرة د . ت .
- ٣٨- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه
تحقيق د / سيد حفنى ناصف .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .
- ٣٩- ديوان حميد بن ثور الهلالي صنعة عبد العزيز الميمنى .
الدار القومية للطباعة والنشر - نسخة صورة عن طبعة دار الكتب
المصرية ١٣٧١هـ .
- ٤٠- ديوان دجيل بن عيسى الخزاعي . جمعه وحققه عبد الصاحب بن عمران
الدجيلي
الطبعة الثانية ١٩٧٢م - دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ٤١- ديوان الشافعى - محمد بن ادريس - جمع وتعليق محمد غفيف الزغبى
الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ، مكتبة المعرفة - حص ، سوريا .
- ٤٢- ديوان شعر الخوارج - جمعه وحققه د / إحسان عباس
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - دار الشروق بيروت ، لبنان .
- ٤٣- ديوان شعر الهذليين .
نشر الدار القومية للطباعة ، نسخة صورة عن طبعة دار الكتب
المصرية ١٣٨٥هـ .
- ٤٤- ديوان طرفة بن العبد - شرح الأعلم الشنتمرى
تحقيق د ربة الخطيب ، ولطفى الصقال . من مطبوعات مجمع اللغة
العربية بدمشق ١٣٩٥هـ .

- ٤٥— ديوان عابر سبيل — عباس محمود العقاد — ضمن مجموعة دواوين —
العقاد ، نشر المكتبة المصرية ، بيروت ، صيدا .
- ٤٦— ديوان عبد الله بن المبارك جمع وتحقيق ودراسة مجاهد مصطفى بهجت
الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ — دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ،
بصر .
- ٤٧— ديوان عبد الله بن المعتز .
دراسة وتحقيق محمد بدیع شرف
الطبعة الأولى ١٩٧١م — دار المعارف بصر .
- ٤٨— ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات .
تحقيق د / يوسف نجم — دار صادر بيروت ١٣٧٨هـ .
- ٤٩— ديوان عبيد بن الأبرص .
تحقيق وشرح د / حسين نصار .
الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة
- ٥٠— ديوان عدي بن زيد العبادي
تحقيق محمد جبار المعيد
نشر وزارة الثقافة والارشاد ، سلسلة كتب التراث ، بغداد ١٩٦٠م
- ٥١— ديوان عمرو بن الورد العبسي شرح ابن السكيت
تحقيق د / عبد المعين الطوحي
وزارة الثقافة والارشاد القوي ، دمشق ١٩٦٦م
- ٥٢— ديوان العسكري — أبو هلال الحسن بن عبد الله — جمعه وحققه جورج قناز
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٠هـ
- ٥٣— الديوان في الأدب والنقد — عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني
الطبعة الثالثة — طبعة دار الشعب بصر .

- ٥٤— ديوان لبید بن ربیعۃ العامری رضی اللہ عنہ
الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ دار صادر بیروت •
- ٥٥— ديوان لقيط بن يعمر الیادی
تحقيق د / عبد المعین خان
دار الأمانة، ومؤسسة الرسالة بیروت لبنان ١٣٩١ هـ
- ٥٦— ديوان المثقب العبدی
تحقيق حسن كامل الصيرفي •
معهد المخطوطات العربية ١٣٩١ هـ
- ٥٧— ديوان النابغة الذبياني
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
الطبعة الثانية ١٩٨٥ • دار المعارف — مصر •
- ٥٨— رغبة الآمل من كتاب الكامل — للشهيد سيد بن علي الموصفي •
الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ مطبعة النهضة بمصر •
- ٥٩— سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي •
الطبعة الأولى ١٩٨٢م دار الكتب العلمية بیروت لبنان •
- ٦٠— سنن أبي داود — سليمان بن الأشعث السجستاني
نشر دار السريان ١٤٠٨ هـ القاهرة •
- ٦١— سنن ابن ماجه — محمد بن يزيد القزويني •
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي •
دار إحياء التراث العربي • بیروت لبنان — د • ت •
- ٦٢— سنن الترمذی — محمد بن عيسى بن سوره
تحقيق إبراهيم عطوة •
دار إحياء التراث العربي — بیروت لبنان — د • ت •

- ٦٣- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي .
حققه مجموعة من الأساتذة وأشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب
الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت ،
لبنان .
- ٦٤- شاعرات العرب - جمع وتحقيق عبد البديع صقر .
الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ - المكتب الإسلامي دمشق سوريا .
- ٦٥- شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي .
نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون .
الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ مطبعة لجنة التأليف والنشر .
- ٦٦- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى بسنن
زهد الشيباني (ثعلب)
نشر الرار القومية ١٣٨٤ هـ نسخة صورة عن طبعة دار الكتب
المصرية ١٣٦٣ هـ .
- ٦٧- شرح ديوان الفرزدق ضبطه وشرحه إيليا الحاوي .
الطبعة الأولى ١٩٨٣ م دار الكتاب اللبناني بلبنان .
- ٦٨- شرح المفضليات - للخطيب التبريزي .
تحقيق علي محمد البجاوي - دار نهضة مصر للطباعة والنشر د . ت
- ٦٩- شعر ابن العلاف ، جمع وتحقيق صبيح رديف
الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - مطابع الجامعة بغداد .
- ٧٠- شعر تميم في الجاهلية ، جمع وتحقيق د / عبد المعين محمّد المعيني
من منشورات نادي القصيم الأدبي ، بريدة ، ١٤٠٢ هـ .
- ٧١- شعر الحرب في العصر الجاهلي د / علي الجندي .
مكتبة الانجلو المصرية د . ت .

- ٧٢— شعر الخلفاء في مصرين الراشدي والاموي — نبال تيسير خماش
- ٧٣— شعر الدعوة الاسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين — عبد الله بن حامد الحامد • الرئاسة العامة للكتبات والمعاهد العلمية — كلية اللغة العربية بالرياض ١٣٩١ هـ
- ٧٤— شعر ربيعة الرقي — د / يوسف حسين بكار • الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ دار الأندلس بيروت لبنان •
- ٧٥— شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة د / علي نجيب عطوي الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ المكتب الاسلامي دمشق — بيروت •
- ٧٦— شعر سابق البربري دراسة وجمع وتحقيق د / بدر أحمد ضيف • دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٧ م •
- ٧٧— شعر طريح بن إسماعيل الثقفي دراسة وجمع وتحقيق د / بدر أحمد ضيف دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٧ م •
- ٧٨— شعر طي، وأخبارها في الجاهلية والاسلام — جمع وتحقيق د / وفاء فهمي السنديوني • دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ الرياض •
- ٧٩— شعر عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب • جمعه وحققه عبد الحميد الراضي • الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ دار الرسالة بيروت
- ٨٠— شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي رضى الله عنه — جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ — مجمع اللغة العربية بدمشق •
- ٨١— الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث — للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي — الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ تهامة للنشر والتوزيع جدة
- ٨٢— شعر النعمان بن بشير الأنصاري رضى الله عنه • تحقيق د / يحيى الجبوري • الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ — دار القلم الكويت •

- ٨٣ — شعر حمدان وأخبارها في الجاهلية والاسلام
جمع وتحقيق ودراسته د / حسين أبو ياسين
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ — دار العلوم للطباعة والنشر — الرياض .
- ٨٤ — الشعر والشعراء لابن قتيبة
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر .
الطبعة الثانية ١٩٧٧م .
- ٨٥ — شعراء يزيديين — جمعه وحققه د / محسن غياض .
مطبعة النعمان — النجف ١٩٧٣م .
- ٨٦ — شعراء إسلاميون د / نوري حمودي القيسي .
الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ، عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية
بيروت لبنان .
- ٨٧ — شعراء أمويون جمع وتحقيق د / نوري حمودي القيسي
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ — عالم الكتب بيروت ، لبنان .
- ٨٨ — شعراء أمويون — القسم الثالث — دراسة وتحقيق د / نوري حمودي القيسي
مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٢هـ .
- ٨٩ — شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهلية والاسلام حتى آخر العصر الأموي ،
جمعا وتحقيقا ودراسته د / عبد العزيز بن محمد الفيصل .
الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
- ٩٠ — شعراء بني قشير في الجاهلية والاسلام حتى آخر العصر الأموي .
د / عبد العزيز محمد الفيصل .
طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٩٨هـ .
- ٩١ — صالح بن عبد القدوس عصره وحياته وشعره — ألفه وحققه عبد الله
الخطيب ، دار منشورات البصري — بغداد ١٩٦٧م .
- ٩٢ — الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري
تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .
الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ دار العلم للملايين ، بيروت .

- ١٣- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
الطبعة الثانية ١٩٧٢م - دار احياء التراث العربى - بيروت .
- ١٤- الصداقة والصديق لأبى حيان التوحيدى
شرح وتعليق على متولى صلاح - مكتبة الآداب ومطبعتها -
القاهرة - د . ت .
- ١٥- الصناعتين لأبى هلال العسكري .
تحقيق على البجاوى ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم .
الطبعة الأولى ١٣٧١هـ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة
- ١٦- الصورة بين البلاغة والنقد ، أحمد بحام ساعى
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ المنارة للطباعة والنشر بدمشق .
- ١٧- ضحى الاسلام ، أحمد أمين
الطبعة العاشرة ، دار الكتاب العربى بيروت ، لبنان
- ١٨- طبقات الشعراء لابن المعتز
تحقيق عبد الستار أحمد فراج
الطبعة الرابعة ١٩٨١م - دار المعارف بمصر
- ١٩- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي
قرأه وشرحه ، محمود محمد شاكر
مطبعة المدنى القاهرة د . ت .
- ١٠٠- الطبقات الكبرى لابن سعد
دار صادر بيروت ١٤٠٥هـ .
- ١٠١- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوى .
دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٠هـ .

- ١٠٢- العصر الجاهلي . د / شوقي ضيف .
الطبعة السابعة ١٩٧٦م دار المعارف بصر
- ١٠٣- العصر العباسي الأول . د / شوقي ضيف .
الطبعة السابعة ١٩٧٨م دار المعارف بصر .
- ١٠٤- العقد الفردي لابن عبد ربه الأندلسي .
تحقيق أحمد أمين وآخرين .
دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٦هـ
- ١٠٥- المعتمد في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني .
تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، نشر دار الجبل
بيروت ، لبنان د . ت .
١٠٦- عيار الشعر لابن طباطبا العلوي .
تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع
دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض ١٤٠٥ هـ
- ١٠٧- المين للخليل بن أحمد .
تحقيق د / مهدي المخزومي د / ابراهيم السامرائي .
من منشورات وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية ١٩٨٥م .
- ١٠٨- عيون الأخبار لابن قتيبة
دار الكتاب العربي بيروت لبنان نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
المصرية ١٣٤٣هـ .
- ١٠٩- فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري لابن حجر المصقلاني .
تحقيق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز .
المكتبة السلفية - مصر - د . ت .
- ١١٠- فتوح الشام لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي
قدم له عمر أبو النصر .
الطبعة الأولى ١٩٦٦م المكتبة الأهلية بيروت .
- ١١١- في تاريخ الأدب الجاهلي . علي الجندى .
دار المعارف بصر ١٩٨٣م .

- ١١٢- فى ميزان النقد الأدبى د / طه مصطفى أبو كريشه .
الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ القاهرة .
- ١١٣- فى النقد الأدبى د / شوقي ضيف .
الطبعة الخامسة - دار المعارف بمصر .
- ١١٤- فى النقد الأدبى الحديث د / محمد عبد الرحمن شعيب
الطبعة الأولى ١٩٦٧م مطبعة دار التأليف القاهرة .
- ١١٥- القاموس المحيط للفيروز آبادى
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة بيروت .
- ١١٦- قصيدة عنوان الحكم لأبى الفتح البستى
ضبطها وعلق عليها عبد الفتاح أبو غدة
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - مكتب المطبوعات الإسلامية حلب سورية
- ١١٧- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد
عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم
دار الفكر العربى مصر القاهرة د . ت .
- ١١٨- لباب الآداب لأصامة بن منقذ
تحقيق أحمد شاکر - دار الكتب السلفية ١٤٠٧ القاهرة .
- ١١٩- لسان العرب لابن منظور .
دار المعارف بمصر د . ت .
- ١٢٠- الموءلف والمؤتلف فى أسماء الشعراء وكتاهم للأمدى .
تصحیح وتعلیق ف . کزنکو
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
- ١٢١- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير .
تحقيق د / أحمد الحوفى ود / بدوى طبانة .
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ دار الرفاعى الرياض .

- ١٢٢- مختارات شعراء العرب لابن الشجري .
تحقيق على محمد البجاوي - دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د . ت
- ١٢٣- مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني
دار الفكر العربي - بيروت د . ت
- ١٢٤- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها د / عبد الله الطيب .
الطبعة الثانية ١٩٧٠م - دار الفكر بيروت .
- ١٢٥- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد
عالم الكتب بيروت . لبنان د . ت .
- ١٢٦- معجم الأدباء لياقوت الحموي .
الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان
- ١٢٧- معجم الشعراء للمرزباني
تصحهم وتعليق ف . كرنكو .
الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان
- ١٢٨- معجم مقاييس اللغة لابن فارس .
تحقيق عبد السلام محمد هارون .
دار الكتب العلمية - قم ايران د - ت .
- ١٢٩- المفضليات - اختيار المفضل الضبي
تحقيق وشرح أحمد شاکر وعبد السلام هارون .
الطبعة السادسة ١٩٧٩م دار المعارف بمصر .
- ١٣٠- ملاح تربية في الشعر الجاهلي والاسلامي د / علي شواخ الشعبي .
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ دار الرفاعي ، الرياض .
- ١٣١- المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني
تحقيق عبد النعم عامر
دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٦م

- ١٣٢- منهاج البلغاء وسراج الأدباء صنعة حازم القرطاجنى
• تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة
• الطبعة الثانية ١٩٨١م دار الغرب الاسلامى بيروت
- ١٣٣- الموازنة بين شعر أبى تمام والبحتري للآمدى
• تحقيق السيد أحمد صقر
• الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ دار المعارف • مصر
- ١٣٤- الموازنة بين الشعراء د / زكى مبارك
• الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - مصطفى البايى الطبى وأولاده بـبصر
- ١٣٥- موسيقى الشعر - د / إبراهيم أنيس
• الطبعة الخامسة ١٩٨١م
- ١٣٦- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الانبارى
• تحقيق د / ابراهيم السامرائى
• الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ • مكتبة النار - الأردن
- ١٣٧- النقد الأدبى لأحمد أمين
• الطبعة الخامسة ١٩٨٣م مكتبة النهضة المصرية - القاهرة
- ١٣٨- النقد الأدبى الحديث محمد غمى هلال
• دار نهضة مصر - القاهرة د • ت
- ١٣٩- النقد الأدبى أصوله ومناهجه سيد قطب دار الشروق بيروت لبنان
- ١٤٠- النقد التطبيقى والموازنات د / محمد الصادق عفيفى
• مكتبة الخانجى - القاهرة ١٣٩٨هـ
- ١٤١- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبوالفضل
• إبراهيم وعلى محمد البجاوى
• دار القلم بيروت د • ت

- ١٤٢ — وصايا الآباء للأبناء • صالح عبد الله السليمان •
الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ • توزيع الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
الرياض •
- ١٤٣ — الوصايا الخالدة — عبد البديع صقر •
الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ — مكتبة وهبه — القاهرة •
- ١٤٤ — الوصايا في الأدب العربي القديم د / سهام الفريح •
الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ — مكتبة المعلا • الكويت •
- ١٤٥ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان • لابن خلكان •
تحقيق الدكتور إحسان عباس •
نشر دار صادر • بيروت • ١٩٦٨ م •
- ١٤٦ — يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي •
شرح وتحقيق د / مفيد محمد قبيحة •
الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — دار الكتب العلمية • بيروت لبنان •

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٦	التمهيد
٧	أولا : مفهوم الوصية بين اللغة والأدب
١٦	ثانيا : لمحة تاريخية عن أدب الوصايا
٢٢ — ٢٨٥	الباب الأول : اتجاهات شعر الوصايا
٢٣	الفصل الأول : شعر الوصايا الاجتماعية
	الحث على طلب الرزق والاستغناء بالنفس عن
٢٤	الناس
٣٧	الحث على الكرم وإنفاق المال
	الحث على مصاحبة الأخيار والنهي عن معاشره
٤٩	اللائم
٥٨	التحلى بالأخلاق الفاضلة
٦٩	استشارة العقلاء
٧٧	أداب الحديث والاستماع والحث على لزوم الصمت
٨٩	حفظ السر
٩٥	الحث على الصبر
١٠١	النهي عن فرط المزاح
١٠٦	الحث على السفر وآدابه
١١٢	اتمام الوعد
١١٥	آداب زيارة المرضى
١١٨	الفصل الثاني : شعر الوصايا الأبوية
١٢٠	الحث على الكرم والانفاق

١٣١	الحث على تقوى الله وما يتصل بها من قيم دينية ..
	الحث على حفظ المجد والسودد واجتماع الكلمة
١٤١	بين الأخوة
	الحث على مصاحبة الاخيار وحسن معاملتهم
١٢٧	واجتناب اللثام
١٣٢	الحث على طلب الرزق مع التعفف وعدم الحرص ..
١٥٨	الحث على إباء الضيم وعدم الذل والهوان
	الحث على التحلى بالصفات الخلقية الحميدة
١٤٢	والبعد عن الصفات الذميمة
١٦٩	الحث على الشجاعة وخوف الممارك
١٧٣	وصية الشاعر بناته لراثائه والبكاء عليه
١٧٦	الحث على اختيار الزوج الصالح
١٧٨	الفصل الثالث : عمر الوصايا الدينية
١٨٠	الحث على تقوى الله والخوف منه
١٩١	التزهيد فى الدنيا والتذكير بالموت
٢٠٢	الحث على عمل الطاعات واجتناب المحرمات
٢٠٧	الحث على القناعة والرضا بما قسم الله
٢١٣	الفصل الرابع : عمر الوصايا الحربية
٢١٦	الحث على خوف الممارك
٢٢٦	الحث على الأخذ بالثأر
	الانذار من اقتراب العدو والحث على الاستعداد
٢٣٦	للمعركة
٢٤٨	الفصل الخامس : عمر الوصايا الإخوانية

الموضوع	الصفحة
الحث على اصطفاة الإخوان وحسن معاملتهم . . .	٢٥٠
الحث على حسن معاملة الإخوان ومداراتهم والإغضاء	
عن هفواتهم	٢٥٦
وصايا العلاقات الاجتماعية الخاصة	٢٦٥
الفصل السادس : شمر الوصايا الزوجية	٢٧٥
الوصايا الزوجية في جانب الكرم	٢٧٧
الوصايا الزوجية في جانب الحث على القناعة وحسن	
المعاملة	٢٨١
الحث على اختيار الزوج الكفا بعد موت الزوج عنها	٢٨٥
الباب الثاني : الخصائص الفنية في شمر الوصايا	٢٨٨ — ٤٣٠
الفصل الأول : الخصائص الفنية لشمر الوصايا في	
جانب الشكل	٢٨٩
أولا : في الألفاظ والتراكيب	٢٩٠
أ — الألفاظ	٢٩٠
ب — التراكيب	٣١٦
ثانيا : في ألوان البيان	٣٢٨
ثالثا : في القيم الصوتية	٣٤١
أ — الأوزان	٣٤١
ب — الموسيقى الداخلية	٣٤٩
ج — القوافي	٣٥٧
رابعا : في البناء الفني	٣٦٤
الفصل الثاني : الخصائص الفنية لشمر الوصايا في	
جانب المضمون	٣٧٤
أولا : في التجربة الشعرية	٣٧٥

الموضوع	الصفحة
أ - تمهيد	٣٧٥
ب - أنواع التجربة الشعرية في شعر الوصايا	٣٦٧
ج - الدافع الى التجربة في شعر الوصايا	
بين الصدق والتكلف	٣٨٥
د - مدى ملائمة السياغة للتجربة الشعرية	
في شعر الوصايا	٣٨٨
ثانيا : في العاطفة الأدبية	٣٩٢
أ - تمهيد	٣٩٢
ب - خصائص العاطفة في شعر الوصايا .	٣٩٥
ثالثا : في الأفكار	٤٠٧
أ - تمهيد	٤٠٧
ب - خصائص الأفكار في شعر الوصايا	٤٠٩
١- الأفكار بين التلازم والتفكك ..	٤٠٩
٢- الأفكار بين الوضوح والغموض .	٤١٦
٣- الأفكار بين العمق والسطحية ..	٤١٩
٤- الأفكار بين التقليد والتجديد ..	٤٢٣
الخاتمة	٤٣١
فهرس المصادر والمراجع	٤٤١
فهرس الموضوعات	٤٥٧